أمي نورة

الأم الصديقة

رحمها الله تعالى



تشرف بكتابتها

د/ إبراهيم بن عبدالله الغانم السماعيل

ح

إبراهيم عبدالله السماعيل ، ١٤٣٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السماعيل، إبراهيم عبدالله

أمي نورة ، الأم الصديقة رحمها الله تعالى/ إبراهيم عبدالله السماعيل. الرياض، ١٤٣٦هـ.

٣٤٩ ص؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك ١-٨٣٨٢-٠١-٦٠٣-٩٧٨

١ - السماعيل، إبراهيم عبدالله ٢- الأمهات ٣- التربية

ديوي ٩٢٠,٧٢ ١٤٣٦/٥٥٠٣

رقم إيداع ١٤٣٦/٥٥٠٣

ردمك ١-٨٣٨٢-٠١-٦٠٣-٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم



للتواصل

د. إبراهيم بن عبدالله الغانم السماعيل

جوال : ٠٠٩٦٦٥٥٥٤٤٢٧٤٤

Email :

ias1429@gmail.com

twitter:

@DribrahimG

مدونتي

www.DribrahimG.com

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد

أما بعد فهذه حلقات عن أمي نورة -رحمها الله تعالى- تناولت فيها جوانب من حياة فقيدتي الغالية رحمها الله تعالى، حلقات كنت أتشرف بنشرها بين وقت وآخر في مدونتي (www.DribrahimG) التي كانت تسعدني فيها قراءة الأخوة والأخوات وتعليقاتهم.

وأحببت أن أجمع هذه الحلقات في كتاب واحد هو الذي بين يديك الآن.

مع امتناني لشقيقتي الغالية (لؤلؤة) أم عبد الله بن علي المسند، التي كانت تراجع لي مشكورة حلقات هذا الكتاب حَلَقةً حَلَقة قبل نشرها مشيرة عليّ بما تراه الأصح تاريخيا والأنسب واقعًا وهي مضرب المثل في تقدير المشاعر، ومراعاة الخواطر، فلها مني جزيل الشكر، ووافر الدعاء.

وقد شرَّفني من لا أملك مكافأته إلا بالدعاء، شرَّفني الأخ الكبير معالي الأستاذ الدكتور (علي بن إبراهيم النملة) حفظه الله تعالى بقراءة الكتاب، وأكرمني معاليه بالتقديم له، شكر الله لمعاليه ما تفضل به، وبارك في علمه وأهله وشأنه كله، ورحم والديه وزوجه وكل فقيد لديه.

شاكرًا لكم إخوتي وأخواتي تكرمكم بقراءة كلماتي عن أغلى مَنْ عايشتُ وأعزّ مَنْ فقدتُ أمّي نورة رحمها الله، وبارك في ذريتها، وحفظ لنا والدي الكريم الشيخ عبد الله الغانم السماعيل، الذي عايش فقيدتنا المترجم لها في هذا الكتاب كما لم يعايشها أحد غيره.

والآن أترككم مع الحلقات بعد الإطلالة على معالي الكلمات من كلمات معاليه.

د/ إبراهيم بن عبد الله الغانم السماعيل

الرياض

١٥ / ٣ / ١٤٣٦هـ

تقديم

معالي أ.د. علي بن إبراهيم النملة حفظه الله تعالى



الحمد لله والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله محمد بن عبد الله الذي لم ينس – على ما ألقاه الله تعالى عليه من أعباء تبليغ الأمة وحمل الرسالة – أمَّه آمنة بنت وهب، فكان – عليه الصلاة والسلام – يذكرها ويزورها بين الفينة والفينة بالأبواء. وبعد،

فإنَّ الله تعالى قد أوجب على الأولاد، بنين وبنات، أنْ يكونوا بارِّين بوالديهم، لعلهم يلحقون شيئًا نزرًا مما قدَّمه الوالدان لهم في حياتهم. وجعل الله تعالى لهما عليهم وعلى غيرهم فضلاً كبيرًا، وجعل فضل الوالدة أكبر من فضل الوالد بمراحل، مع ما للوالد من فضل لا ينكره إلا عاقٌّ بوالديه لا بأحدهما فحسب.

ولعلَّ البرَّ بالوالدين أحدهما أو كليهما لا يقف عند حدٍّ في هذه الدنيا، بحيث يظن أحدنا أنه بلغ الغاية في برِّ والديه

أو أحدهما. ومن وصل به الغرور إلى هذا الـشعور فهـو عـلى خطـر عظـيم. ومـن المعلـوم لـدينا أنَّ مـن أجمـل مـا يتركـه الوالدان أولادًا صالحين يدعون لهما دائمًا. وفي كـلِّ مناسـبة لا يفـترون يـدعون لهـما، مـع مـا يمكـن أنْ يقـدموه لهـما مـن الـصدقات الجاريـة والعلـم النـافع بالأوقـاف والـصدقات المتتالية.

ولعلَّ من البرِّ بالوالدين كليهما أو أحدهما أنْ يعبِّر الابـن أو البنت القادران على التعبير عن شعورهم عـن فقـدهما بـما ييسِّر الله تعالى من تعبير يظلُّ عاجزًا عن التعبير عن مكنوناتـه تجاه والديه. ومن غير المستغرب أن يعجز بعضنا عـن التعبـير عن فقدهما، مع أنَّ هذا العاجز قد يكون من أسـاطين الأدب والفصاحة والبلاغة.

وأحسب أنَّ هذا النوع من الـبرِّ يكـاد يكـون نوعًـا مـن أنـواع الأدب الـذي لـه مكانـة مرموقـة بـين أنـواع الأدب، والرثاء منه خاصة. ومن أحق بالرثاء من الوالـدين والزوجـة والـزوج والأولاد؟! حيـث العبـارة الـصادقة والوجـدان المتدفِّق والقلم الذي ينضح دموعًا لا مدادًا.

والزميل الصديق الدكتور إبراهيم بن عبد الله السماعيل يطرق هذا الباب من الرثاء؛ برًّا بوالدته نورة بنت عبد العزيز المانع – رحمها الله تعالى – التي بان من حديثه عنها أنها تركت فراغًا واسعًا في وجدان ابنها وإخوته وأخواته تمكَّن من تصوير بعضه لا كلِّه. ويظل الرجل طفلاً حتى تموت أمُّه.

ولا تقتصر وقفته مع والدته – رحمها الله تعالى – على الوجدانيات، وهي مطلوبة وهذا مجالها، ولكنه يسبح بأكثر من هذا، بحيث يعطي صورًا مختلفة، شملت الجوانب التربوية والنفسية والاجتماعية، وتصويره البيئة التي نشأت فيها الوالدة – رحمها الله تعالى – تستحقُّ التأمُّل والإفادة منها في تصويره الحياة الاجتماعية في رقعة غالية من بلاد الثبات والنماء وفي وقت عاشت فيه أمَّاتنا حياة مليئة بالكفاح والصبر والتحمُّل والمعاناة. ووراء كلِّ رجل عظيم امرأة.

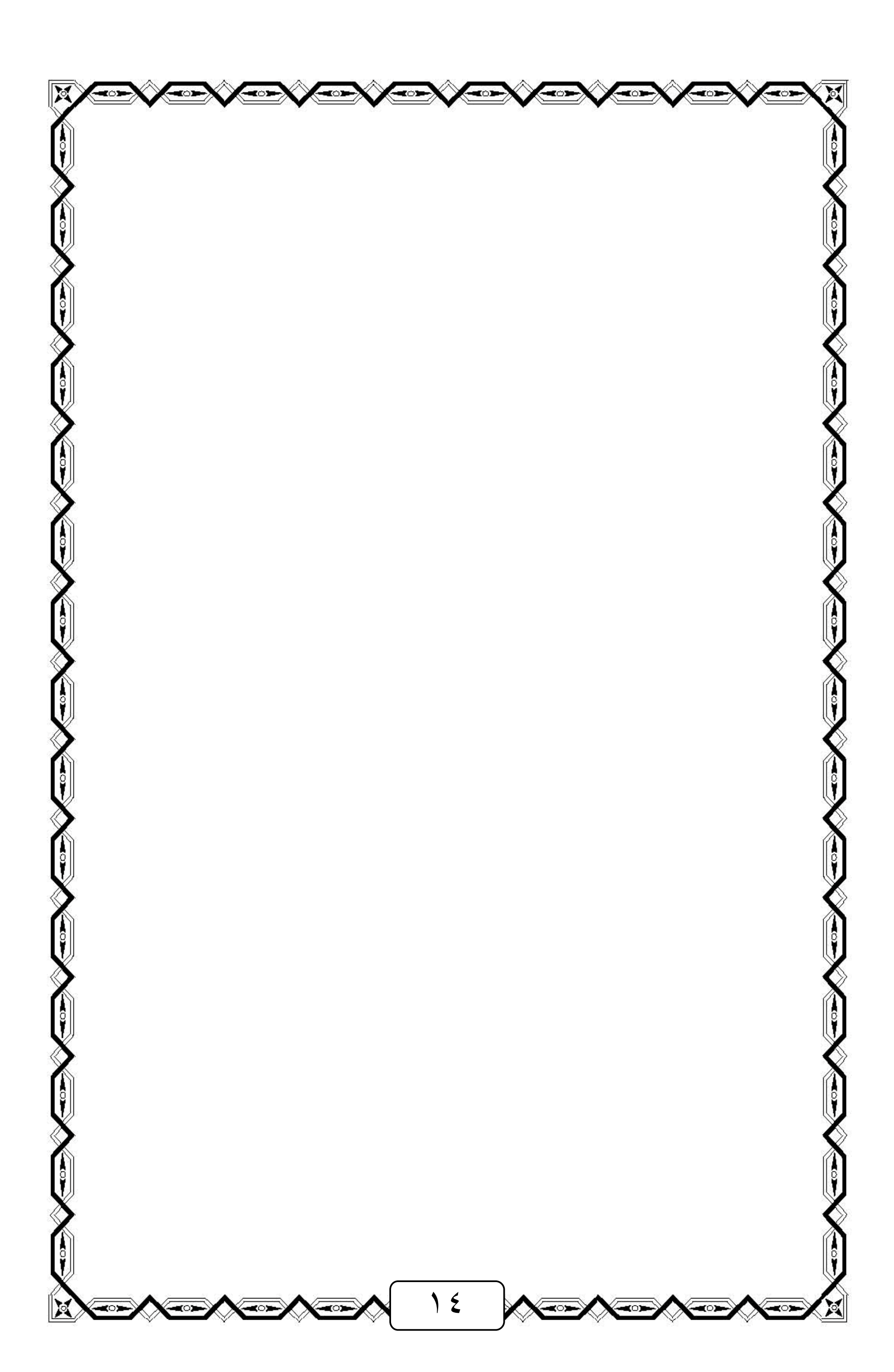
من سيقرأ هذه الخواطر ولا يذرف دمعة على والدة إبراهيم نورة المانع، فعليه أنْ يعيد قراءتها بروح من فقد

والدته أو عزيزًا جدًّا عليه، وإنْ لم يرقَ إلى مقام الوالـدة، فـلا يظهر أنَّ أحدًا من أفراد العائلة يرقى على مكانة الوالدة.

استطاع الـدكتور تـصوير المواقـف ببلاغـة قريبـة مـن القارىء، فلم يعمـد إلى التفاصُـح، وإن كـان يملـك القـدرة على ذلك. وهو في الوقت نفسه احترم لغته واحـترم المتلقِّـي عندما لم يتهاون بلغتـه، ولم يُطلـسم عباراتـه بكلـمات تـضيِّع العبرة من هذه الخواطر.

رحم الله تعالى الوالدة نورة بنت عبد العزيز المـانع رحمـة واسـعة، وجميـع أمَّاتنـا وآبائنـا وأزواجنـا وأولادنـا وموتانـا جميعًـا، وجمعنـا بهـم في الفـردوس الأعـلى، حيـث النظـر إلى وجهـه الكـريم، وحيـث تقـرُّ بهـم العيـون وتقـرُّ عيـونهم بأحبابهم. والله يتولاَّنا جميعًا برحمته وعفوه وغفرانـه لمـا يبـدر منَّا دائمًا من تقصير في برِّ والدينا ووالديهم وكلِّ عزيـز لـدينا. والحمد لله ربِّ العالمين.

فهرس الموضوعات





جدي عبد العزيز المانع رحمه الله

١- من أمي نورة رحمها اللّه ؟

نورة بنت عبد العزيز بن غنيم المانع من قبيلة العجمان.

وُلـدت في القـصيم، ثـم انتقلـت إلى الريـاض منـذ طفولتها، ونشأت بين والدين رائعين – رحمهما الله تعالى – فهي بنت (عبد العزيز) الأب الذي كان غاية في الوفاء والرحمة ، والكرم ، وبنت (مزنة بنت محمد النصار) الأمّ

التي كانت مضرب المثل في العقل، والحزم، والرأي، والصبر، والجلَد.

أمّا أبوها (عبد العزيز الغنيم المانع) فكان آية في الوفاء؛ ذلك أن زوجته (مزنة النصار) والدة أمي نورة قد ابتليت بالعمى، ثم بعد مدة زاد بلاءها أن أصيبت بالشلل، وما كان من زوجها الوفي (عبد العزيز) إلا أن صبر معها على هذا البلاء؛ بل وزاد على الصبر وفاء، حيث لم يكن ثمت خادمات، ولا كان في المنازل ممرضات مرافقات ، فكان الزوج الوفي هو الخادم لزوجته ، الممرض لها ، الطاهي طعامها ، الغاسل ملابسها ، القائم بشؤونها (كل شؤونها) !

كان يعد لها قهوة الصباح، ويحمل جسدها المشلول من مكان مبيتها ليلاً (القهوة) وهو الاسم الشعبي للمجلس في البيئة النجدية، يحملها إلى مجلسها النهاري في (المشراق) حيث الجلسة المشمسة، أول النهار، وإذا كان الجو حارًا أو باردًا تكيّف معه الزوج الوفي فحمل زوجته العمياء المقعدة إلى حيث المكان المناسب من البيت، ويحمل معها ما تحتاج

إليه من الفراش ، والمخدات ، والمجلس المحيط بها لزوارهـا، وهاتفها الملازم لها (هـاتف أخـضر ذو قـرص دائـري) كـأني أراه الآن.

وهذا الزوج الوفي (والد أمي نورة) كـان مـضرب المثـل في الرحمة والكرم، فقـد مـات رحمـه الله يـوم مـات ولا يكـاد يُحصى عدد الذين كانوا قد استدانوا منه، مبالغ مالية قليلـة أو كثيرة ، عاد بعضها ، ولم تعد بقيتها !

وهو مع ذلك لم يكن مـن ذوي اليـسار ؛ لكـن " الغِنـى غنى النفس" ، كان موظفًا ذا راتـب محـدود ، ومـع ذلـك إذا كان يوم استلام راتبه يضرب عـلى محفظتـه ويتبـسم مناديـا : "اليوم البئر فاضت ، من أراد أن يستدين حياه الله" !

وأمّا صبر (مزنة) والدة أمي ورجاحة عقلها، وحزمهـا، ورأيها فكان مضرب المثل لمن عاصرهـا مـن كبـير أو صـغير، من ذكر أو أنثى، من أمير أو غـيره، لا أذكـر– كـما لم أسـمع ممن عاش معها أكثر مني – أنهـا اشـتكت المـرض يومًـا مـن الدهر! رغم إصابتها بالبلاء ما يزيد على عـشرين عامًـا قبـل وفاتها !

وقد كان مجلسها ، وهاتفها المصاحب لها ، شاهدين على استشاراتها ، التي كانت تزوّد بها كل من يطلب رأيا ، أو يشكو حالاً ، أو يسأل عن قصة ، أو يستنشد قصيدة من مقولها أو منقولها!

إذًا فهذه أمي نورة ، وهذان هما والداها ، رحمهم الله جميعًا.

سُفرة سعود



٢ـ أمّي عروسًا

سَمِع والدي – حفظه الله تعالى – أن في بيت عبد العزيز المانع بنتًا اسمها (نورة) ، فأسرع لخطبتها، ولم يمنعه قلة ذات يده ، ولا كونه متزوجًا وأبًا أن يبادر إلى خطبة البنت المدللة في كنف أبويها ! كما أنه لم يلتفت إلى عبارات المثبطين ، وتعليقات الساخرين الذي لم يساورهم أدنى شك أن خطبته هذه ضرب من الجنون ، وأن الاستجابة لها لون من المحال !

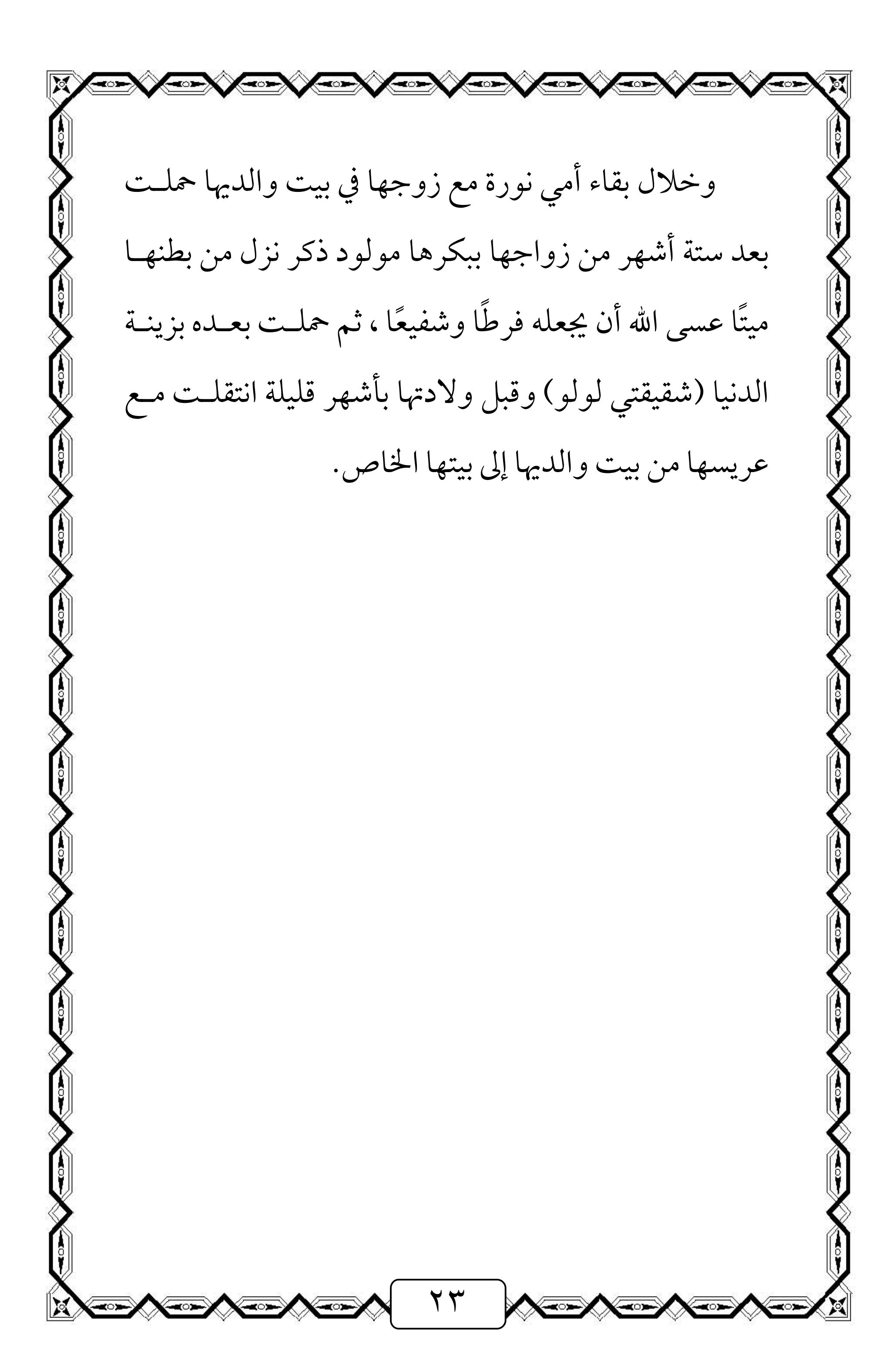
فذهب للخطبة طارقًا الباب ، وشاء الله أن تتم الموافقـة، غير أنها موافقة لم تتم إلا بعد سنة كاملة كان والدي – حفظـه الله تعالى – يتردد على بيت جدي مرة كل شهر تقريبًـا ! قلـت لأبي ممازحًـا : كيـف وافقـوا عـلى خطبتـك ؟ فقـال متبـسمًا مباشرة: أشغلتهم بالإلحاح حتى وافقوا ! ".

ومع الموافقة قالت جدتي (أمي مزنة) لوالدي حفظـه الله - وكان قد اشترى (جَهاز أمي) منذ العـام المـاضي ، حـسب عادتهم تلك الأيام أن العريس يشتري الجهاز للعـروس مـن الملابس والأواني ونحو ذلك – قالت جدتي : " يا أبـو غـانم (تخاطب والدي ؛ لأن كنيته منذ صغره أبو غانم باعتبار اسـم أبيه الذي مات وأبي طفل في عامه الثاني) يا أبو غـانم : الـدنيا تغيّرت وجهازك صار له سنة عندك ؟! فقال والدي مبـاشرة: يا خالة: جهـاز العـام المـاضي في محلـه ، ومعـه زيـادة جهـاز السنة!! يقول لي والدي – حفظه الله –وأنـا أقـول في نفـسي: ((المهم لا يغـيرون رأيهـم)) ! وفعـلاً زاد والـدي في الجهـاز

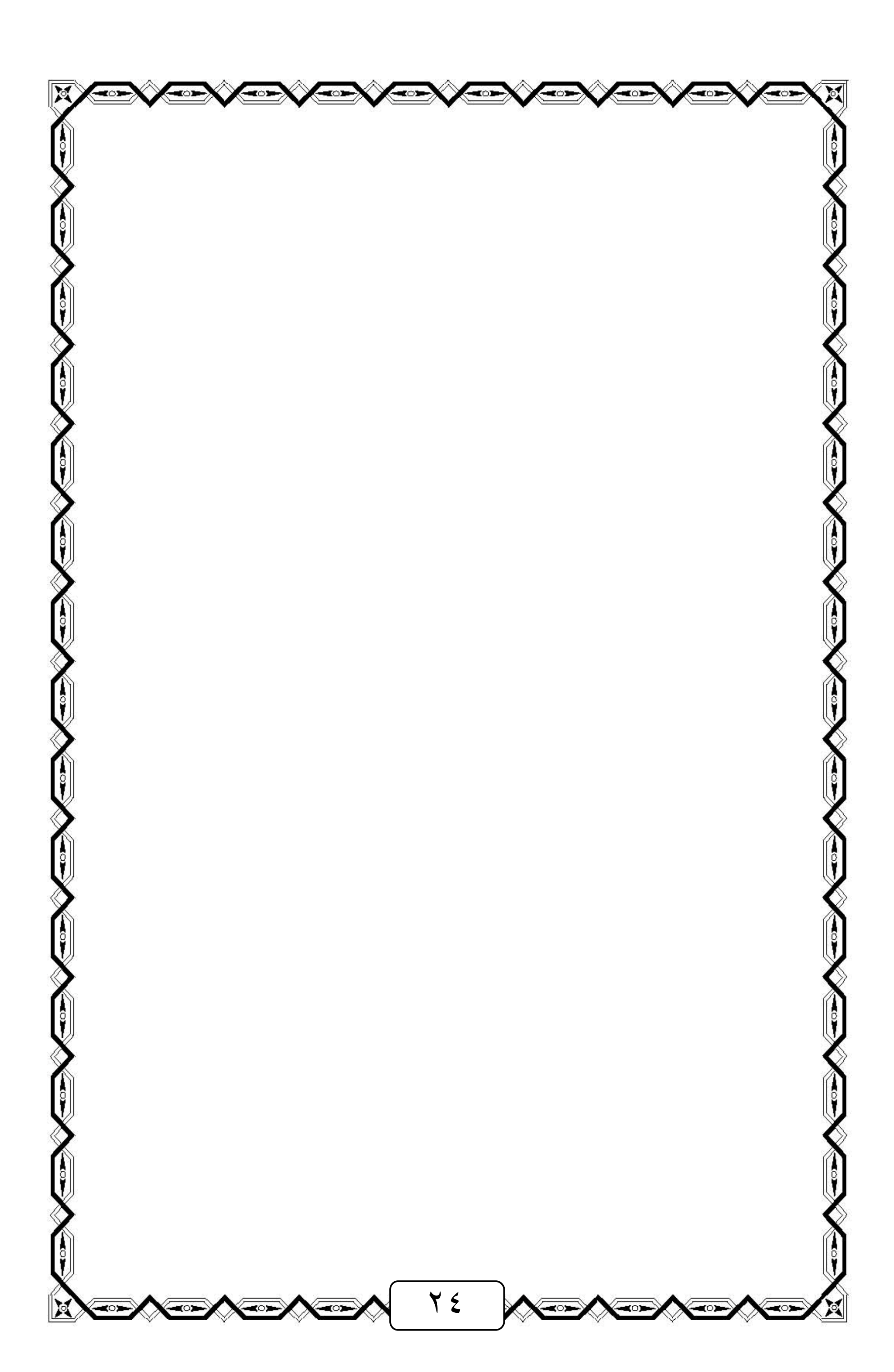
المقدّم للعروس واشترى موضة تلك السنة وهو فستان فخم يعرف باسم (سُفرة سعود) وهو فستان مطرّز في وسطه ما يشبه حزام الذهب، وكان هذا أبرز الفروق بين جهاز العام الماضي وجهاز هذه السنة .

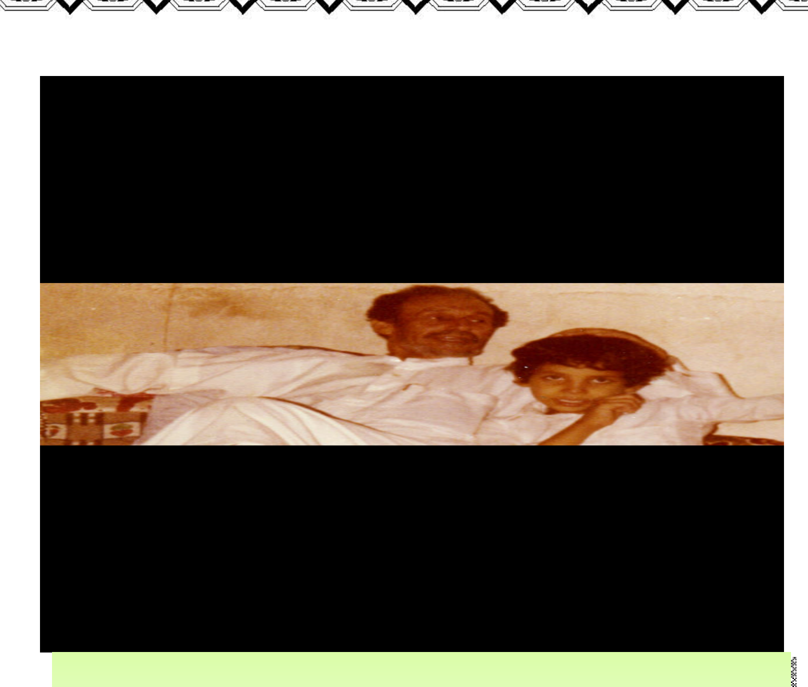
ولكن هذه الموافقة – أيضًا – جاءت مشروطة؛ ذلك أن الأهل غير مهيئين في هذا الوقت لبُعد بنتهم عنهم ؛ لسبب مهم ، هو أن أمي نورة هي البنت الوحيدة في البيت وكانت جدتي مزنة النصار (والدة أمي نورة) قد فقدت بصرها في هذه المدة ، فكان لا بدّ للعروس (أمي نورة) أن تضحي بفرحة عرسها وتؤخر الزواج ؛ خدمةً لأمها الكفيفة ، إلا أن والدي حفظه الله قد اتفق مع والدي العروس على أمرٍ سواء؛ وهو أن يتم الزواج على أن لا ترحل العروس من بيت أهلها إلا بعد عام ، فوافق العريس – والدي حفظه الله تعالى – وتم الزواج وعاش العريسان في بيت الكرم (بيت عبد العزيز ومزنة) ما يقارب السنتين.

وكان الخطّاب الذين خطبوا أمي نورة قبل والدي قد غبطوه على الموافقة ، ولم يخفوا مشاعرهم تجاهه ، بل أظهروا ذلك إمّا له شخصيًّا على سبيل الممازحة ، وإمّا لجدتي مزنة بصفته لونًا من العتاب ! فهذا أحد الخطّاب السابقين ممن يعمل مع والدي في السوق (حيّ يُرزق حتى كتابة هذه السطور) قال لوالدي : ((أنت الحين ما تقول لي كيف كلما خطبنا بنتا رفضونا وزوجوك أنت؟!)) فقال والدي (بكل سماحة ورضا نفس وتقبل يعكس يُسْر الحياة آنذاك): "وِشْ أسوّي"؟ النصيب والأرزاق! وأمّا الخطيب الآخر فهو (أحد محارم جدتي مزنة رحمه الله ورحمها) ، فقد جاء لجدتي وقال : "الله يهديك يا خالة ، أخطب نورة وترفضيني ، وتعطينها أبو غانم وهو معه زوجة؟!" فقالت جدتي (الحصيفة الفخورة بصهرها) : "أبو غانم مثل الصندوق ما يتكئ إلا على أربع" ! فقال لها : "الله يسامحك يا خالة وأنا قِدْر أرتكي على ثلاث" !



وخلال بقاء أمي نورة مع زوجها في بيت والديها حملت بعد ستة أشهر من زواجها ببكرها مولود ذكر نزل من بطنها ميتًا عسى الله أن يجعله فرطًا وشفيعًا ، ثم حملت بعده بزينة الدنيا (شقيقتي لولو) وقبل ولادتها بأشهر قليلة انتقلت مع عريسها من بيت والديها إلى بيتها الخاص.





كاتب السطور مع جدي والد أمي رحمهما الله
عام ١٣٩٩هـ / ١٩٧٨م تقريبا

٣ ـ صِلةُ أمّي نورة– رحمها الله ـأهلَها

تتمثل صلة أمي نورة – رحمها الله تعالى –أهلَها في عدة صور؛ لعل أهمها وأميزها ما عايشتُه منذ وعيتُ الحياة من كونها جادت بفرحتها الأولى (لولو) وجعلتها تنوب عنها في القيام بواجبها تجاه والديها (عبد العزيز ومزنة)– رحم الله

الجميع -ذلك أن أختي الكبرى (لولو) كانت تبقى في بيت أخوالي طوال الإجازة الصيفية، ولا ترجع إلى بيتنا إلا مع بداية الدراسة ، خدمة لجدتي مزنة، وجدي عبد العزيز- رحمهما الله تعالى- وخلال العام الدراسي كاملا كانت (لولو) تذهب للمبيت عند والدَيْ أمها نورة – رحمهم الله جميعا – من عصر الأربعاء إلى عشاء الجمعة، وكأني بأمي نورة – رحمها الله تعالى – وجدت في (لولو) امتدادا لبرها وخدمتها لوالديها، مع أن (لولو) هي أول فرحة أمي بالذرية، وهي البنت الوحيدة لها؛ إذ إن باقي ذريتها ذكور ، ومع ذلك آثرت أن تبقى البنت الوحيدة في خدمة من يحتاجها أكثر، لعل في ذلك ما يخفف عن أمي (نورة) انفراد والديها في البيت مع الحاجة إلى من يشارك في خدمتهما، فليس في البيت إلا جدي وجدتي، أما خالي (محمد) فلم يمهله الأجل؛ إذ مات في عنفوان شبابه – رحمه الله تعالى –

(قبل ولادتي)، وأمّا خالي (صالح) فقد كـان كثـير الأسـفار ، وبذلك تعظم الحاجة إلى (لولو).

وبهذه المنزلـة أصـبحت (لولـو) منـذ صـغرها صـديقة الكبار! هي الصغيرة سنًّا الكبيرة عقـلاً ورأيًـا ورحمـة وبـرًّا ، وكأني بألطاف اللطيف الحكيم وحكمة المـولى الخبـير كانـت تعدّ (لولو) لمواقف الحياة التي مرّت بها فيما بعد !

كما أن (تجربة لولو) الفريدة أضافت إليهـا إضـافة بالغـة الأهمية ، من ملازمتها مجلس جدتي (مزنة) الحكيمة الـشاعرة المستشارة ، ذلك المجلس الـذي يغـشاه متعـددو الأطيـاف ، ومختلفو الأعمار ، كـلٌّ يجـد عنـدها بُغيتـه ، حتـى قـال أحـد الأمراء من معاصري جدتي مزنة : " لو كانت الحـريم تـؤمّر، كان أُمّرت أم عبدالله!" يعني جـدتي مزنـة النـصار – رحمهـا الله – ولأجل ذلك يمكـن أن نـسمي (لولـو) راويـة أشـعار جدتي – رحمهـا الله تعـالى- وأخبارهـا (عـلى حـدّ المـصطلح النقدي في رواية الأشعار)؛ فهنيئًا لــ(لولـو) تلـك الملازمـة،

إضافة إلى الأجور العظيمة في البرّ والصلة ، والخدمة ونفع الآخرين ، والله لا يضيع أجر مَن أحسن عملاً .

ومِن أوجه صلة أمي (نورة) – رحمها الله تعالى –أهلَها زياراتُها المتتابعة لهم ، مع قيامها بحق الزوج ، فمنذ أن عقلت الحياة وأنا أعي زيارتنا الأسبوعية لبيت جدي كل أربعاء ، نركب جميعًا مع والدي– حفظه الله تعالى - (أمي ولولو وغانم وعلي وصالح وأنا) ثم نعود مساء الجمعة ! وهكذا هي زيارة أسبوعية لا أذكر أن أمي (نورة) – رحمها الله - قطعتها في أي ظرف ! ومن الطريف في زيارة أمي (نورة) الأسبوعية لوالديها – رحمهم الله جميعا– أن والدي اعتاد كل جمعة أن يتناول العشاء مع جدي (عبد العزيز) عندما كان يأخذنا مساء ، مع أن والدي - حفظه الله - كان يمرّ على بيوت أخوال إخواني غير الأشقاء ليقلهم مع أمهاتهم، بمعنى أن والدي يُركب معه - في سيارة واحدة (الجمس الأزرق) ! - كلّ جمعة نساءه وأولادهن بعد

أخـذهم مـن بيـوت أنـسابه (ثلاثـة بيـوت)، ولكنـه لا يبـدأ أسبوعيا إلا ببيت جدي– رحمه الله - ليتناول العـشاء عنـده، يتعشى هو ومن معه من أولاده الذين يكونـون معـه في محلـه التجاري قبل الذهاب إلى بيوت أخوالهم.

تلك الزيارة ذات مـذاق خـاص حيـث يوقـف والـدي سيارته في العاير (وهو الاسم الـدارج لطـرف الـشارع) لأن الشارع المفضي إلى بيت جـدي - رحمـه الله - ضـيق لا يكـاد يـستوعب سـيارة (الجمـس) ! فيحتمـل الأطفـال والنـساء النزول في آخر الشارع والركوب منه !

تلك الزيارة الأسبوعية كانت محل انتظارنا - نحن أبنـاء أمي نورة– للراحة التي نجدها في بيـت (جـدي) – رحمـه الله – وللدَّلال الذي كنا نعيشه ، فما عرفتُ (الـسيكل) الدراجـة ذات الثلاثة إطارات إلا في ذلك البيـت ! وكـذلك الـشأن في الهدايا المتتابعة على جميع أولاد نـورة ! لكـن لهـذا (الـسيكل) طعمه الخاص ومذاقه المتميز؛ ذلك أنه جرت عـادة جـدي –

رحمه الله – على شراء (سيكل) لكل واحد منا يتجدد كل صيفية !

وبيتهم الطيني كان مضمارًا للعبنا ومنافساتنا الماراثونية في (الدراجات) مع صغر مساحته (في عرفنا اليوم) إلا أنه في ذلك الوقت كان ذا شأن كبير ! فلا زلت أذكر أخذنا جولات السباق في (المصابيح) - وهي الممرات المحيطة بالفناء الداخلي لبيوت الطين- ولا زلت أتذكر لعبة (الغُميما) بيننا ، والجيد منّا المخاطر هو الذي يختبئ خلف المساند في (الروشن) – المجلس العلوي لبيوت الطين – لصعوبة البحث في الأماكن العلوية!

ومن أجمل ذكرياتنا في زيارتنا مع أمي (نورة) لأهلها – رحمهم الله جميعًا – ما كان يتكرر صباح كل خميس عندما أستيقظ فجرًا مع جدي عبد العزيز – رحمه الله – وأخرج معه حاملا (علاقة) الخبز - وهي حقيبة بلاستيكية مخصوصة تؤخذ من البيت يوضع فيها الخبز أثناء حمله من

الفرن لئلا يبرد ولا يتعرض للأذى – أخرج معه كل صباح من البيت على الأقدام ، فأبقى أنا في المخبز في طابور الانتظار (السِّرا) ويذهب جدي – رحمه الله – للجهة المقابلة من الشارع الآخر ومعه القِدر الصغير ليملأ به (الفول) في الأيام الأولى من افتتاح محلات الفول ! ثم ألتقي مع جدي معه الفول ومعي الخبز لنعود معًا إلى البيت، حيث يكون باقي إخوتي قد استيقظ ، فنتناول الإفطار في اجتماع كان يتكرر كل خميس، والآن الآن فقط عرفت القيمة الحقيقية لذلك الاجتماع، آهٍ ! لو عاد منها خميسٌ واحد !

واستمرت زيارة أمي (نورة) لوالديها إلى أن توفيت جدتي (مزنة) – رحمها الله – في رجب عام ١٣٩٧هـ . وصُلي عليها في جامع (ابن مساعد) في شمال المربع ، ولم أشارك في الصلاة ولا الدّفن ؛ لصغر سني آنذاك ، مع أننا عشنا الأحداث في المنزل ، من الحزن والعزاء ، ماتت جدتي ، ماتت مجالس الحكمة ، ماتت مزنة فطويت جلسات

الاستشارات ، ماتت مزنة صابرة على البلاء ، وأيّ بلاء ؟! ماتت مزنة ففقدت نورة أمَّها التي كانت بها برّة ، ماتت مزنة وتركت نورة وحيدتها من الإناث لتبدأ صفحة جديدة .

أمّا جدي (عبد العزيز) الرجل الشهم الذي كان قائمًا على شؤون زوجته مزنة التي أقعدها المرض سنين عددا بسبب جلطة أصابتها، ولم يقصّر في حقها ، فقد تزوج امرأة أصبحت كالأخت لأمي (نورة) - رحمها الله - وبذلك استمرت زيارات أمي لوالدها وزوجته ، ولم يتغير البر ،ولا انقطعت الزيارة ، وقد فرح جدي – رحمه الله تعالى – بمولودة ملأت عليه حياته ، وأخذت جزءًا كبيرًا من دلاله ، وُلدت له (ليلى) أو (الليل) كما كان يطيب له أن يسميها، ويغنّي لها ملاعبًا : " الليلَ الّي ما فيه مسْرى " ! يغني لها وإن لم تفهم طفلته (ليلى) ما كان يغني لها ؛ لأنها لا تذكر أغاني أبيها ، بل ولا تذكر أباها إلا فيما بقي من صوره (الفوتوغرافية)؛ ذلك أن الأجل لم يمهل جدي (عبد

العزيز) بعد جدتي (مزنة) كثيرًا ! فقد مات – رحمه الله – في طريقه إلى العمرة أواخر رمضان عام ١٤٠٢هـ مات على فراشه في مدينة الطائف !وقد أقبلت عليه الدنيا ضاحكة في صورة زواج جديد ، وفرحة ببنت مثل الوردة بين يدي أبيها، يشمّها ويضمّها ، ويقبّلها، مات دون سابق مرض ، مات الرجل الوفي، مات ويا لَحَزنَ أمّي (نورة) على فراق أبيها بعد فراق أمّها، مات أبوها وهو نشيط يؤمّل من الحياة الجديد!

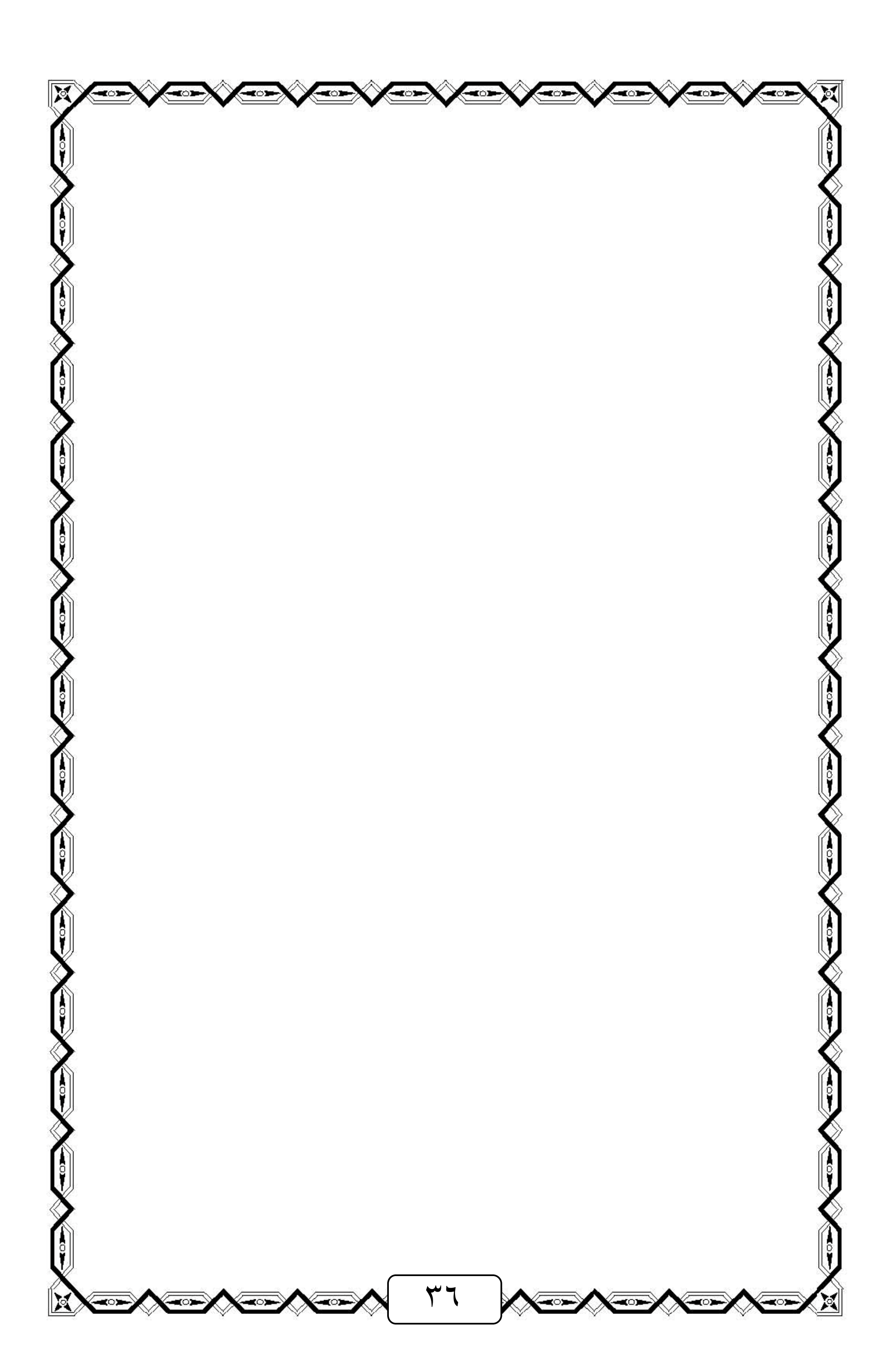
ومن صور صِلة أمي (نورة) – رحمها الله تعالى – أهلها استمرار الزيارات لريح والديها بعد فراقهما ، حيث استمرت في زيارة زوجة أبيها أم أختها الصغرى (ليلى) ، وكنا نذهب مع أمي – رحمها الله تعالى – في زيارتها لزوجة أبيها أينما كانت ! حتى بعد خروجها من بيت جدي الذي كانت فيه يوم مات – رحمه الله تعالى – ومع ذلك كانت بيوت زوجة جدي محل زيارة أمي (نورة) - رحمها الله تعالى

– كانت تزورها زيارة الأخت أختها ، وكنا نستمتع بهذه الزيارة استماع الصغار في الزيارات ! وهكذا استمرت الزيارات المتبادلة بين أمي (نورة) – رحمها الله تعالى – وبين زوجة أبيها خالتي (منيرة البليهد) – حفظها الله تعالى – إلى آخر يوم في حياة أمي - رحمها الله - ، بل إن خالتي (منيرة) في أواخر سنوات أمي – رحمها الله – كانت لا يطيب لها صباح العيد إلا في بيت أمي منذ الفجر الباكر ! فيا لهذه العلاقة الوطيدة والصداقة الوثيقة التي صارت فيها ابنة الزوج ابنة وأختًا لزوجة أبيها.

ومن صور صِلة أمي (نورة) – رحمها الله - أهلَها استمرار زياراتها المتتابعة لأخيها الأكبر من أمها (عبد الله بن نافع الفضلية) – رحمه الله تعالى – حتى إنه لا يكاد يأتي علينا أسبوع إلا وأمي – رحمها الله تعالى – في بيت أخيها (عبد الله) ؛ مما جعل سنوات طفولتنا تمرّ علينا نحن أبناء أمي نورة وعلى أولاد خالي من بنين وبنات ونحن بمثابة الإخوة

والأخوات ، ولولا الاستطراد لـذكرت (تفاصيل صغيرة) أذكرها بأدق جزئياتها مما كان بينا نحن أولاد (نورة) وأولاد أخيها لأمها (عبد الله الفضلية).

وهكذا استمرت صلة أمي (نورة) – رحمها الله تعالى – لوالديها مدة حياتهما، ولريح والديها حتى وفاتها ! فرحم الله النور والصلة.



مستشفى الدبيخي



٤ـ تعسّر ولادة أمّي نورة

" الحمد لله ما راح تعبي خسارة " مقولة طالما سمعتها من أمّي نورة – رحمها الله تعالى – وهي تروي لي تعسّر ولادتها بي ! حيث لم يشاركني في هذا التعسر إلا شقيقي الأكبر (غانم) – حفظه الله تعالى – لكن ولادتي كانت أشد تعسّرًا ، ولأقرّب الصورة أكثر فسأجعل الحديث على لسان أمّي – رحمها الله تعالى – تقول :" جاءتني آلام ولادتك عدة

أيام ، ألمٌ مع عدم وجود آثار الولادة ، ألمٌ رأيت معه الموت ، حتى وصلت حالتي من الحرج ما اضطرني للنقل إلى المستشفى إذ أعلنت الطبيبات الزائرات اللاتي لازمنني في البيت أن حالتي حرجة ، حتى صرحت الطبيبة الزائرة من المستشفى الأهلي (مستشفى الدبيخي) التي جاء بها جدك (عبد العزيز) صرحت لأمي مزنة بقولها : بنتك نورة حالتها حرجة ، وتراها ستموت ، ولكن الأفضل ألا تموت عند أطفالها (تعني لولو وغانم وعلي) فوافقت أمي مزنة على نقلي للمستشفى بشرط أن تصحبني (أم إبراهيم) –وأم إبراهيم هذه هي (رِبعيّة) أمّي نورة– رحمها الله تعالى –كانت مع أمي ليلة زواجها، وهي التي ترافقها في نفاسها ، وفي انتقالها إلى بيتها ، وهي التي تحمل لها طفلها عند خروجها ليلة خروجها من النفاس إلى بيتها – ولما انتقلتُ إلى المستشفى الأهلي ازداد الألم دون انفراج ! وبقيت يومًا كاملاً على ذلك الوضع! حتى رأى الطبيب المسئول أن تتم عملية قيصرية!

وهي قليلة الحدوث تلك الأيـام، إلا أنهـم تـأخروا في تقريـر العملية مع أنهم رسـموا عـلى بطنـي، (يعنـي حـدّدوا مكـان العمليـة)، لكـنهم تـأخروا ينتظـرون توقيـع والـدك (تعنـي والدي عبد الله حفظه الله) الذي لم يكـن في المستـشفى سـاعة تقرير العملية ، فأخذت القلم من الطبيب من شدة ما أحـس به من الألم ، وقلت أنا وليّـةُ نفـسي ، أنـا المـسئولة ، أنـا التـي أوقّع لكم بما تريدون ! وفي هذه الأثناء كان فـرجُ الله أقـربَ، وتيسيرُه أسرعَ، فبدأ الطلق الأخير، وكانـت الـولادة طبيعيـة والحمد لله ".

هكذا كانت أمّي نورة – رحمها الله تعالى – تخـبرني قـصة ولادتي ، وتقول "أشـد مـا لقيـت مـن ولاداتي ولادتي فيـك أنت وقبلك غانم ، لكن الحمد لله ما راح تعبي خسارة " !

وهنا أستطرد ؛ لأشـير إشـارة سريعـة إلى وِلادات أمـي نورة - رحمها الله – أمّا أول ولادة لها فكانـت بطفلهـا الـذي مات لحظة ولادتها ، مع القابلة التي تأتي إلى بيت أمهـا مزنـة،

للتوليد لأن أمي مزنة – رحمها الله – كانت ترفض ذهاب بنتها (نورة) للمستشفى خوفًا عليها من المستشفيات! وهذه الوفاة – كما أخبرني أبي - جعلته– حفظه الله – يُخفي عن أمي مزنة - رحمها الله - قرب ولادة أمي نورة – رحمها الله – الثانية (ولادة لولو) حيث لم يذهب بأمي نورة - رحمها الله - إلى بيت أهلها ، وإنما استعان بعد الله تعالى بأمه – جدتي هيلة رحمها الله – التي باشرت توليد أمي رحمها الله . وأما الولادة الثالثة (ولادة أخي غانم) فتمت في بيت جدتي مزنة – رحمها الله – وحينها كان والدي– حفظه الله – مسافرًا إلى (فِينَّا) لعلاج أخته (عمتي منيرة). وهناك بُشِّر بأول مولود ذكر له. وأما الولادة الرابعة (أخي علي الأول الذي توفي صغيرا) والولادة الخامسة (أخي علي حفظه الله) فكانت ولادة طبيعية في بيت جدتي مزنة رحمها الله.

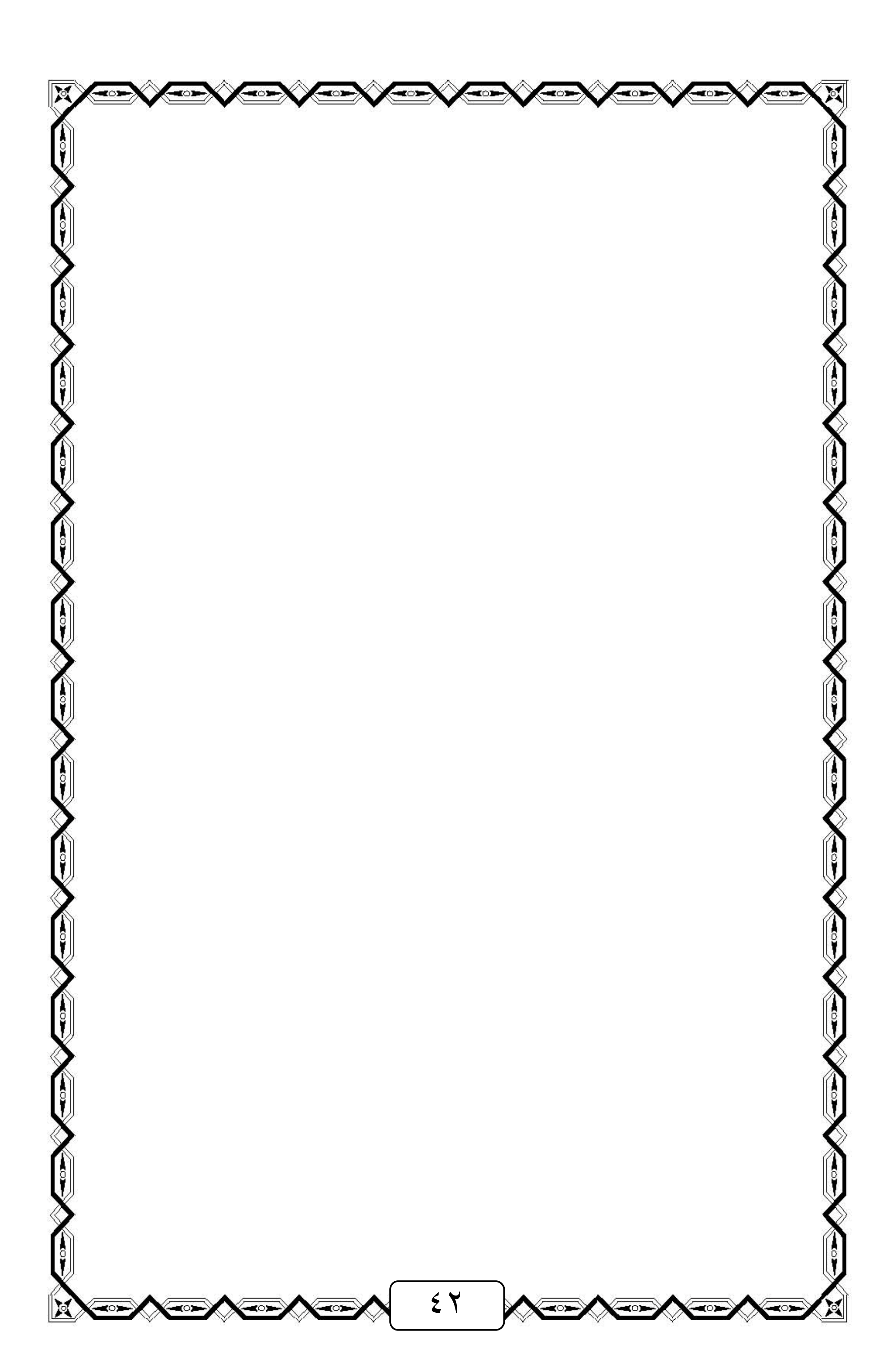
وبعد تعسّر أمي نورة – رحمها الله - بولادتي اقتنعت جدتي (مزنة) - رحمها الله – بضرورة الولادة بالمستشفى ،

وهذا ما تم دون نقاش في الـولادة الأخـيرة لأمـي (نـورة) – رحمهـا الله – (ولادة أخـي صـالح) التـي تمّـت في مستـشفى الشميسي دون معارضة.

وبعد ولادتي دخل أبي بيت جدي وجـدتي – رحمهـا الله تعالى – مسلِّمًا على أمّي نورة وهي في نفاسها بي ، فقـال إيـش أخبار (حجاب) ؟ – وهو الاسم الـذي كانـت أمـي (نـورة) سمتني بـه آنـذاك – فـسمعت جـدتي (مزنـة) ذلـك مـن أبي فقالت: أفَا يا بو غانم ، حتى أنت ؟ ما ظنيتهـا منـك ! تعنـي تسمية (حجاب) ، فقال أبي: هذه رغبة نورة ، فقالت : اتـرك عنك نورة ، ما يصلح هالاسم ! فرجعـت أمـي نـورة لرغبـة أمها مزنة– رحمها الله – وغيّرت رغبتها بتسميتي (حجـاب) مع حرصها عليها بِرّا بأمها ، وسمّتني (إبراهيم)!

ولكنْ ! ماذا بعد ولادتي ؟! تفاجـأت أمـي ووالـداها – رحمهم الله تعالى جميعًـا–بـأن المولـود الجديـد يحمـل عيبًـا في قدميه!

وللحديث بقية ...





بين يديّ شقيقتي لولو سلمها الله ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م

٥- مَيلُ قَدَميّ عند ولادتي

بعد ولادتي تفاجأت أمي نورة – رحمها الله – بعد ولادتي بأمر أقلقها !

نعم فالذي فاجأها ووالديها ! أنني خرجتُ من بطن أمي – رحمها الله – مائل القدمين ؛ فقد كانت قدماي ملتفتين

إلى الداخل ، مما يعني عدم قدرة هذا الطفل على المشي ! فكيف سيتخلف عن أقرانه؟ وكيف سيعيش مع باقي إخوانه؟! – خاصة مع وجود أخوين لي غير شقيقين قد وُلدا قبلي بأيام قليلة – فما كان من أبي – حفظه الله - وجدي – رحمه الله – إلا أن اتفقا على المبادرة في العلاج مهما كان الثمن! وأنّى كانت معاناة الطفل من الألم ! ولكن عاطفة أمّي – رحمها الله – على مولودها سبقت، فلم تتحمل بكاءه ، ولا آلام فحوصاته ، وما يصحب ذلك من الإجراءات ، ولذا كانت أمي نورة – رحمها الله – عندما تفتح مهادي تواري قدميّ عن أنظار أبي – حفظه الله – وتطلب من (أم إبراهيم) ذلك؛ لئلا يرى أبي وضع القدمين فيعالجهما! خوفًا منها عليَّ من ألم العلاج، ورحمةً منها – رحمها الله –بطفلها ، غير أن إخفاءها مرضي لم يستمر طويلا ، فقد علم أبي بالأمر ! بعد خمسة عشر يومًا من ولادتي، وهنا حاولت أمي – رحمها الله - جاهدةً إقناع زوجها وأبيها بتأخير العلاج !

حتى يكبر طفلها قليلا ! لكنّ حـزمَ الـرجلينِ غلـبَ عاطفـةَ المرأة !وهنا استشار أبي طبيبًا شعبيًا (من أهل سدير) فـأخبره أنه لو رأى الطفل في يوم من ولادته لعالجه في جلـسة واحـدة ! ولكن الأمر الآن اختلف ! وهذا ما جعـل أبي – حفظـه الله – يستشير طبيبًا لبنانيًا مشهورًا آنذاك ، وهـو الـدكتور (عبـد الله الرايس) الذي أصبح فيما بعد وزيرًا للداخليـة في لبنـان ، فأشار عليـه هـذا الطبيـب أن يراجـع بي طبيبًـا مميـزًا في هـذا المجال ، حتى قال له: إنـه مميـز لـيس عـلى مـستوى المملكـة فقط، بل على مـستوى العـالم أجمـع، وهـو الـدكتور(كميليـو سعد) طبيب يحمل جنسية أمريكية، ذو زوجة لبنانيـة ، وبعـد اطلاع الدكتور (كميليو سعد) عـلى وضـعي قـرر أن قَـدَمَيْ الطفـل بحاجـة إلى (حــذاء خــاص) ، بحيــث يكــون بــين الحذائين حديدة صلبة مستقيمة تمنع من ثني القـدمين، حتـى تعتاد القدمان الطريّتان على الاستقامة في الوضـع الطبيعـي ، وفعـلا فقـد عـشت في هـذا الحـذاء الحديـدي عـدة أشـهر!

والضحية في ذلك زينة الدنيا (لولو) التي كانت تتحمل عناء ذلك ، فقد كانت تحملني معها أثناء لعبها مع الأطفال! وتتحمل تقلبي بجوارها وضربي جسدها بما أحمل من حديد أثناء نومنا؛ لأن إخوتي يتحاشون قربي في النوم (يوم كان نومنا في غرفة واحدة، على الأرض في فُرش متقاربة) ولولو وحدها كانت تتحمل النوم بجواري ! حتى حدثتني (لولو) أنها كانت تذهب هي وإخوتي وأخواتي (الأشقاء وغيرهم) وهم أطفال مع والدي – حفظه الله- لمحلات والدي التجارية في شارع الغرابي، فما أن تقف سيارة والدي حتى يتواثب الأطفال من السيارة فرحًا بالسوق، ولولو الأخيرة نزولا من السيارة ؛ لأنها تحملني بحذائي الثقيل ، فيصعب عليها مجرد النزول،وحينئذ يكون الأطفال قد ابتعدوا عنها ، وبعد نزولها من السيارة تتعب الفتاة (النحيلة جدًا) من حمل الطفل (الممتلئ) وحذائه الحديدي ! فترجع تنتظرهم في

السيارة ! تاركة اللعب واللهو المحبب إلى نفسها ؛ بسبب ما تحملت من مسئولية!

آهٍ يا لولو ! منذ صغركِ وأنت تخففين عن أمي نورة – رحمها الله – آلامها ، فَشَكَرَ الله لك أيتها البنت البارّة ، ورحم الأم الحانية.

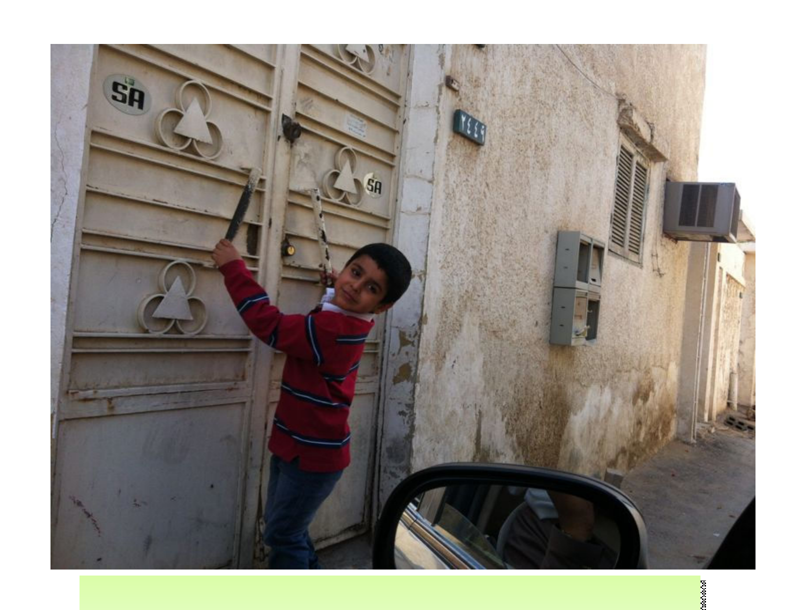
بنت الأصيلهْ دوم تطلع أصيلهْ	والمهره العليا أبوها حصاني
ذي بنت نوره سالمة من رذيلهْ	والزهر يثمر في فسيح الجناني
ربيت يمه قرتك ذي الكحيلهْ	لولو يايمه ناصعه بالبياني

(أبيات من إحدى قصائدي المتشرفة بـ" لولو " كُتبت في تأريخ ٢٦/ ١٠/ ١٤٢٥هـ)

وكأنّي بأمي ووالديها – رحمهم الله جميعا – وبأبي ومعهم (لولو) يعيشون فرحة صبرهم ، ولذة تحملهم ، وهم يرون (إبراهيم) يخطو خطواته الأولى في وقتها المحدد مع أترابه ، متزامنا مع أقرانه ، إذ بَرِئ تماما من تداخل القدمين ،

مما جعل أمي نورة – رحمها الله – تردد عند ذكر هذه القـصة ، ذاكرة فضل أبي وجدي : " الحمد لله إنهم ما سمعوا كلامـي ، وتركوك دون علاج " !

ومن مظاهر فرحة أمي نورة – رحمها الله – وأهـل بيتـي بعافيتي أنهم احتفظوا بحذائي الخاص في بيـت جـدي إلى أن انتقل الحذاء بعد وفاته – رحمه الله- إلى بيت أمي – رحمهـا الله - ثم أخذتُه معي في بيتي ورآه الكبـار مـن أولادي، ولكننـي فقدتُه – مع الأسف – قبل سنوات قليلة. آهٍ يا ذلـك الحـذاء! طالمـا كنـت أراه، وأجـدِّد حمـدي الله تعـالى عـلى العافيـة ... وللحديث بقية



باب بيتنا في شمال المربع

٦ـ يومٌ دراسيٌّ مع أمّي نورة

كانت أمّي نورة - رحمها الله – في الغاية من العناية بأولادها الخمسة (لولو، وغانم، وعلي، وإبراهيم، وصالح) حتى لا تكاد تترك صغيرة ولا كبيرة إلا وفّرتها لنا ، وهيأتها لننعم بالعيش الآمن ، ونتفرغ للدراسة، فمن ذلك أنني لا أذكرُ أن أمي – رحمها الله – أيقظت واحدًا منا بصراخ أو عتاب ، فضلا عن الضرب الذي لا يعرف إلى يديها سبيلا !

بل كانت توقظنا بكل حنان ، ولطف مصحوبين بالدعاء! وعند اجتماعنا على سُفرة الحليب كل صباح ، كانت – رحمها الله – من مزيد العناية بنا قد سنّتْ سنّة في إعداد الحليب لنا، عُرفت بها فيما بعد ؛ حيث كانت تأتي بالحليب الساخن والأكواب التي بعددنا الخمسة ، وتزيد كوبًا أو كوبين لغرضٍ آخر ، يمكن أن أسميه الآن (كوب الرحمة) ! بحيث تقوم بترديد سكب الحليب بين الكوبين لتكسر حرارته ، فيشربه الواحد من أولادها دافئًا ، وبذلك تضمن – رحمها الله – أن طفلها لن يتعذر عن شرب الحليب لحرارته ، كما أنه لن يشربه حارّا فيؤذيه ! فيا لله كم كان قلبها كبيرًا ! والعجيب أن هذا العمل يتكرر معنا كل صباح دون أن تشعر – رحمها الله – بأدنى ملل ، أو تبدي أي ضجر ! كانت هذه الأحداث متكررة يوميًا دون انقطاع لأعوام عديدة، في حدود الأعوام (١٣٩٥هـ – ١٤٠٥هـ).

ولكون هذا الأمر كان مما تميّزت به أمي نـورة - رحمهـا الله – وعُرفت به ، فقـد صـارت الأحـداث المـشابهة لهـا العمـل تُذكِّر بها وبعملها الرائد ، ومن ذلـك أن خـالتي أم إسـماعيل (زوجـة والـدي) حـدّثتني قبـل أشـهر أي في مطلـع عـام (١٤٣٤هـ) أن ابنهـا الكبـير أخـي (إسـماعيل) جـاء ليفطـر عندها إفطـار عاشـوراء، وأرادت أن تخدمـه فقامـت بتبريـد (الشوربة) في باديتين (على طريق أمي نورة) تقـول: فـذكرت نـورة وتبريـدها الحليـب لأولادهـا ، فبكيـتُ وخصـصتُها بالدعاء في وقت الإفطار ! سبحان الله تـذكرها ضرتهـا باكيـة داعية لها ، ذاكرةً منقبة من مناقبهـا، مـرَّ عليهـا مـا يزيـد عـلى الثلاثين عامًا! وهنا كانت خالتي(أم إسماعيل) تمسح دموعها قائلة : والله فقدناك يا نورة ، الله يرحمك يا نورة !

ونظرًا لما لهذه الطريقة الرحيمـة أعنـي تبريـد الحليـب مـن تمكّن في نفس أمي نورة – رحمها الله –فقـد اسـتمرت معهـا ، وانتقلت بها من أولادها إلى أحفادها ، فهـا هـم أولاد أختـي

لولو عندما تكون أمهم نائمة عند أمي نـورة رحمهـا الله لأي ظـرف نحـو سـفر والـدهم ، أو نفـاس أمهـم ، فـإن هـؤلاء الأطفال (عبد الله، ومشعل، وهيفاء) ينالهم من تبريد الحليب ما نال أمهم وأخوالهم مـن قبـل! وهـو مـا علـق في ذاكـرتهم حتى بعد وصولهم إلى الجامعة وتخرج بعضهم فيها.

وعودًا على اليوم الدراسي مع أمي نورة - رحمهـا الله – فبعـد أن نتناول الحليـب (عـلى الطريقـة النُورية) ونهـمّ بـالخروج للمدرسة تقوم - رحمها الله – مرتدية (جِلال الصلاة) وتقـف بباب الـشارع ترقبنـا بلحظهـا ولا تغلـق بـاب البيـت حتـى ندخل باب مدرسـتنا الواقعـة في آخـر الـشارع ! ولـو سـألنا مدرسـة محمـد بـن القاسـم الابتدائيـة في حـي شـمال المربـع لأخبرتنا كـم كانـت أمـي نـورة – رحمهـا الله – ترقـب تلـك المدرسة بنظرها حتى تواري أسوارها الرفيعة فلذات كبـدها! الله كم هو رائع الشعور بالأمان والاطمئنـان الـذي يـصحبنا ونحن نرى مصدر أمِننا (أمّنا رحمها الله) وهي ترعانا بعينهـا ،

حيث جمعت بين الحشمة والحياء من جهة ، وبين الرحمة والحرص على الأبناء من جهة أخرى !

وإذا حان وقت الظهر وكان خروجنا من المدرسة ركضنا إلى البيت بشغف! تَسُوقنا فطرتنا إلى التوجه مباشرة إلى البيت، فلا مرور على مطاعم ، ولا نزول في بقالات على الطريق ! وإنما التوجه إلى البيت ، حيث خاصية من خصائص بيتنا وقت الظهيرة ألا وهو مذياع أمي نورة – رحمها الله –الذي كان يستقبلنا يوميًا بصوته الروحاني حيث المصحف المرتّل للشيخ (ابن سبيّل) – رحمه الله – صوت يملأ البيت كله اطمئنانًا وإن كان مقر المذياع المطبخ حيث تمضي أمي سحابة نهارها في إعداد الغداء لنا ، لكنه يملأ جنبات البيت الصغير في حجمه الكبير بقيِّمته ، العظيم بملِكته ومدبِّرة شؤونه (نورة) - رحمها الله – بيت مكون من غرفتي نوم ؛ غرفة أمي وأبي ، والغرفة الأخر يغرفة بقية العائلة (لولو وغانم وعلي وإبراهيم وصالح) ، والمقلّط، والمجلس، والبلكونةوهي

المتنفّس لنا، ذات السور القصير المزين بحوض زراعي لا تتجاوز مساحته قدر (شبر في متر) ! لكن هذا الحوض- مع صغره - كان يزدان بأعواد الريحان ! الذي يملأ بعبقه المكان، تطل هذه البلكونة الأرضية على الحوش ذي الأمتار القليلة الذي كنا نعدّه ملعبًا دوليًّا يتسع لمبارياتنا الكروية كل يوم ! إذْ كنا نلعب فيه نحن أبناء أمي نورة – رحمها الله – ونستضيف فيه باقي إخواننا (غير الأشقاء) ، وبطبيعة الحال كنا نستضيف بعض أولاد الجيران! الكلّ كان في هذه المساحة الصغيرة ! ولا أذكر يومًا من الأيام أن أمي – رحمها الله – تضايقت من لعبنا أو استضافاتنا ! وكأننا لا نزعجها وقت الظهيرة ، أو العصر ، أو ربما ما بعد المغرب!

وفي ليالي الشتاء إذا استدعى الأمر أن (تروّش) الأم الحنون أطفالها قبل النوم فإن الأم المجتمعة رحمة المليئة شفقة ورأفة أمي نورة - رحمها الله - لا ترضى أن يبيت الأطفال دون نظافة، ولا تسمح نفسها أن يتعرضوا للبرد ، فتلجأ إلى

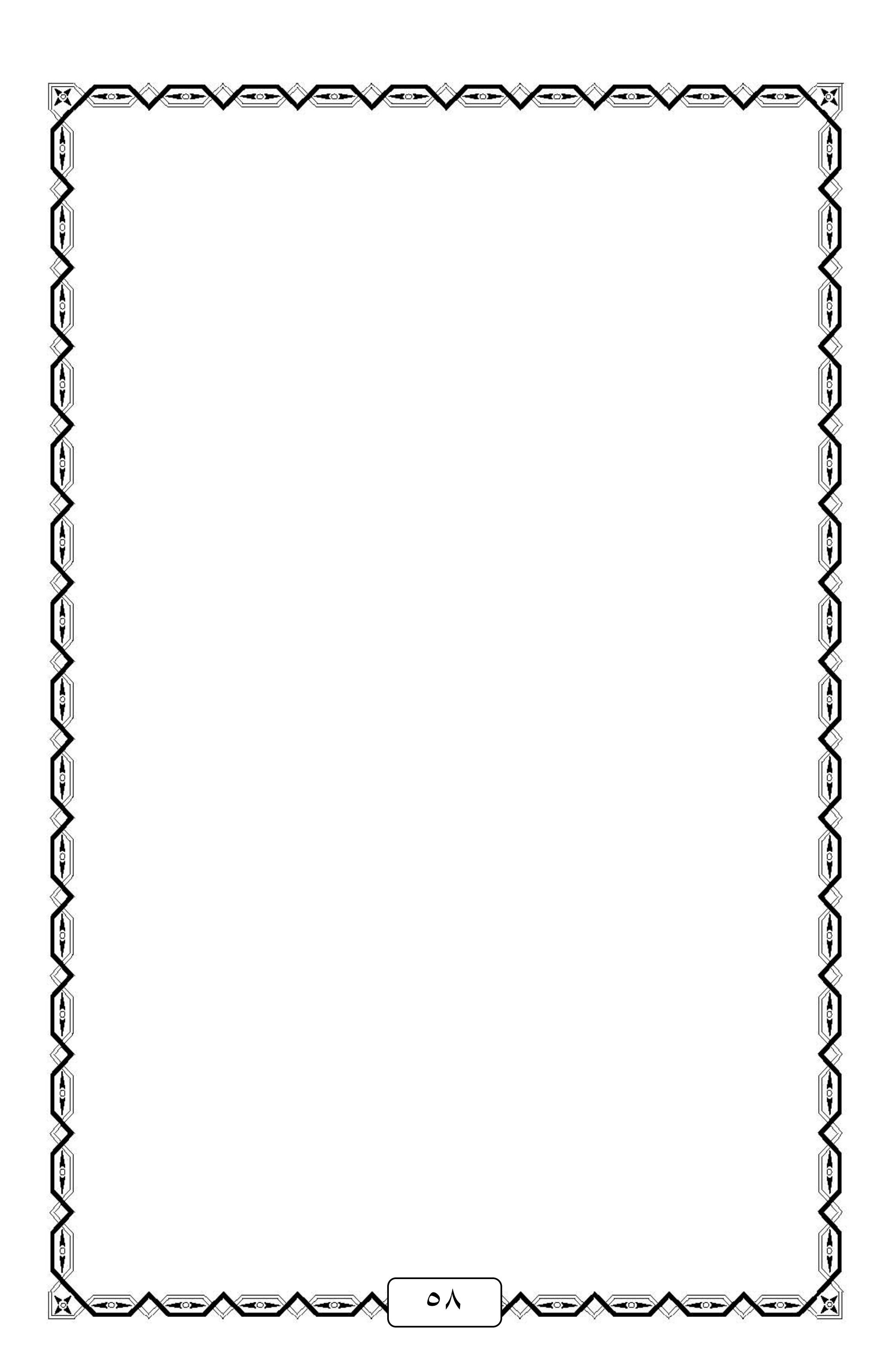
طريقة تنظيف خاصة ، حيث كانت تتخذ عدة إجراءات للوقاية من البرد أثناء التنظيف ، فمن ذلك أنها تجهّز الغرفة بالدفاية ، وتأتي بالماء الدافئ في إناء واسع كبير ، وتجهّز الفوطة والملابس ، و(تروّش) الواحد منا داخل الغرفة بالقرب من الدفاية، بحيث تجفف أجسادنا، ونلبس، وننام مباشرة!

وإذاكان وقت الخلود إلى الراحة والسكون للنوم فإننا نبيت مع أمي نورة - رحمها الله – على وضعين اثنين ؛ إمّا أن يكون أبي – حفظه الله – عند أمي تلك الليه ، بمعنى أن الليلة ليلتها ، فهذا يعني أننا لن ننعم معها بنوم، لنومها في غرفتها الخاصة التي لا نكاد ندخلها ، إجلالا لأبي ، وحفاظًا على نظافتها وخصوصيتها ، وهي ليلة تتكرر كل أربع ليال ؛ لأن أمي - رحمها الله –كان يشاركها في أبي ثلاث زوجات ، وفي الليالي الثلاث التي لا يكون أبي عند أمي تأتي الأم الحنون تاركة سريرها الذي هو بطبيعة الحال أريح لها ،

وأوفر ، وأكثر راحة ، وأقل إزعاجًا ، تأتي لتتوسطنا في النـوم على الأرض بين الفرش ! وليت الأمر يقف عند هـذا الحـدّ ! ولكننا بحكم طفولتنـا وربـما مـا نـسمع مـع الأصـدقاء مـن القصص المخيفة من نحو (السعلو ، وعوّف ياالله، وأبوعيـون خطوط!) وغيرها من الأسـاطير الـشائعة تلـك الأيـام ،كنـا بسببها لا نشعر بالأمن إلا في حال كانت (أمـي نـورة) يقظـة بيننا لم تَنَمْ بعدُ ! ولذلك فصار عادة لنـا بـين حـين وحـين أن يسألها أحدنا : يمّه نمتِ ؟ فيكون اطمئنانا بجوابهـا ، وسـماع صوتها ! وربما كانت مجهدة أونائمة فتـسمع الـسؤال الخـائف من أحد الأبناء فتغالب نومها لتجيـب بعـدم نومهـا ليطمـئن ولدها ! وليت الأمر يقف عند ذلك ! حيث إننا نحن الأبنـاء (وربما أنا وصالح على وجه الخصوص) نعيش حربًـا بـاردة ! ذلك أن أمي نـورة – رحمهـا الله – كانـت تتوسـط بجـسدها الطاهر المليء بالرحمـة والـشفقة عـلى أولادهـا ،تتوسـطنا في نومها لتوزع دفأها وحنانها بيننا بالتساوي ، ولكنّ مَنْ يقـرب

منها يطمع بالمزيد ، ولذلك كنا نزعجها – سامحنا الله – وربما نوقظها من ألذ نومها في بدايات غفوتها بقول الواحد منا : " يمّه خلِّي وجهك عندي " فإذا كانت نائمة على جنبها الذي يلي (صالح) كنت أنا من يقول ذلك ، والعكس بالعكس ! وهكذا تتقلب بين جنبيها إرضاء لولديها ! حتى يغلب النوم أعين الصغار ، ولا يستيقظون إلا دعوات الأم الرؤوم ، وكأس الحليب الساخن الذي سيمرّ الآن بعملية التبريد ، على (الطريقة النُورية) ليبدأ يوم دراسي جديد ، بكل ما فيه من تفاصيل !

وللحديث بقية ...





من ذكريات الماضي الجميل

٧ـ عناية أمّي نورة ـ رحمها اللّه ـ بوالدي حفظه اللّه

أتعجَّبُ كيف كانت عناية أمي نورة – رحمها الله – بوالدي على درجة كبيرة ، تكاد تصل (حدّ التقديس) ! أقول ذلك غير مبالغ ، ودليلي في ذلك عدة صور تحتفظ بها ذاكرتي منذ الطفولة (وذاكرة الطفل صادقة) ، فمن تلك الصور أن الليلة التي يكون فيها مبيت أبي – حفظه الله – عند أمي – رحمها الله – أن تلك الليلة تكون مميزة من غروب الشمس،

وذلك بمزيد العناية بنظافة المكان، وبرائحة البخور التي تملأ البيت، وبالعطور التي تفوح من غرفة أمي – رحمها الله – كل ذلك قبل وصول أبي من محلاته التي يمضي فيها نهاره (باستثناء الظهر) وجزءا من الليل، يعود أبي لتستقبله أمي – رحمها الله – بتلك الروائح الزكية، وبالعَشاء المعدّ على أحسن وضع، (المطبوخ) طبخًا في البيت، حيث لا طلب من المطاعم، ولا اكتفاء بحواضر البيت، والجاهز من المعلّبات!

والعجيب أن أحد جيراننا في ذلك الوقت – حي يرزق حفظه الله - كان يقول مقولة اشتهرت تلك الأيام ؛ إذ يقول:" أعرف الليلة التي يكون فيها أبو غانم عند أم غانم من روائح البخور التي تفوح من البيت من بعد صلاة العشاء " !

وإذا كان من الغد حيث وقت الغداء فروائح الأكل المميز الأصيل ببهاراته، تكاد تجذب المارّة في الشارع فضلا عن

أهل البيت، وعندها نجلس باحترام عجيب بين يدي والـدي – حفظـه الله – الآن علمـت أن منـشأ ذلـك الاحـترام هـو ما نجده من طريقة التعامل (شبه المقـدّس) الـذي يحظـى بـه والدي من قِبل زوجته الرائعـة أم أولاده نـورة – رحمهـا الله- وهنا أذكر جانبًا من غدائنا في حضرة الوالد حيث الرز بنكهـة خاصة كأنني أتذوق طعمه الآن ! الـرز الـذي قـد حفّـت بـه الكوسا ، واللوبيا ، والبطاطـا، والبـزار ، وعـلى الـسفرة إدام الباميا ، الذي لا أعلم هـل مـذاق ذلـك الإدام في المعـدة ؟ أم في الدماغ ؟! طعم جعلني حتى الـساعة أفـضل إدام الباميـا، وإن اختلفت الطعوم! هـذا فـضلا عـن إتقـان أمـي نـورة – رحمها الله – طبخة (الجريش) إتقانًا جعلها تحمل الاسم نفسه حيث تعارفنـا عـلى اسـم (جـريش أمـي نـورة)، ونعنـي بـه الجريش المتصف بعدة صفات، فهـو الجـريش المتماسـك، ذو البزار العبق الرائحة، الموضـوع في البـوادي الخاصـة، إضـافة

إلى تفننها – رحمها الله – بالقرصان المصحوب بقطع اللحم، المزوج بأصناف الخضار المطبوخة مع القرصان، بطريقة أخّاذة، مع العناية الفائقة في شكل صف (السفرة)، وتوزيع بوادي الجريش بإتقان، لأن أمي نورة – رحمها الله –كانت كثيرًا ما تقول لنا: " العين هي التي تأكل ، وليس البطن " ! تقول ذلك لنا؛ لتحثنا على الإتقان في إعداد الطعام، وفي صفه، وفي نظافة المكان، وهذا ما تعلمناه منها – رحمها الله – عمليًا.

الله ما ألذّ تلك السفرة ! وما أطيب ما فيها ! وما أغلى الجالسين حواليها ! سيد الجلسة أبي – حفظه الله– وأمي ربّة المنزل المتقنة– رحمها الله – والفتاة المؤدبة المتعلمة المثقفة (لولو) ، والأبناء الأربعة (غانم ، وعلي ، وإبراهيم ، وصالح)، الجميع في المقلّط الذي كنا نراه أوسع الغرف ، وهو في الواقع لا يتجاوز مترين في أربعة أمتار، لكنه يزدان

بتيار الهواء الطبيعي النافذ من خلال فتح البابين الشرقي والشمالي، وكأننا تحت تبريد أحسن المكيفات عالية الجودة !

وأثناء وجبة الغداء لا أزال أذكر ترديد والدي – حفظه الله – النكت والطرائف، ونحن في غاية الضحك على نكته، حيث لا يزيدها التكرار إلا استحسانًا، فكم مرة كان والدي يمسك قارورة البيبسي، أو كأس اللبن، ويمدّه إلى أحدنا فإذا أراد الواحد منا تناوله يقول والدي ممازحًا : خذ بالك من أولادك ! (على طريقة عادل إمام المشهورة)، ونضحك رغم أننا أكلنا هذا المقلب من والدي ما يقارب مئة مرة ! وكثيرًا ما كان أبي في جلسة الغداء يذكرنا بقصة أحد معارفه يوم كان صغيرًا الذي كان يقول لأهله وقد بقي لقمة أخيرة في الطعام:"أويلاه، خلوا لي هاللقمة"، يقصد هذه الردة من الأكل ، فنضحك عند سماع هذه النكتة في المرة السبعين كضحكنا عند سماعها في المرة الأولى! والذي يزيد حسنها

وجمال وقعها أن والدي يستشهد بها كلما تكلم أحـدنا بكـلام فيه لثغة ، ومن ذلك ما كان يكـرره أبي مـستملحًا مـن إيـراد قصة أخي (علي) عندما رأى أحد أطفال عمي وقـد جَرحـت زجاجةٌ مكسورةٌ قدمَه فأدْمتْها ، فقال علي (بلثغتـه آنـذاك) :" لو هو أنا كان أنقَّها !"، والترجمة : لو كنت مكان هـذا الطفـل لقفـزت فـوق الزجاجـة ، ومـا أصـابني الأذى! فطالمـا ردَّد والدي على مسامعنا : " كان أنقَّها"! أمّا أخي (صالح) فلأنـه أصغر الأولاد (القِعدة) فكلّ شيء منه محبَّب ، على حـدّ قـول أمي – رحمها الله – : " القِعدةْ ، حُبُّه رِعدةْ " !

ومن أحاديث (القِعدة) ما يردّده أبي – حفظه الله – كثيرًا مـن طرافة القصة التي مرّت به عندما كـان يقـوم بتـدريس أخـي صالح (القراءة والهجاء) في درس الأفعـال : يـزرع ، يحـصد، ينـــام، يـــضرب، وأمـــام كـــل كلمـــة صـــورة معـــبّرة، والطفل(القِعدة) كـان فـيما يبـدو يقـرأ الـصور لا الكلـمات!

بدليل أنه لما وصل إلى كلمة (يضرب) ورأى الصورة المعبّرة (صورة رجل معه عصا يضرب بها) فقرأها صالح : (يَلْسُطُ)! وهنا لا تسل عن ضحك والدي – حفظه الله – من هذه القراءة الخاصة ! التي لا يزال يذكرها والدي حتى اليوم وقد صار الطفل (القِعدة) مدرِّسًا في المرحلة نفسها ! هذه القصص وأمثالها تزيد جمالا بابتسامة أمّي نورة – رحمها الله – المشرقة، عند سماعها على مائدة الطعام العامرة الجامعة.

وبعد وجبة الغداء هذه يخلد والدي – حفظه الله – للقيلولة ، وعندها لا يحتاج أبي أن ينبهنا نحن الأطفال إلى عدم الإزعاج؛ لاعتماده على مَنْ ربّتنا فأحسنت تربيتنا، وعوّدتنا على احترام والدنا وعدم إزعاجه لا سيما في حال نومه، وما أن يستيقظ والدي – حفظه الله – مع أذان العصر إلا ويجد أمي – رحمها الله – قد أعدت له قهوة العصر ،

وتوابعها ، والشاي ذلك المشروب الأساسي بالنسبة لوالـدي الذي لا بد من تناوله قبل أن يخرج لمحلاته التي يمـضي فيهـا غالب وقته ، حيث يخرج من أمي – رحمهـا الله – مـع صـلاة العصر ليعود إليها بعد ثلاث ليالٍ بعد العِشاء.

وهنا يمكنني أن أصـف غرفـة والـدي– حفظـه الله – المعـدّة بعناية مـن قِبـل زوجتـه الـصالحة أمـي نـورة – رحمهـا الله – شريكته في الحيـاة وفي الغرفـة، فالتـسريحة تـزدان بـالعطور ، وبالكريمات المعروفة في ذلك الوقت، والسرير يتغـير مفرشـه في كل ليلة يأتي فيها الوالد – حفظـه الله – والمخـدّة الطويلـة (أم نفرين) تزيد جمـال الـسرير بغطائهـا المتجـدد المـزدان بـما نُقش عليها من الورود.

ولا أذكر طوال حياتي أنني رأيت في تلك الغرفة ورقة عـلى الأرض ، أو أمرًا يحتاج إلى إصلاح ، أو غبارًا ، أو نحو ذلـك، وما ذاك إلا للعناية الدائمة ، والصيانة المتكررة لتلـك الغرفـة

التي سيدخلها مَنْ التعاملُ معه (شِبه مقدّس) !غرفة لم تطأها أقدام الخادمات، غرفة قد حظيت بعناية خاصة ممن ترى وجوب العناية بالزوج ومتطلباته.

ومن أبرز مظاهر عناية أمي نورة – رحمها الله – بوالدي قيامها بإكرام ضيوفه، والعناية بالمناسبات والولائم التي يقيمها والدي – حفظه الله – بين الحين والآخر، والعجيب أن والدي – حفظه الله – كان يقيم مناسباته في بيت أمّي – رحمها الله – في اليوم الذي يبيت عندها، وفي غيره من الأيام! مع توافر المجالس في البيوت الأخرى، يطلب أبي من أمي – رحمها الله – إعداد الوليمة ، فيكون الطبخ في المنزل، والقهوة، والشاي، والبخور، يزين مجلس الرجال، وأبي سيّد في مجلسه جالس مع ضيوفه، حتى إذا تمَّ إعداد السفرة جاء لينظر إليها ويدعو الضيوف للدخول، وقد رأى من حسن

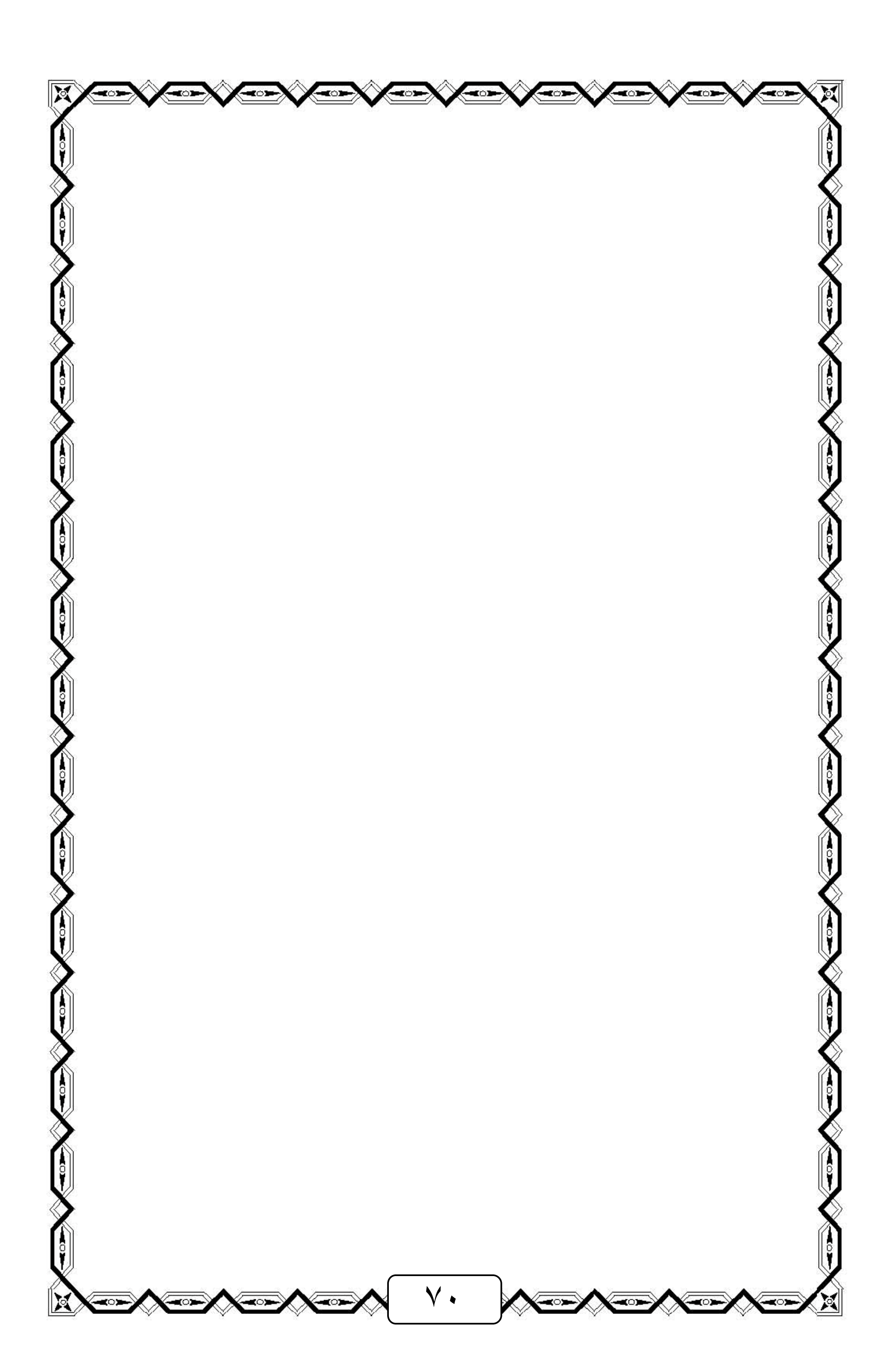
الترتيب ما يدعوه إلى الفخر، ببيته وربّة بيته أمي نورة – رحمها الله –

أذكر أنني كنت أتحدّث مع إحدى خالات والدي – رحمها الله – في حياة أمي نورة – رحمها الله – وأيام نشاطها ، فجاء ذكر أمي عند خالتي – رحمهما الله جميعا – فقالت : " والنعم بأمّ غانم ، تحشم ولد أختي ، وتقود وجهه " ، وأضافت خالة والدي في حديثها عن أمي نورة - رحمهما الله - : "حبيبة، ليّنة، طاهر قلبها، ما بها غِلّ " وذلك مما رأته من عناية أمي – رحمها الله – بزوجها الذي هو ابن أختها.

ومن مظاهر عناية أمي نورة – رحمها الله – بزوجها عنايتها بأهله من أمّ وأخوات، وأقارب. ومن المواقف العجيبة جدا فيما يدخل في احترام أمي نورة – رحمها الله – زوجها وأهله أن إحدى قريباتي– حفظها الله – حدّثتني بقصة مفادها أنها قالت لجدتي (هيلة أم والدي) – رحمها الله وحفظه - :" يا أم

عبد الله خلينا نروح لفلانة ، تعني إحدى قريباتي اللاتي هن أقرب لجدتي من أمي رحمها الله فرفضت جدتي – رحمها الله – الذهاب، فغيّرت تلك القريبة طلبها وقالت لجدتي – رحمها الله – : " طيب خلينا نروح لأم غانم "، فقالت جدتي (أمي هيلة) – رحمها الله – : " إن كان لأم غانم مشينا ! " سبحان الله !وهنا أتساءل ما الذي جعل (أم الزوج) تفضّل الذهاب إلى زوجة ابنها على الذهاب إلى من هي أقرب إليها منها؟! ما السرُّ في تعامل أمي نورة – رحمها الله – مع أم زوجها وأخواته، حتى يَرغبنَ في الذهاب إليها ، بل ويُفضِّلنَ ذلك على زيارة من هن أقرب إليهن منها ؟!

رحم الله الزوجة الصالحة التي قامت بحق زوجها خير قيام،... وللحديث بقية





الغضارة !

٨ـ قيامُ أمي نورة – رحمها اللّه ـ بكل ذي حاجة

من الصفات الرائعة التي حبا الله – تعالى– بها أمي نـورة – رحمها الله – رأفتهـا بكـل ذي حاجـة، وقيامهـا بـشؤون كـل محتاج، أيًّا كانت حاجتـه، وهـذه الـصفة تحمـل العديـد مـن الصور التي عايشها كل من خالط أمّي نورة – رحمها الله –

فمن تلك الصور ما نشأنا عليه في بيتنـا الـسابق (في شـمال المربع) حيث كان أمام بيتنا أرض فضاء (براحة) وقد أقام بهـا بعض أهل المنـاطق النائيـة عـن الريـاض بيوتًـا مـن خـشب

(صنادق)، ولأن أهل هذه (الصنادق) يفتقرون إلى الحاجات الأساسية من مثل الثلاجات ونحوها، فقد اعتدنا أن نرى من أمي نورة – رحمها الله – عملا صالحًا نشأ معنا منذ طفولتنا الأولى، ألا وهو قيامها – رحمها الله – بوضع كميات من الماء في (الفريزر) في أوانٍ صغيرة (طاسة) أو (غضارة) حسب ما كنا نسميها ذلك الوقت حتى تتجمد، وذلك ليسهل حملها وهي قوالب ثلجية، فتطلب منا – رحمها الله – أن نذهب بها إلى جيراننا الذي لا يملكون ثلاجات، وكم هي سعادتنا أن نذهب بالماء المثلج لأولئك الجيران، وكم هي كبيرة تلك الفرحة التي تلقانا بها جارتنا (أم يحي) أوغيرها من سكان تلك (الصنادق) حينما تبرّد عليهم أمي نورة – رحمها الله – لهيب الصيف ، ووهج سقف بيوتهم (الشينكو) المشتعل بانعكاسات الشمس الحارقة! عمل يتكرر يوميا، والآن عرفتُ أنه عمل لم تكن ترجو منه أمي نورة – رحمها الله – من الناس جزاء ولا شكورا، عمل يُقدَّم إلى فئة لم تكن

تأمل من ورائها ردَّ جميل ، ولا تبادل مصالح ، ولا طمعًا في حصول منافع دنيوية!

ومن الصور التي تجلي صفة عناية أمّي – رحمها الله – بمن يحتاجون العناية - أيا كان شكل تلك العناية - أن امرأة من جيراننا كانت أمي نورة – رحمها الله –تتعاهدها بين الحين والحين بهدايا ، وطعام من طعامنا ، يُغرف لها من أصل الطعام ، ويصل إلى تلك المرأة قبل أن نشرع نحن في تناول طعامنا، حفاوة (خاصة) بتلك المرأة؛ ذلك أنها من ذوي الجاه واليسار، لكنها عقيم لا يُولد لها، وهذا سرُّ عناية أمّي – رحمها الله – بها حتى كأنها أخت لها، ولا أذكر أن أمي – رحمها الله – كانت تزور أحدًا من الجيران في بيوتهم كزيارتها الخالة (لطيفة) هذه، وأما إرسال (الجريش) لها بالأواني الفاخرة عند الظهيرة فأكثر من أن أحصيه، جريش مزدان بالبزار الذي تسبق رائحته رؤيته، موضوع في بادية خاصة يعلوها غطاء يزيدها جمالا ، وفوق البادية وغطائها منشفة

المطبخ النظيفة الخاصة بتغطية الأواني، تفاصيل أذكرها في مجملها وإن كان بطل تلك المهمات في الغالب هو أخي (علي) – حفظه الله تعالى – الذي كان له مع جارتنا هذه وغيرها من أهل حارتنا بعض المواقف التي تُحفظ وتُروى مشافهة فقط ، وبعضها مواقف تُطوى ولا تُروى بسبب ألفاظ وتصرفات ناتجة عن براءة الأطفال آنذاك! والعجيب هو قدرة أمي – رحمها الله – على احتواء تلك المرأة العقيم ، بتلمّس حاجاتها دون المساس بكبريائها، وتفقُّدُها دون التدخل في خصوصياتها، وإكرامُها دون الإشعار بحاجتها إليها.

ومن الصور الرائعة في عناية أمي نورة – رحمها الله - بكل محتاج قيامها بالعناية الخاصة بأقارب والدي من الشباب الذين يقدمون إلى الرياض للدراسة، حيث لم تكن ثقافة الشقق المفروشة آنذاك، بل كانت بيوت الأقارب في كل بلد هي محل إقامة أقاربهم عند السفر، والطريف في الأمر أننا اعتدنا أن يكون بيت أمي – رحمها الله – من بين بيوت

والدي الأخرى، هو محل إقامة الأقارب المسافرين، وإن كانت إقامتهم تمتد أحيانًا أشهرًا ، وربما عدة سنوات، وهنا أذكر ما رواه لي ابن عمي (إسماعيل) مما لم تسفعني ذاكرتي الطفولية في تذكره، حيث كان ابن عمي هذا من الجيل الأول الذي أتى لإكمال دراسته في الرياض، والذي استبشر باستضافة والدي – حفظه الله – في بيته ، وهنا تبدأ مهمة أمي نورة – رحمها الله – في إعداد الطعام للطالب الشاب حسب أوقات حضوره للبيت، مع تهيئة فراشه في المجلس، والقيام بما يلزمه من غسيل ملابسه وكيّها، وتعليقها له في محل إقامته نظيفة مكويّة، حتى إذا عاد من دراسته وجد حاجاته جاهزة بخدمة (الخمس نجوم) المنزلية! كل ذلك يحدّثني به ابن عمي وقد مرَّ على هذه التفاصيل ما ينيف على الثلاثين عامًا، يرويها كأنها حدثت له يوم أمسِ ؛ وما ذلك إلا لحُسنِ وقعِها على نفسه يوم كان محتاجًا لتلك الخدمة، يذكرها الآن وقد كبُر وأثرى، وصار بفضل الله جَدًّا!

ومثل هذه الأحداث يـذكرها أيـضًا ابـن عمـي (صـالح) ذاكرًا استضافة والدي – حفظه الله –له ، وقيام أمـي نـورة – رحمها الله – بشئونه، ويضيف: "كانـت أمـك نـورة – رحمهـا الله – تعاملنا مثل أولادها ، لا نشعر بالفرق أبدًا، حتـى كأننـا مـا سـافرنا ولا تركنـا أهلنـا "! ذكريـات يرويهـا لي، لم أكـن أذكرها بحكم صغر سني آنذاك، لكن الذي يرويهـا كـان قـد عاش حلاوتها يوم الحاجـة إليهـا، وهـا هـو ذا يعيـد ذكراهـا مصحوبة بعبق تلك الأيام!

ومن أعجب ما مرّ بي في هذه الصفة لأمـي نـورة – رحمهـا الله – أعني إكرام أقارب والدي من الـشباب الزائـرين ، مـن أعجب ذلك ما حدّثني به أحدهم أنه كـان يفـضِّل المبيـت في منزل أمي – رحمها الله – على المبيت في منـزل إحـدى خـالاتي (زوجات والدي) - حفظ الله الجميع – مع أن زوجة والـدي تلك مَحْرَمٌ له ! لكنه – حـسب روايتـه لي بنفـسه – يقـول كنـا نأخذ راحتنا أكثر في المبيت في بيت (أم غانم) !

واستمرت هذه الصفة النبيلة؛ أعني عناية أمّي – رحمها الله – بمن يغتربون للدراسة في الرياض ! حتى بعد ما انتقلنا إلى منزلنا الحالي، وبعد ما انتشرت الشقق المفروشة، وتوسّعت الدنيا ، وتغيّرت الثقافة، لكنّ لُطف أمّي – رحمها الله – وما تناقله عنها (شباب العائلة) واحدًا عن الآخر أغرى بها ابن عمي (عبد الرحمن) الذي درس الكلية العسكرية ثلاث سنوات (في حدود عام ١٤٠٤هـ) وهو يخرج من الكلية عصر الأربعاء إلى منزل أمي – رحمها الله – مباشرة ، ولا يغادر المنزل إلا عصر الجمعة حيث الالتحاق بالكلية لقضاء أسبوع جديد داخل أسوار الكلية، أمّا ملابسه، وكتبه فكأني أراها اليوم في مجلسنا الذي صار هو ومنافعه خاصًا به، لا زلت أذكر كتب كلية الملك فهد الأمنية في بيتنا وكأنّ من بين أولاد أمي – رحمها الله – طالبا في العسكرية ! يحضر الطالب (عبد الرحمن) خلال إجازة نهاية الأسبوع ليدخل البيت متى شاء ، ويخرج متى شاء، فجناحه

الخاص تحت أمره، وفي كامل تصرفه. وعلى الطريقة نفسها : الثياب مغسولة، ومكويّة، ومعلّقة! لا يضايقه أحد في دخوله ولا في خروجه، بل إنه يستقبل ضيوفه وزواره في جناحه هذا ! ابن عمي هذا (الطالب) في الأمس (العقيد) اليوم، يقول : "والله إننا مقصّرون مع أمك نورة – رحمها الله – فقد كانت تقوم بحاجاتنا فوق ما يمكن وصفه " !

رحم الله أمي نورة ، وأذاقها برد العيش جزاء ما بـرّدت على أهل (الصنادق) حرّ معيشتهم، و قضى الله لها حاجاتها جزاء ما قامت بحاجات كل محتاج !

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى ...



والدي حفظه الله مع إخواني الصغار(أولاد أم عمر) في ضيافة أمي رحمها الله

٩ـ علاقة أمي نورة– رحمها الله–بزوجات أبي وأولادهن

في حدود عام ١٣٩٧هـ تسافر (خالتي) إحدى زوجات والدي لظروفها الخاصة سفرا يمتدُّ إلى أشهر متواصلة، وبحكم دراسة الأولاد من بنين وبنات وبحكم ظروف أخرى فإن خالتي تلك تضطر إلى ترك أولادها والسفر وحدها، ومنذ سفرها إلى حين عودتها فإن هؤلاء الأولاد يعيشون في رعاية أمي نورة – رحمها الله – مسكنهم

مـسكننا ، ومبيـتهم مبيتنـا ، وطعـامهم طعامنـا ، ومـشربهم مشربنا ، وزياراتنا واحدة ، وبيت أخوالي (جدي عبد العزيـز وجدتي مزنة) – رحمهما الله – الذي هو متنفسنا صـار متنفـسًّا لإخواني وأخواتي أيـام سـفر أمهـم ، الكـل يعـاملهم كـأنهم أولاد نورة أو أكثر! ولا زلت أذكر ذهابنا وإيابنـا معًـا ، فقـد زادت أمـي نـورة – رحمهـا الله – عـلى عـدد أولادهـا أربعـة آخرين إن لم تزد في رعايتها إياهم على أولادهـا فقـد سـاوتهم بهم !

وهنا أتساءل كيـف ارتاحـت خـالتي في تـرك أولادهـا طوال هذه المدة مع (جارتها – ضرتها) إلا لما لمسته مـن تلـك الجارة أمي نورة – رحمها الله – من صفات الطيبـة، والرحمـة، وحسن التربية، ولين الجانب، وهدوء الأعصاب.

والعجيب أن هذه المحبة المتبادلة بين أمي نورة – رحمهـا الله – وبـين زوجـات والـدي الأخريـات – حفظـه الله وحفظهن ورحم من تقدَّم منهن – محبة لم تكـن لواحـدة دون

أخرى، بل إن عموم زوجات والدي كنَّ يعاملن أمي – رحمها الله – معاملة الأخت، ومن مظاهر تلك الأخوة زياراتهن المتكررة لأمي نورة – رحمها الله – في منزلها، فلا زال (بيت المربع) يشهد تلك الزيارات ، و لا تزال قهوة الصباح ، وأحاديث العصر شاهدة على تلك الجلسات. زيارات امتدت حتى آخر الأيام في منزلنا الحالي وقد كبر الأولاد، فكبرت مع أمي - رحمها الله – وزوجات والدي العلاقات، وكثُرت الزيارات، مع رضاهن أن تكون غالب تلك الزيارات في بيت أمي – رحمها الله – دون أن يضطرهن إلى تبادل الزيارة ! وكأنهن – جزاهن الله خيرا – قد أنزلن أمي نورة – رحمها الله – منزلة الأخت الحنون، التي تُزار فترحِّب بالزائرات ، دون أن يشترطن شروطًا لتلك الزيارة.

بل ربما وصل الأمر من المحبة إلى أن تصحب زوجات والدي أمي – رحمها الله – في زيارتها الأسبوعية لأهلها حيث

(عبدالعزيز ومزنة) - رحمهما الله – حيث الكرم والاستقبال الحسن.

وإني أذكر في أواخر عام ١٤٢٤هـ تكرار زيارات خالتي (أم محمد) – رحمها الله – لأمي -رحمها الله – قبل وفاة أم محمد بمدة قليلة. زيارات ودّ وأحاديث أُنس، وابتسامات صادقة ، فهل يا تُرى كانتا تشعران أنها زيارات مودِّع ! أما أنا فكنت أتشرف بصبّ القهوة والشاي في مجلس أمي – رحمها الله – أمدُّ لها ولزائرتها الكريمة ومن معها من الأولاد الفنجال تلو الفنجال دون أن أشعر أنها زيارات الوداع!

وزيارات خالتي (أم إسماعيل) – حفظها الله – لأمي نورة – رحمها الله –زيارات – إن صحّت العبارة –خاصة ! زيارة ذات طابع قل أن أراه بين المرأة وجارتها (ضرتها) ! تكاد تكون الزيارة من أولها لآخرها ضحك في ضحك ، ضحك يصل إلى أن تدمع العين ضحكًا، ذلك أن أمي نورة

– رحمها الله – تطرب لأحاديث خالتي أم إسماعيل – حفظها الله – وتتذاكران المواقف الطريفة ، وأيام الحج الأولى وما كان فيهما من مواقف أحتفظ بذكراها الآن ، وإن لم يسمح وضع الكتابة بإيرادها !! ومن المتكرر في جلسات أمي – رحمها الله – مع خالتي أم إسماعيل – حفظها الله –أن أم إسماعيل كانت تردد عبارة (لا تغار نورة) ! ذلك أنني إذا دخلت مجلس أمي نورة – رحمها الله – وفيه الزائرة الكريمة – أم إسماعيل أقبِّل رأس أمي – رحمها الله - ويدها ، ثم أتوجه للسلام على خالتي أم إسماعيل فأنحني مقبلا رأسها فتقول ضاحكة مازحة مع أمي – رحمها الله – لا تقبّل رأسي (لا تغار نورة) ، ومع تكرر هذه العبارة في كثير من الزيارات تتكرر ردة الفعل الصادرة من أمي – رحمها الله – وهي الابتسامة المتقبلة هذه الطرفة ، ومن صدرت عنها.

وأما خالتي (أم ناصر) – حفظها الله – فكثيرا ما تقسم على أن أمي نورة – رحمها الله – أخت لها، وأنها تحبها ولم ترَ منها طوال عشرتها لها إلا الخير.

ولكن الحديث إنما يستفيض في علاقة زوجة والدي الصغرى (أم عمر) – حفظها الله – بأمي نورة – رحمها الله – حديث ذو شجوون ، حديث تختصره هذه الصورة التي مفادها أن أم عمر تزور أمي – رحمها الله – كل يوم من العصر إلى صلاة العشاء ! ولا تستثني من ذلك إلا اليوم الذي يكون والدي – حفظه الله –عندها فتستأذن خارجة من أمي – رحمها الله – مع أذان المغرب لأن والدي في هذه السنين الأخيرة صار يمضي المغرب في البيت ، زيارات يومية أو شبه يومية على الأقل، تأنس أم عمر بأمي نورة – رحمها الله – أنس الأخت بأختها الكبرى، وتستمع إلى أحاديث أمي نورة – رحمها الله - وتجلس مع ضيوفها الآخرين، حتى باتت أم عمر بالنسبة لأمي نورة – رحمها الله - أختًا حقا ،

وقد امتدت عناية أمي نورة – رحمها الله – بأم عمر إلى العناية بأطفال أم عمر التي تصطحبهم معها في زيارتها اليومية لأمي - رحمها الله – فالبسكويت مع الشاي لهؤلاء الأطفال عصرًا ، حتى إذا كان بعد المغرب فإننا نسمع مقالة أمي – رحمها الله المشهورة : " حطُّوا العشاء قبل ينام الصغار " تعني إخوتي عمر ومن معه.

ومن المواقف الطريفة الدالة على عناية أمي – رحمه الله – بزوجات والدي أنه حصل ذات يوم أن زارت زوجة لوالدي (غير سعودية) أمي – رحمها الله – في وقت قد رُفعت فيه القهوة ، ولم يكن عند الزائرة من الوقت ما تنتظر فيه إصلاح قهوة جديدة ، فأخرجت أمي – رحمها الله – ورقة نقدية من الفئة العالية، وأعطتها إياها قائلة لها : سامحيني هذي قهوتك اليوم ! ويزيد الموقف طرافة أن الزائرة الكريمة سألت ببراءة : هل عادتكم أن تعطوا هذا المبلغ لمن لا يتقهوى عندكم ؟!

علاقة رائعة ما بين أمي – رحمها الله – وبين زوجات والدي – حفظه الله وحفظهن ورحم من تقدم منهن - منذ عقلت الدنيا في حدود عام ١٣٩٥هـ إلى ما قبل دخول أمي - رحمها الله – المستشفى الدخول الأخير أوائل عام ١٤٣٠هـ، تعددت الزوجات وطبيعة أمي نورة – رحمه الله – معهن كلهن واحدة!

وهنا سأحبس قلمي عن ذكر بكاء أمي على فراق أم محمد – رحمهما الله - التي توفيت قبلها ، وعلى بكاء زوجات والدي الفراق الأليم في وفاة أمي – رحمها الله – لأنني سأفرد لذلك الموضع حديثًا خاصًا في وقته - إن شاء الله –

وللحديث بقية ...



سوق الحلة

١٠- حُب أمي نورة – رحمها اللّه ـ التعارف والتواصل مع الآخرين

أذكر وأنا صغير عندما كنت أتجول مع أمي نورة – رحمها الله – في السوق ، موقفًا يكاد يتكرر في كل مرة تذهب فيه أمي – رحمها الله – للسوق ، يتكرر في وصفه ، ويتغير في كنهه ، ذلك أنها - رحمها الله – بعد انتهاء الجولة والتبضع ، قبيل المغرب - يوم كانت النساء تعود من الأسواق قبل المغرب ! – فالعصر بنوره ووضوحه، وحركة الناس والباعة هو الوقت المناسب للتسوق ، إذ لا يُتصور أن تبقى المرأة في

السوق ليلاً ، أو على الأقل لا أذكر أنني رأيت أمـي – رحمهـا الله – في السوق ليلاً ! أعود فأقول عندما تنتظر أمي – رحمهـا الله – أخي الأكبر (غانم) لتركب سيارته عائـدة إلى البيـت ، في وقت الانتظار القليل كانـت – رحمهـا الله – تتعـرف عـلى النسوة اللاتي ينتظرن أولادهن أو أزواجهـن ، فتتعـرف عـلى فلانة ، وتحادث فلانة ، وتتبادل أرقـام الهواتـف مـع فلانـة ، كل ذلك في حشمة ووقار ، وسلامة نية ، وحـسن طويّـة ، في انطلاق للفطرة على أرقى صورها، بلا كبر ولا تعالٍ ، فلـيس للتصنّع ولا للتفاخر بينهن مجال.

مـشهد يتكـرر ، وإن اختلفـت النـسوة ، وتعـددت باختلافهن الأرقام! تعـود – رحمهـا الله – معهـا قـصاصات الأوراق المتضمنة أرقـام مـن تعرفـت علـيهن ذلـك اليـوم، فتطلـب منـا أن نـضيف الاسـم والـرقم إلى دفـتر الهواتـف المخصص ، ومع أنها– رحمها الله –أميَّة لا تقرأ ولا تكتـب إلا أن لديها قدرة عجيبة على حفظ الأرقام ، ومعرفـة أشـكالها ،

والوصول إليها في دفترها الذي يشهد لها بمحبة الآخرين ، والحرص على التواصل معهم ، دفتر استمر معها - رحمها الله - وتجدد حتى آخر يوم في حياتها.

ويا لله كم شهدت (صيدلية الرشيد) في سوق الحلّة من تلك الجلسات ، حيث كان دَرَجُها المكانَ المعتادَ للانتظار قبيل المغرب للعائدات من التسوق، الكراسي هي الرصيف ! وأي راحة في الرصيف ؟! لكن القلوب – آنذاك - أصفى وأنقى وأتقى.

أما مراجعة المستشفيات فقلَّ أن تعود أمي – رحمها الله – دون أن تتعرف على واحدة أو اثنتين ممن لاقتهن ذلك اليوم ، وكم عادت أمي – رحمها الله – من (مستشفى طلال)مستشفى الملك عبد العزيز حاليًا سعيدة بأرقام هواتف لا بأس بها من النسوة المراجعات في المستشفى ذلك اليوم ، ولمراجعات مستشفى طلال ذكريات وأي ذكريات ! فقد كانت أمي – رحمها الله – على الأكثر تسعد بصحبة

والدي – حفظه الله – في السيارة إلى المستشفى صباحًا ، ثم تعود إذا انتهت على قدميها ؛ تقديرًا منها لظروف والدي في محلاته التي يصعب تركها لإرجاع أمي – رحمها الله – إلى البيت، تعود على قدميها بصحبة من تيسّر من أولادها، وعادة ما نكون (صالح وأنا) أكثر الملازمين لها في مثل هذه المشاوير ، ربما لأننا أصغر الأولاد، وهنا لا تسأل عن حرصها – رحمها الله – علينا أثناء تجاوز الشارع العام (طريق الملك عبد العزيز) الواقع غرب المستشفى ، حيث كانت – رحمها الله – تخاف علينا من السيارات المتوجهة للمطار (القاعدة الجوية حاليًا) والعائدة منه ، فإذا تجاوزنا الطريق الرئيس بسلام انزاح عن أمي – رحمها الله – الهم ، وصار لنا –نحن المرافقين – متنفَّسا أن نلعب ونحن بصحبتها ، فنقطّع المسافة بالجري حينًا ، والأحاديث حينًا آخر ، وهي ترقبنا بالعين الحانية، والدعوة الصادقة، تشفق علينا ولا توبّخنا ، تحنو علينا ولا تحدّ من حريتنا، ترعانا ولا تحاصرنا ، نُطلق

لطفولتنا العنان بمباركتها، وقربها ، كل ذلـك نستـشعره الآن دون أن نعلم آنذاك ما الآلام التي ذهبت بسببها للمستـشفى، ولا الأدوية التي تحملها معها وهـي عائـدة مـن المستـشفى ؟ لأنها – رحمها الله – كانت تعيش معنا ولنا وبنا ! فالمهم لـديها سعادة أولادها ولو على سبيل راحتها رحمها الله.

وفي عـام ١٤١٦هـ اصـطحبها– رحمهـا الله - أخـي (غانم) – حفظه الله - متشرفًا في رحلة الحج، في حـين كنـت (صالح وأنا) في موسم الحج ذلك العـام ولكـن مـع صـحبة أخرى ، إلا أننا نتـزاور كثـيرًا ، وممـا كـان يلفـت انتباهنـا في ضحوات الحج وعشيّات العيد وأيام التشريق حديث أمـي – رحمها الله – الشائق عن جيرانها في المخيم، حيث تعرفت على (أم الجربوع) كما كنـا نعرفهـا بـذلك طـوال الـسنوات التـي تواصلت فيها مع أمي رحمهـا الله بعـد الحـج ، إلى أن قـام آل (الجربوع) بتعزيـة أختـي (لولـو) – حفظهـا الله – في رحيـل

أمي نورة – رحمها الله – وقد فقدوها بعد تعارف الحج ، واستمرار العلاقة سنين عددا.

وفي عام ١٤٢١هـ سافرت أمي – رحمها الله – إلى بلاد الشام في رحلة علاج واستجمام، فسَعدتْ بجيرانها وسَعدوا بها، إذ كانوا طوال الشهرين اللذينِ قضتهما أمي هناك بمثابة أهل بيت واحد، حيث كانت تأنس بها جارتها (أم غياث) كل صباح، مع القهوة والشاي، وامتد الأمر إلى باقي عائلة أم غياث ، من الزوج والأولاد، فتجاوزت المسألة كونهم مؤجرين بيتهم لعائلة سعودية إلى كونهم قد كسبوا إخوانًا لهم من السعودية ، وأختًا كبرى صارت تتواصل معهم بعد عودتها من الشام، وتزودهم بالهدايا وتتحفهم بين وقت وآخر بالعطايا ، وهذا ما جعل التواصل الهاتفي قائمًا بينهم، والتوصية بالسلام منهم وإليهم، فمن ذهب للشام منا نقل سلام أمي – رحمها الله – إلى أم غياث وأبي غياث ، وبقية

الأسرة مشفوعًا ذلك السلام ببعض الهدايا الصادرة من النفس الرضية من حيث أم غانم التي صحبت ابنها غانما في رحلة الشام، ولا أزال أذكر أسبوع الزمان الذي زرت فيه أمي – رحمها الله – في الشام، زرتها شوقًا إليها، ولم يتيسر لي إلا أسبوع أخذت فيه إجازة اضطرارية من العمل ، وحقا فقد كنت مضطرا إلى زيارتها ! وأي اضطرار أكبر من الشوق إلى رؤية محياها والتنعم بوافر ظلالها ! زرتها أسبوعًا رغبة في إطفاء الشوق لكنها زادت الشوق تأجّجًا ، وألهبت نار الفراق ضرامًا ، فقد تعبت في الأيام التي تلت عودتي من الشام مفارقًا أمي – رحمها الله – بعد ما عشت معها أسبوعا أُصبح معها وأُمسي، وأنام بجوارها، وأجالسها داخل البيت وأصحبها للعيادة، وأسامرها في المطعم والمجلس !

عدت من زيارة أمي - رحمها الله –مودِّعًا إياها وقد تعرفت على جيرانها أبي غياث وآل أبي غياث ، عدت إلى

الرياض فبقيت مع الشوق، وانفـردت مـع الحنـين، ولم يكـن يسليني عن شوقي لأمي – رحمها الله – إلا زيارتها في المنـام ! ووقتها في ١٦/ ٣/ ١٤٢١هـ كتبـت بعـض الأبيـات، شـوقًا إليها – رحمها الله – كنت أشتاقها وهي موجـودة في دنيانـا !! أشتاقها لسفرها أيامًا ، فكيف بنا اليوم وقـد سـافرت الـسفر الذي لا لقاء بعده إلا يوم الحشر؟! ، ومن تلك الأبيات:

باتتْ (رياضي) بغيركمْ في ظلمةٍ	وأرى الفسيحةَ بضعةَ الأشبارِ
العيشُ صفوٌ يومَ كنتِ بيننا	والصفوُ شِيبَ اليومَ بالأكْدَارِ
البيتُ بعدكِ أوحشتْ أرجاؤهُ	ولذاكَ لمْ أهنأْ بهِ بِقَرَارِ
أماه زرتكِ جمعةً أسلو بها	لكنّها زادتْ تَوَهُّجَ ناري
بِغيابكمْ أنا ما مررتُ ببيتكمْ	أمّاه نفْسي مثلُ جُرْفٍ هَارِ
أخشى برؤيتهِ تجدُّدَ لَوْعتي	أمّاه حالي مثلُ حالِ صغارِ
إنْ بتُّ زرتِ في المنامِ فيا لَهَا	من شعلةٍ خَفتَتْ بضوءِ نهاري
ربَّاه عجِّلْ في رجوعِ حبيبةٍ	أمّي التي طَاشَتْ بها أفكاري
أمّي التي كانتْ مَصيفَ أحبّتي	ففناؤها للأهلِ والزوارِ
والبردُ إنْ يقدُمْ فذاكَ هناؤها	إذ نارُها في الليلِ أكرمُ نارِ
هي خيمةٌ هي دوحةٌ هي روضةٌ	هي (نورةٌ) أصفى من الأنوارِ

خالاتُنــــا وبناتُنـــــا بغيــــابكمْ صـــاروا إلى خَـــبَرٍ مـــن الأخبـــارِ

مِـنْ بعـدِ أنْ كـانَ الجميـعُ بِقُـرْبِكمْ يُحْيـي المجـالسَ في الحـديثِ الجـاري

أطفالُنـــــا يتـــــسابقون ببهجــــةٍ حتـــى يفـــوزوا عنـــدَكُمْ بِجِـــوارِ

أمّـــا الـــذي يحظـــى بنومـــةِ ليلـــةٍ فـــسرورُه قـــدْ جَـــلَّ عـــن مِقـــدارِ

وتـــراه يغـــدو بـــالحُبورِ كـــأنَّما حِيــــزتْ لــــهُ أملاكُــــه بفَخـــــارِ

ويقـــولُ يـــا أطفـــالُ إني فُقـــتُكمْ إذ بـــتُّ مـــسروراً كـــذي الأطيـــارِ

أمّـــي أنـــا مِـــنْ بعـــدِكمْ في حـــيرةٍ لكـــنَّ (لؤلـــؤةً) تزيـــلُ غُبـــاري

في بيـــتِ (لؤلـــؤةٍ) تجمَّـــعَ شَـــملُنا فوجودُهـــا أمـــنٌ كـــضوءِ الـــساري

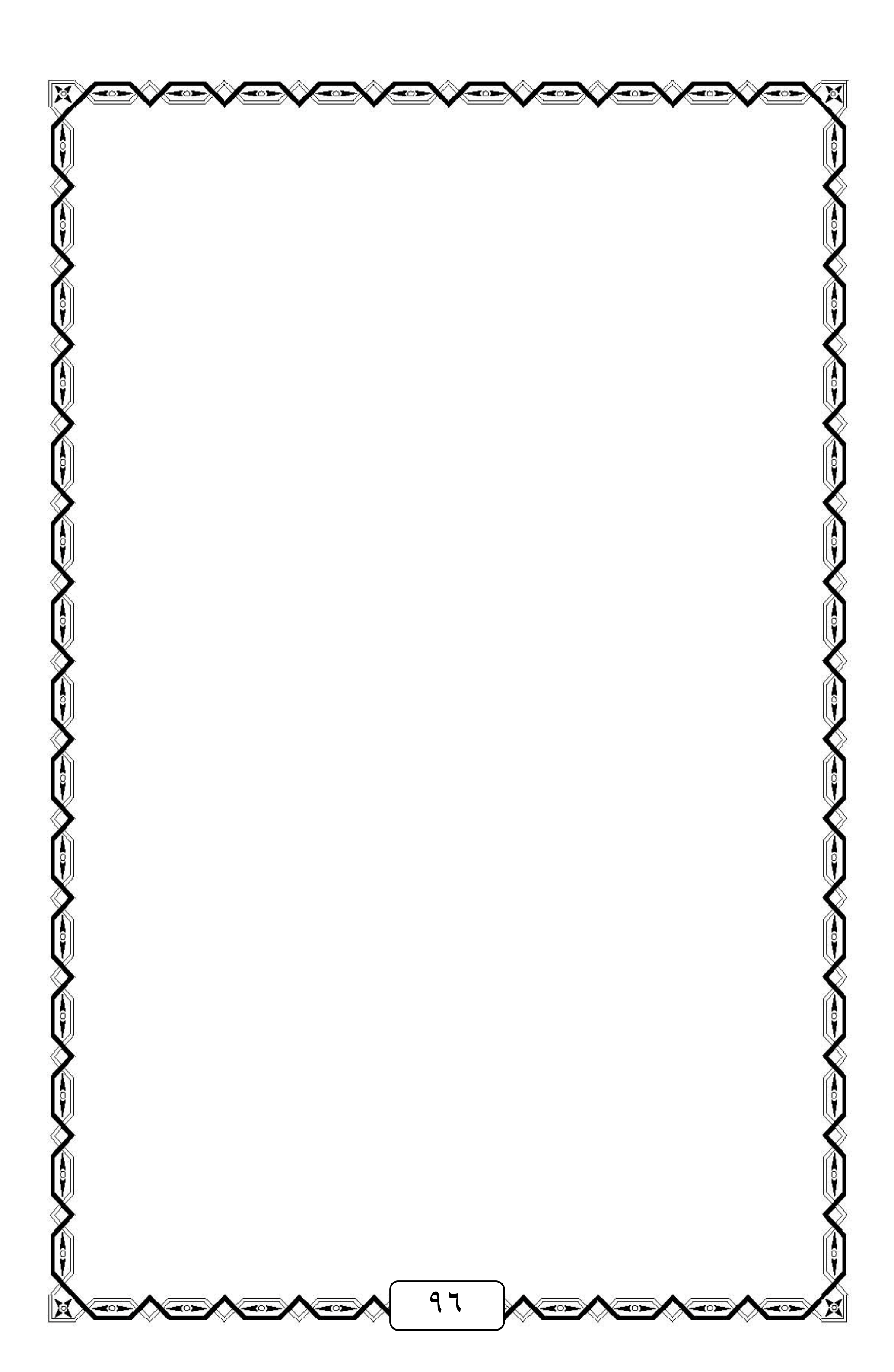
ووجودُهـــا أمَّـــاه فـــوقَ ترنُّمـــي فكلامُنـــا غَـــيْضٌ مـــن الإكثـــارِ

أمّـــي أنـــا لا أســـتطيعُ ثناءهـــا أو بِرَّهـــا بالعُـــشرِ مـــن مِعْـــشارِ

فأطـــلْ إلهـــي في رضـــاكَ بقاءهـــا واكتـــبْ ســـلامتَها مـــن الأضرارِ

أمّـــي وإنْ جـــادَ القـــصيدُ بـــذكرِكمْ فلـــذكرُكمْ نـــورٌ لـــذي الأشـــعارِ

وللحديث بقية ...





أبراج الكويت

١١ـ الكويتيون في ضيافة أمي نورة – رحمها الله ـ

في صيف عام ١٤١٠هـ – ١٩٩١م كان الحدث الأشهر في منطقة الخليج الذي كان له ما بعده ، ولا زلنا نعيش آثاره وتبعاته والمتغيرات الناجمة عنه إلى يومنا هذا، وهو غزو العراق للكويت ، وما تبع ذلك من خروج أعداد كبيرة من إخوتنا أهل الكويت من دولتهم ، وفرارهم بأنفسهم ، وأعراضهم ، ولو كلّفهم ذلك المسير الطويل البُعدَ عن الديار ، وهجرةَ الأوطان ؛ فالحياة غالية ، ولذلك طلبوها في

الخروج من الكويت إلى بعض دول الجوار ، ومن أهمها السعودية.

كان أخي (غانم) – حفظه الله – عائدًا من عمله ظهيرة يوم شديد حرُّه ، بعيدٌ مغيب شمسه ! وأخي غانم معروف بسعة صدره وسيره الهادئ (جدا) في سيارته ، وفي أثناء سيره هذه وجد عددًا من السيارات الكويتية قرابة أربع سيارات تقف خلف بعضها حائرة لا تقِلُّ حيرتها عن حيرة مَنْ فيها من رجال ونساء وشيوخ ، وعجائز ، وأطفال، أُسرٌ متعددة من ذوي القرابة ، وحّدتهم (الأزمة)، وأخرجهم الخوف من شبح الحرب في الكويت ، ألجأهم الأمل إلى الرياض ، لكنهم لا يعلمون ما مصيرهم ؟ولا ما الذي ينتظرهم ؟ ولا متى سيعودون إلى موطنهم ؟ هذا إن كانوا سيعودون ! كل الذي يعلمونه في الساعة التي رآهم أخي غانم فيها هو أن الحكومة السعودية قد حددت مواضع لمساعدة إخواننا الكويتيين متفرقة في المدن ، ومنها مركز في (أستاد) الأمير

فيصل بن فهد في حي الملز ، حيث سألوا أخي غانما عـن هـذا المركز ، وهنا كانت بداية الحكاية !

رحّب بهم غانم برحابة صدره المعهـودة ، وطلـب مـنهم الكـريم ابـن الكـريمينِ أن يقبلـوا ضـيافته هـذه الظهـيرة ، وبعدها يكون خير ! وعندها ساروا بـسياراتهم كلهـا خلـف غانم الذي لا تكـاد تـسعه الـدنيا فرحًـا بقيامـه بهـذا العمـل الجليل، وتوجّه بهم إلى منزل أمي (نـورة) – رحمهـا الله تعـالى – حيث كان غانم يـسكن هـو وأولاده معهـا – رحمهـا الله – فتح باب المنزل وأدخل ضيوفه وسياراتهم داخل فناء البيـت، وأخبر أمي – رحمها الله – بالضيوف ، وكانوا فيما أذكر قرابـة الخمسة عـشر ، تكـبرهم الجـدة ذات الثمانـين عامـا تقريبـا ، ويصغرهم الطفل ذو الأربع سنوات، دخلوا فرحّبت أمـي – رحمها الله – بالضيوف ، وقامـت بـواجبهم عـلى أتـمّ وجـه، وطلبت من غانم أن يخبر ضيوفه أنهم أصبحوا ضـيوف أمـي نورة – رحمها الله – وأنهم لا حاجة لهم إلى البحث عـن مركـز

إعانات ، فبيتنا صار بيتًا لهم، شاطرونا البيت مبيتًا ، ومطعـمًا، ومشربًا ، وبقوا على ذلك عدة أيام يستيقظ الجميع وقـد أُعـدَّ لهم الإفطار (الرّيوق) كـما يـسميه أهـل الكويـت ، ومعـه أو قبله القهوة والتمر، والشاي وما يتبـع ذلـك، ثـم الأحاديـث المسلية، والقصص والجلـسات، رجـالهم في قـسم الرجـال ، ونساؤهـم مع القلب الحنون أمي نـورة – رحمهـا الله تعـالى – استمرَّ هذا الحال أياما حتى تكرَّم والدي – حفظـه الله تعـالى – بإهداء ضيوفنا أهل الكويت منزلا مستقلا ملاصـقًا لمنـزل أمي – رحمها الله – معهم مفتاحـه ، وجعلـه لهـم طـوال مـدة بقائهم لمزيد من راحتهم.

استقلّ ضيوفنا أهل الكويـت في المنـزل المؤقـت الجديـد، فكانوا يبيتون فيه ، ويجلس رجالهم في مجالسه ، أمـا نـساؤهـم فلا يكَدْنَ يذهبن إليه إلا للمبيت ، أما سـحابة النهـار وجـزء من الليل فكان أمتع ما يُقضى فيه الوقت في صالة أمـي نـورة – رحمها الله – التي كانت فيها لحظة البدايـة في تعـرفهن عـلى

أمي – رحمها الله – فكانت أخواتنا الكويتيات الجدة أم غـانم (كنيتها وافقت كنية أمي رحمها الله)، وأم بدر، وأم أحمد ، كـنَّ جميعًا يأتين لجلسات الـشاي والمكـسرات، والقهـوة والتمـر، وربما (الكراث مع الزنجبيل)، وهـو مـا صِرنَ يذكرْنَـه حتـى بعد العودة إلى الكويت، صار مجيئهن لبيت أمـي – رحمهـا الله –يوميًا ، حتى باتـت – رحمهـا الله – ابنـة لجـدتهم أمّ غـانم ، وأختًا وصديقة لأم بدر وأم أحمد.

أمّا أول يوم ذهبوا فيه لبيتهم المستقل فأترك الحديث عـن لحظاته الأولى لمن عايشت الحدَث أولا بأول إذ سأنقل رسـالة (إقبال أم أحمد) بحروفها، تقول عن أمي نورة ـ رحمهـا الله ـ: "أول ما وصلنا جت عندنا بالبيـت ترحـب وتهلـل ومعاهـا ذبيحة ... والأغـراض والبهـارات، وكـل مـا صـار المغـرب رحنا لها وقعدنا بره بالحوش ، وسوالف وضحك " الرسـالة نقلتها بحروفها.

ومن هنا نشأت علاقة وطيدة بين أمي نـورة – رحمهـا الله – وضـيـوفها إلى حـدٍّ أن أقاربنـا تعرفـوا عـلى الـضيوف ، وأصبح هؤلاء الضيوف رقما مهما في زيـارات أمـي – رحمهـا الله – وفي استقبالها الأقارب والـزوار ، حتـى غـدوا معهـا – رحمها الله - أهل بيت واحد! ولّمـا ازدادت (الأزمـة) تعقيـدًا وأصبحت صواريخ (سكود) تصل من العراق إلى الريـاض ، صارت الرياض شـبيهة الكويـت في الخـوف والهلَـع ، وهنـا اضطرّ كثير من أهل الرياض – ونحـن مـنهم – إلى الخـروج منها غير قالِين ولا كارهين ، لكنهم مضطرون للخـروج كـما اضطر قبلهم أهل الكويت ! فخرج غالـب سـكان الريـاض إلى مكة، والمدينـة، والـضواحي القريبـة ، وذهبـت الأسر إلى حيث مدنهم الأصلية التي فيها أهلهم ، ولذا فقد قرر الوالـد – حفظـه الله – الخـروج إلى القـصيم ، وهنـا لم يكـن لنـا أن نخرج دون ضيوفنا ، فخرج أهل الكويت معنا إلى القـصيم ، لهم ما لنا ، وعليهم مـا علينـا ! إن تيـسّر لنـا سـكن فهـو لنـا

جميعًا، وإن تعبنا من السفر فلا فضل لنا عليهم ، إذ إنهم أصبحوا منا لا تفرقة بيننا ، وهذا ما حصل فعلا فقد وصلنا نحن وضيوفنا إلى القصيم ! وبقينا فيها ما شاء الله أن نبقى، إلى أن شاء الله تعالى بفضل منه سبحانه أن تنجلي الكربة عن الرياض ، وتتوقف الصواريخ الموجهة إليها فنعود مع العائدين إلى رياضنا.

ويُتمُّ الله –عز وجلَّ –فضله ، ويجدِّد نعمته فتنتهي (الأزمة) من الكويت ، ويُعلن التحرير رسميًّا ، فتتقاطر الوفود عائدة إلى الكويت ، وهنا كانت الفرحة ممزوجة بالبكاء ! فرحة الانتصار والعودة إلى الوطن المسلوب ممزوجة بمشاعر الفراق لمن غدوا أهلا وأحبابا ، الفراق بين أمي نورة – رحمها الله – وبين والجدة أم غانم، وأم بدر، وأم أحمد، كيف لجلسات يومية أن تنتهي فجأة ؟ كيف لضحويات القهوة والشاي أن تقوم دون كامل الجليسات ؟

كيــف للــسَّمر أن يكــون نــاقص الــضحكات ؟ فاقــد الصويحبات؟

وعنـد الفـراق ركـب أحبابنـا أهـل الكويـت سياراتهم عائدين ، كما ركبوها قـادمين ، ومـا أشـبه الليلـة بالبارحـة ! بالأمس يسيرون يتقدمهم أخي (غانم) لا يعرفون عـن بيتنـا أدنـى معلومـة ، لا يعرفـون وصـفه ، ولا حـال أهلـه ، ولا تربطهم بهذا البيت ولا بساكنيه أية صـلة ! واليـوم يخرجـون مودِّعين من امـتلأت قلـوبهم بالمحبـة المتبادلـة ، والانـسجام الكامل !

وهنا كانت لحظات لا يمكن أن تـصفها كلـمات ! حيـث انهمرت عَبَرات لا توفيها العبارات !ولـيس عَجبـي سـاعتئذٍ من بكاء أمي نورة – رحمهـا الله – عـلى وداع ضـيوفها ؛ لأني أعرف أمي – رحمها الله – وأعـرف رِقَّتهـا ، وقُـربَ دمعِهـا ، وضعفَها الشديدَ أمامَ الفراق ! كيف لا ؟ ومن أشـهر كلماتهـا – رحمها الله – " أنا ما أحـب المـوادَع " ! ولـذلك لم أعجـب

من (انهيارها) بالبكاء ! ولكن عجبي أن ينتقل هذا البكاء المرُّ إلى مَنْ يعيشون لحظة العودة إلى البيت والوطن ، البكاء ممن جاءتهم اللحظة التي باتوا أشهرا يتمنونها ، ويحسبون دقائق البعد عن الوطن ! بكاء العائدين إلى الوطن لماذا ؟ ما هذا المحبة التي بلغت بين أمي – رحمها الله – وبين ضيوفها كل هذا الحدّ ؟!

أما السنوات التي عاشها أحبابنا في الكويت بعد التحرير فكانت سنوات وَصْلٍ بينهم وبين أمي نورة – رحمها الله – فكلما سنحت لهم فرصة الحج أو العمرة تكون الرياض محطة توقف لزيارة مَنْ أحبتهم مِنْ خالص قلبها ! وإذا ما ذهب أحد منَّا إلى الكويت فإنه يذهب محمّلا بالهدايا من أمي – رحمها الله – إلى من عاشوا في قلبها ! الهدايا بأنواعها ،خاصة (كراتين الكليجا) التي ألِفها أهل الكويت – رُبما بسبب زيارتهم القصيم تلك الأيام – وأحيانا لا تنتظر أمي – رحمها

الله – من يذهب إلى الكويت من الأولاد أو الأقارب ، وإنما ترسل الهدايا (الكليجا) وغيرها في الشحن !

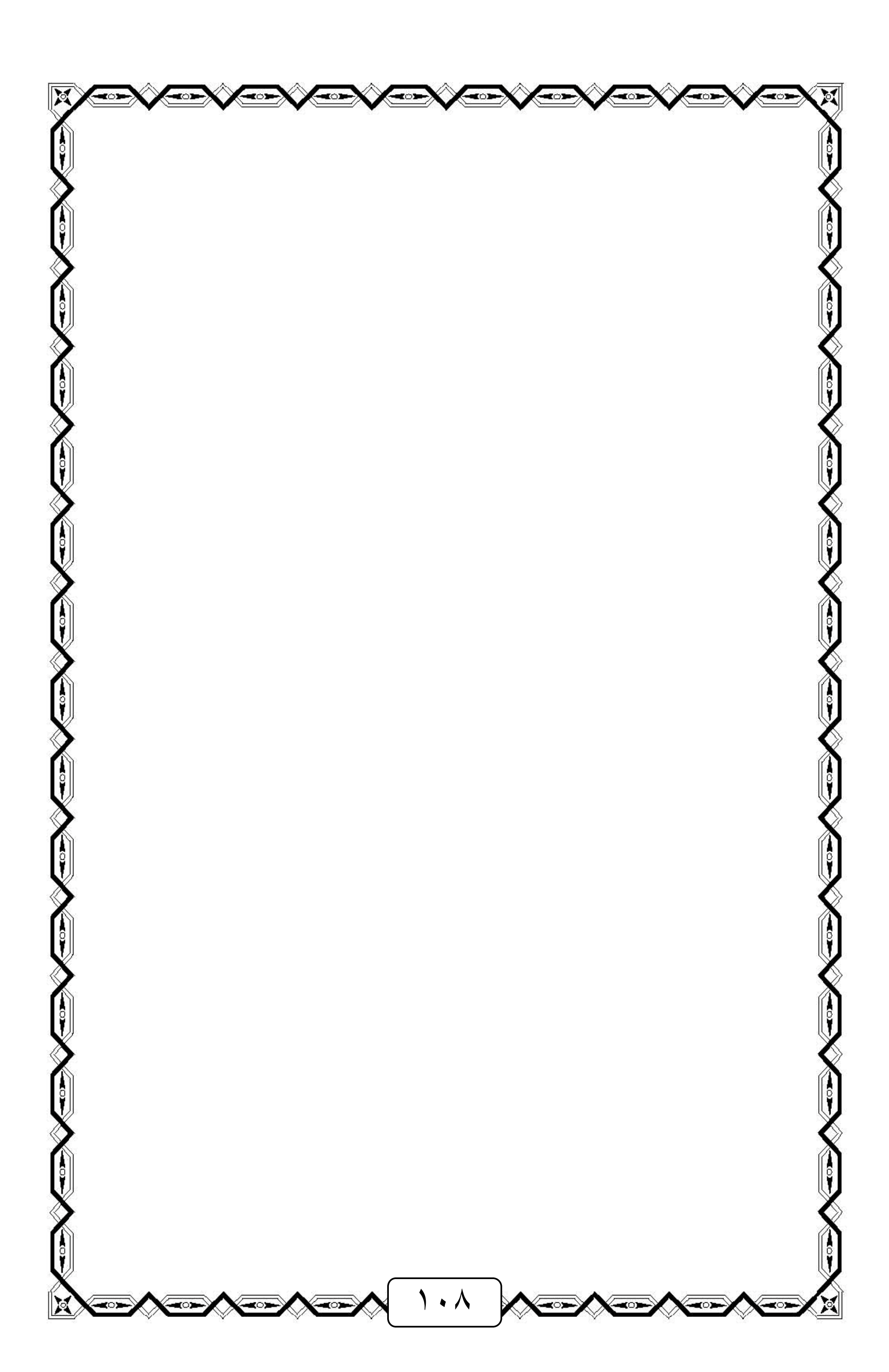
ومن الطقوس التي باتت ملازمة لضيوفنا أهل الكويت أنهم إذا اجتمعت أُسرهم صباح العيد اتصلوا مجتمعين لمعايدة أمي نورة – رحمها الله – وهكذا استمر هذا الأمر لديهم طوال العشرين عامًا التي كانت بين عودتهم للكويت وبين موت أمي نورة – رحمها الله – والعجيب أنهم استمروا في هذا الاتصال حتى بعد رحيل أمي – رحمها الله – ولكنَّ المُتَّصَلَ عليه في أعياد السنوات الأربع الأخيرة هي الغالية بنت الغالية (لولو) حفظها الله تعالى.

ومن صور التواصل بيننا وبين أحبابنا أهل الكويت تلك الهدية المرسلة من أبي أحمد لوالدي - حفظه الله - إذ ما زال والدي – حفظه الله – يحتفظ بمصحف خاص له من طباعة (دار الصحوة) في الكويت، أرسله إليه (أبو أحمد) بعد ما ضعُف بصَرُ والدي– حفظه الله - وصار لا يبصر من المصاحف إلا ما كبُر حرفه.

أما تأثرهم بوفاة أمي نـورة – رحمهـا الله – فـأكبر مـن أن أصفه ! فقد أبكتنا عبارات رجالهم الـذين كلّمونـا في مجلـس العزاء ، وما سمعنا من أختي لولو من مكالمات نـسائهم كـان أشدّ تأثيرًا !

والعجيب أن رسائلهم في الحنين لأمي نورة ـ رحمهـا الله ـ لا زالت تصلنا حتى بعد وفاتها بـسنين ! فهـا هـي (أم أحمـد) تـضمّن رسـائلها الـشوق إلى جلـسات العـصر ، وأحاديـث العشاء ، والضحك والوناسة مع مَنْ فتحت لـضيوفها قلبهـا قبل بيتها ! وأما آخر تلك الرسائل فهي رسالة (أم أحمد)التـي وصلت أختي لولو – حفظها الله – أثناء كتابـة هـذه الحلَقـة، وهذا نصُّها : " الله يهداج لولوه أكتـب وعيـوني مـو واقفـة ، الله يرحمهم ويتغمد روحهم الجنة "

وبرسالة " أم أحمد " هذه أختم حلقتنا الخاصة بالـضيوف الغالين... وللحديث بقية





الكيرم

١٢ـ (**الضُيوف الضُعوف**):

(الضُيوف الضُعوف) كلمتان تنطلق منهما أمي نورة – رحمها الله تعالى – في تعاملها مع الخادمات والسائقين، وعمال النظافة، في المطارات والمستشفيات، وفي كل مكان يمكن أن يجمعها – رحمها الله – بواحد، أو واحدة من هؤلاء (الضيوف الضعوف)، تنطلق من هاتين الكلمتين؛ لتتعامل معهم التعامل الحسن، الراقي، الإنساني، الإسلامي، وكلما كان أحد هؤلاء الضيوف أقرب إلى أمي – رحمها الله –

فحظوته ستكون أكبر؛ ولذلك فـازت الخادمـات الخاصـات بها بهذا القُرب .

ولكي أقترب أكثر من الواقع فسأذكر بعض الملامـح مـن هذا التعامل، مشهد يتكرر بـين الحـين والآخـر، أدخـل عـلى أمّي – رحمها الله – وإذا بالخادمة أو أكثـر قـد اجـتمعن معهـا على سـفرة طعـام، أو جلـسة شـاي، أو تنـاول قهـوة، وهـي تتجـاذب معهـن أطـراف الحـديث، ولا تجـد في ذلـك أدنـى غضاضة! حتى إذا حـضرتُ أو حـضر أحـد غـيري تفرقـت الخادمـات عـن أمـي – رحمهـا الله – وتفرَّغـت لنـا بقلبهـا وقالبها، مرحِّبةً بنا سائلةً عن أحوالنا، مستطردةً في الحـديث، مستمعةً لأخبارنا.

ومن المشاهد العجيبة الدالة على حب أمي – رحمهـا الله – لفئة (الضيوف الضُعُوف) أنه إذا كنَّا في سـفر لمكـة أو المنطقـة الشرقية ، أو غيرهما فإنَّها في الغالـب تفـضِّل أن تنـام الخادمـة معها في الغرفة نفسها ! سواليف قبـل النـوم ، وأحاديـث مـا

بعد الاستيقاظ، والإيقاظ للصلاة ، كل ذلك يكون مشتركًا. وقد يكون هذا النوم – أحيانًا – في غير السفر، في غرفة من غرف البيت، إلا غرفتها الخاصة – رحمها الله – التي لا ترتاح أن ينام فيها من هؤلاء الضيوف إلا الضيفة الخاصة (مارسلا) الفلبينية التي تُعدُّ بنتًا أخرى لأمي – رحمها الله – لازمَتْها ما يزيدُ على العِقدينِ من الزمان (وسيأتي إن شاء الله حديث خاص عنها في الحلقات القادمة).

ومن المشاهد الرائعة في تعامل أمي –رحمها الله – مع ضيوفها الضعوف، ما بات أمرًا اعتياديًّا من لعبهن معها اللعبة المفضَّلة (الكِيرم) ، حتى باتت (آسيا) و (سلمى) وغيرهما من الخادمات مجيدات فنون اللعبة ، وقوانينها ، فالمراكي تُجهَّز وتوضع أولا لترتفع خشبة (الكيرم)، و(البودرة) ضرورية لتنعيم سطح اللعبة، وقطعة الخمسين و(غطاها) لابد أن يُكسبا متتابعتين ، ثم ما الذي يُكسب أولا ؟ وما الغرامة لو سقط (الملطاخ) وحده ؟! وغير ذلك

مما تنفنَّن به وأتقنَّه من أختهن الكبرى أمي نـورة – رحمهـا الله – وكم شهدت جلسات العصر هذه المنافسات!وحتى اليـوم إذا لعب بعض أحفـاد أمـي - رحمهـا الله - الكـيرم يـرددون نلعب لعب أمي نورة الله يرحمها ؛ يقصدون اللعب المتـسامح الذي لا تدقق عليهم إذا تجاوزوا قوانين اللعبة !

ومن أوجه التعامل الحسن بين أمـي نـورة – رحمهـا الله – وبـين ضـيوفها هـؤلاء المكـث معهـن الـساعات الطويلـة في المطـبخ تُعلِّمهـنَّ فنـون الطبخـات المحليّـة ، تعلمهـنَّ بتـؤدة وتأنٍّ، تُعلِّمهن الطبخ على أصوله ، تعلمهنّ وتدرِّبهن تـدريبًا، حتى يمكننا أن نقول إني أمي – رحمها الله - أمضت سـاعات تدريبية مع المتـدربات معهـا ، سـاعات لا يمكـن حـصرها ! مدرِّبة محترفة دون شهادات اعتماد !

ومن اللطـائف مـا سـمعناه عـن (سـلمى) بعـدما كـبرت وسافرت سفرتها الأخيرة أنها افتتحت مطعمًا في (إندونيـسيا) للأكلات السعودية الشعبية ! ويحقُّ لهـا ذلـك ، فهـي خريجـة

مدرسة (ماما نـورة) التـي طالما جلـست بـين يـديها متدربـةً متعلمةً ، حتى صارت اليوم المدرِّبةَ المعلِّمةَ (سلمى).

ومن الرائـع في الأمـر أن أمـي – رحمهـا الله – تجمـع بـين الرحمة ومحبـة هـؤلاء الـضيوف ، وبـين أمـرٍ اُشـتهرتْ بهـا – رحمها الله – وهو الحرص على النظافة والدقة في ذلـك ، حتـى إنها – رحمهـا الله – لا تـشتهي الأكـل في الـصحن إذا غـسلته إحدى الخادمات ! فماذا عساها تفعـل ؟ سـتقع في حـرج ؛ إذ إنها لا بدَّ أن تغـسل الـصحن بعـد غـسل الخادمـة ، وهـي في الوقت نفسه لا تريد أن تكسر خاطرها ، ولا أن تحرجها ! فـما العمل ؟ كانت – رحمها الله – تلجأ إلى طريقة وسـط ، ترتـاح فيها ، ولا تحـرج غيرهـا ، ذلـك أن الخادمـة تـأتي بالـصحون مجتمعة في السفرة مغسولة لنا جميعًا ، فتنتظر أمي – رحمهـا الله – خروج الخادمة حتى تتأكد أنها لا ترانا فتـسحب نفـسها إلى أقرب مغسلة لتمرر المـاء عليـه بـشكل سريـع ! بمعنـى أنهـا تَمُوصُـه بعـد غـسل الخادمـة دون أن تحرجهـا! (وبالمناسـبة

الموص : غسل الإناء ، وهو من العامي الفصيح)، فـرحم الله صاحبة هذا الخُلُق النبيل.

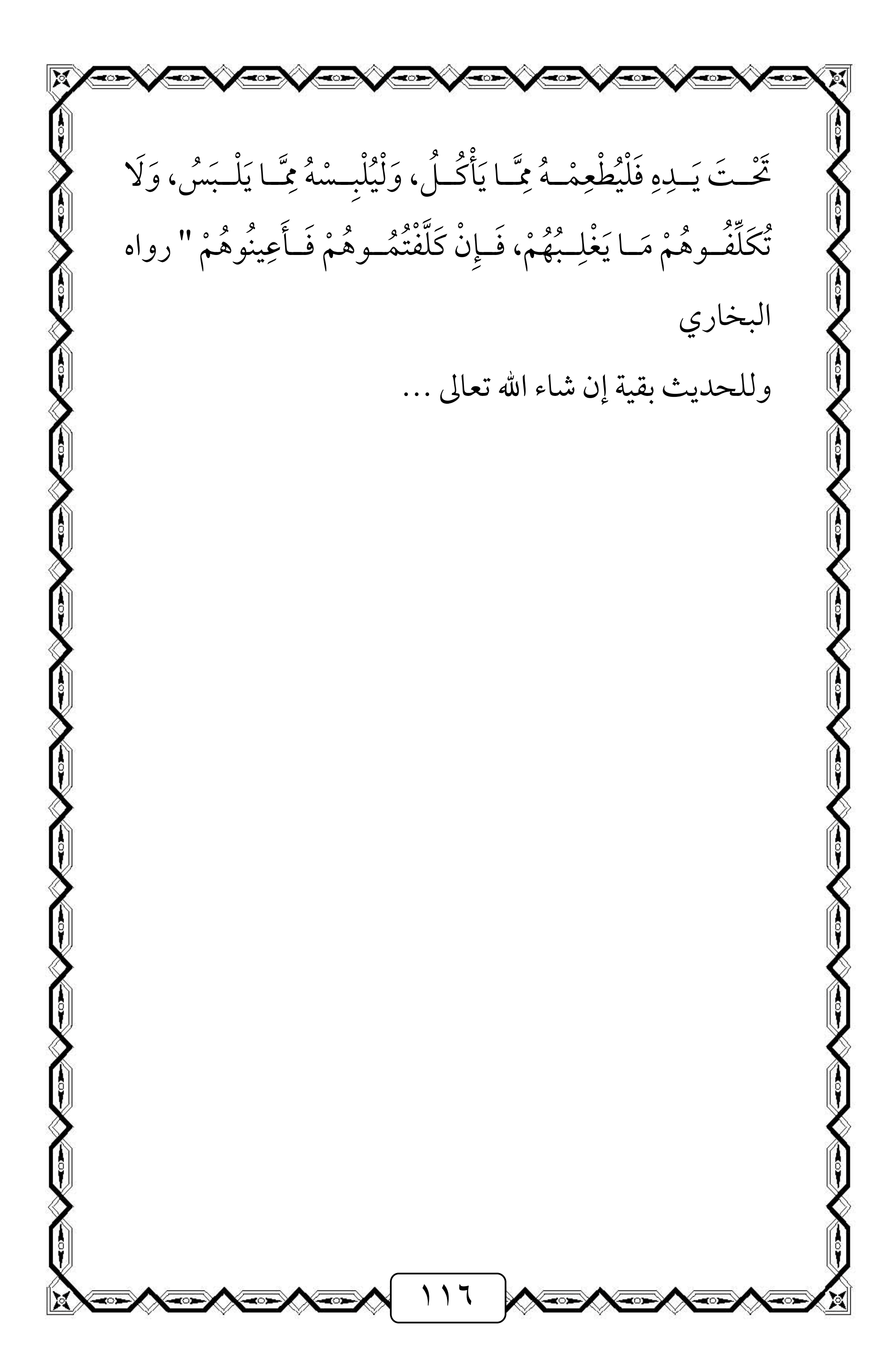
ولذلك فمن الطبيعي – وإن كـان أمـرًا مكلِّفًـا ماليًّـا – أن تتصل الخامة من جاكرتا اتصالا دوليا للتحدث مع أمي نـورة – رحمها الله – وتسلم عليها ، وتطمئن عليها ، لماذا كل هذا ؟ مـا الرابطـة التـي تـربط بهـا ؟ أهـي المحبـة ؟ أم الرحمـة ؟ أم الحرص عليها ؟ أم مؤانستها ؟ أم اللعب معها ؟ إنها العـشرة والعمر الذي أمضته البنت مع أمها الحنون ثم سافرت البنـت وقلبها مع أمها هناك في الرياض ! اتصال يعقبه لحظات بكـاء من أمي نورة – رحمها الله – تبكي وهـي بـين أولادهـا ! نعـم تبكي إحدى بناتها المسافرات إلى هناك ، هنـاك حيـث تفـصل بينهما آلاف الأميال .

والعجيب أن أمـي – رحمهـا الله – بـسبب حبهـا الـشديد لخادماتها ، وتعلقهـا بهـن ، وتعلقهـن بهـا ، لم تـوادع واحـدة منهن قطُّ ! ذلك أنها إذا اقترب موعد السفر قالت لنا كلمتهـا

المشهورة : " لا تعلموني عن وقت طلعتها ، ما أحبّ المودَع " !ثم تتوارى – رحمها الله – عن الأنظار قبيل الموعد بساعات ! هي لا تطيق النظر إلى الخادمة وهي تخرج مسافرة، حتى لو كان السفر خروجا وعودة ، لا تطيق – رحمها الله – وداع الخادمة ، فضلا عن محاسبتها الحساب الدقيق قبل الخروج أو تفتيشها خوفًا منها ، مع عدم اعتراضي على التفتيش حال السفر، لكنني أبين أن العلاقة المبنية بين أمي – رحمها الله – وبين خادماتها علاقة لا تتحمل الوداع فضلا عن أن تضطر إلى التفتيش !

ولذلك فلا تسأل عن بكائهن عليها يوم وفاتها - رحمها الله –(مما سأفرد له الحديث مستقبلاً إن شاء الله تعالى)

وفي ختام هذه الحلَقَة فإني أحمدُ الله تعالى أنْ وفَّق أمي نورة – رحمها الله – للعمل بتوجيه النبي الكريم - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في شأن الخدم لأَبي ذَرٍّ – رضي الله عنه – " إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمْ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ



تَحْـتَ يَـدِهِ فَلْيُطْعِمْـهُ مِمَّـا يَأْكُـلُ، وَلْيُلْبِـسْهُ مِمَّـا يَلْـبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُـوهُمْ مَـا يَغْلِـبُهُمْ، فَـإِنْ كَلَّفْتُمُـوهُمْ فَـأَعِينُوهُمْ " رواه البخاري

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى ...



١٣ـ الدمعات الأربع!

الأصل في أمّي نورة – رحمها الله – بحمد الله تعالى الأنس، والضحك، والتبسّط، وهذا الوضع هو السائد في حياتها. لكنَّ دمعتها سريعة وغالية، فهي – رحمها الله – هشّة الطباع، رقيقة المشاعر، لا تتحمل المواقف المؤثرة. ولو سردتُ القليلَ من تلك المواقف لطال بنا المقام، لكنني سأقتصر على (أربع دمعات) فقط في أربعة مواقف متباعدة في زمنها، مختلفة في سببها، واحدة منها (دمعة فرح).

(ثلاث دمعات) منها لها تماسٌّ مباشر بي، والرابعة حضرتها وإنْ لم أكن سببًا فيها. وكل هذه (الأربع الدمعات)

لم تفارق ذاكرتي رغم مرور (تسعة وعشرين) عامًا على الدمعة الأولى منها.

ففي شوال عام ١٤٠٥هـ أخبرتُ أمّي نورة – رحمها الله – بمشاركتي في رحلة خارج الرياض مع زملائي طلاب تحفيظ القرآن في (مكتبة جامع الفرقان)، ولأنها كانت المشاركة الأولى بالنسبة لي، فهي تعني سفري الأول الذي سأبتعد فيه عن أمي نورة – رحمها الله – عدة أيام، وإن كانت لن تتجاوز الأيام الخمسة، لكنها تعني لأمي – رحمها الله – الكثير، أمي التي لم تفارق ابنها في سفر قبل هذا، فهي لم تعتد السفر مفردة، ونحن لم نسافر بعيدين عنها، ولذلك فقد كانت التجربة الأولى صعبة في غاية الصعوبة، شاقة على النفس المرهفة؛ نفس الأم الحنون!

ولكنَّ رهافة الحس هذه، ورقة المشاعر تلك لم تحمل أمي – رحمها الله – على منعي من السفر؛ لأنها ربما تجد في

منعي حرجًا أكبر! ولـذلك وافقـت عـلى مـشاركتي في هـذه الرحلة ولم تُبِدْ لي أي اعتراض، وعندما بحثتُ عنهـا للـسلام عليها قُبيل الـسفر، إذا بي أراهـا قـد اضـطجعت في (مجلـس النساء) مولِّيةً وجهها الطاهر نحـو الجـدار متظـاهرة بـالنوم؛ لكـي لا أرى دموعهـا! رحمهـا الله، ورحـم تلـك الـدمعات، ولعلها آثـرتْ المكـث في (مجلـس النـساء) عـلى الـصعود إلى غرفتها لتسمع صوتي وأنا خارج دون أن تتحمـل مـواجهتي لحظة الوداع (ذلك أنها كانت كثيرًا ما تقـول - رحمهـا الله - : ما أحب المـوادَع) ولـصغر سِـنِّي – آنـذاك - لم أتخـذ القـرار الصحيح في إلغاء مـشاركتي ، فليـست تلـك الرحلـة – مـع أهميتها – ولا العشرات أمثالها تعادل دمعة تخـرج مـن العـين الساهرة على راحتي، سامحيني يا أمي !

ولذلك وبعد ما يزيــد عـلى عـشـر سـنين، وتحديـدًا في ١٧ / ٥ / ١٤١٦هـــ، وقــد صرتُ أبًــا لطفلــين (فــارس،

وعبدالمجيد) أصلحهما الله ، تكرر مشهد مشابه؛ حيث كان من برنامجي المشاركة في رحلة طلابية إلى مدينة (الجبيل) ، مع صحبة هم مِن أغلى مَنْ تعرفتُ عليهم في حياتي ، ولكنني لمستُ من أمي – رحمها الله – عدم رغبتها في سفري هذا ! فما كان يسعني وقد عقلت وعلمت غلاء دمعة أمي إلا أن تركتُ السفر مع صحبة غالين على نفسي ، لكنهم دون شك لا يساوون دمعة تتكرر من أمّي – رحمها الله - ولذلك ودّعتهم غير قالٍ لهم، ولا زاهد فيهم، ودّعتهم إرضاءً لأمي – رحمها الله – وإن كنتُ ساعتها بكيتُ على عدم مشاركتي ؛ لكنني أبكي غير نادم ؛ فبكائي أهون عليَّ من دمعة تنزل من عينيَّ أمي – رحمها الله - وأذكر ساعتها أنني ودّعت أصحابي معتذرًا بقصيدة ، أُورد هنا بعض أبياتها:

يا مَنْ ظعنتم تقصدون المشرِقَا	خلّفتُمُ قلبًا كليمًا مُحْرقا
وتركتمُ خِلاًّ يعاني بُعدَكم	والدمعُ من عينيه هلّ تدفّقا
وأثرتمُ الأشجانَ بعدَ مسيرِكم	وبُعيْدَ قولي (زادكم ربي التُّقى)

وجّهتمُ نحوَ(الجبيلِ) بجمعِكم	وتركتموني في البِعاد تفرّقا
وعزائيَ الميمونُ أنَّ فراقَكم	برٌّ بـ(أمّيَ) يا لَنبلَ المرتقى
(أمّي) التي أرخصتُ فيها غيرَها	زوجًا ونِجْلاً والشبابَ المنتقى
إيهًا رِفاق الدّرب سُلّمتم لنا	وأعاضنا ربي جِنان الملتقى

أما الدمعة الثانية من (الدمعات الأربع) فهي (دمعة فرح) شعرتُ بها عبر تهدّج صوت أمي – رحمها الله – وتقطع دعائها بالبكاء، وذلك ليلة عيد الأضحى المبارك عام ١٤١١هـ عندما اتصلتُ عليها هاتفيًّا، وأخبرتُها أنَّ الله – سبحانه وتعالى – قد يسَّر ولادة ابني الأكبر (فارس) أصلحه الله ، فاختلطتْ دعواتها للمولود ووالديه بدمعاتها التي سبقتها، دموع الفرح ، من النفس الرضيّة التي تفرح بالولد وولد الولد ! دمعةٌ شعرتُ بها وإن لم أرها .

وفي عام ١٤١٩هـ كانت (الدمعة الثالثة) حيث أُجريتْ لي عملية جراحية في كتفي الأيسر؛ لتثبيت خلع متكرر، وبعد خروجي من المستشفى طلبتُ من زميلي الذي

أخرجني من المستشفى الأخ الحبيب (خالد بن حماد اللزام) أن يتكرم عليَّ قبل التوجه إلى منزلي أن أزور أمي – رحمها الله – في منزلها؛ لأسلم عليها وأطمئنها على سلامتي وخروجي من المستشفى، ذلك أنني بعدها سأبقى على الفراش أشهرًا، وعندها دخلتُ على أمّي – رحمها الله - مربوطَ اليد، عليَّ آثار المستشفى، أتهادى في مشيتي؛ حفاظًا على عملية التثبيت لئلا تختلَّ ، مع تظاهري بالمزيد من العافية لحظة دخولي على أمي – رحمها الله – إلا أنها - رحمها الله – انفجرت باكية بمجرد رؤيتها ابنها الجريح ! بكتْ ولم تستطع النطق ببعض كلمة ! بكتْ فشاركتُها البكاء! وقبلتُ رأسها ويدها، وخرجتُ مباشرة لصاحبي الذي ينتظرني عند الباب، خرجتُ بعد دخولي بدقيتين أو ثلاث ؛ مما حمله على التعليق مازحًا : " وش ذا الزيارة " ؟!

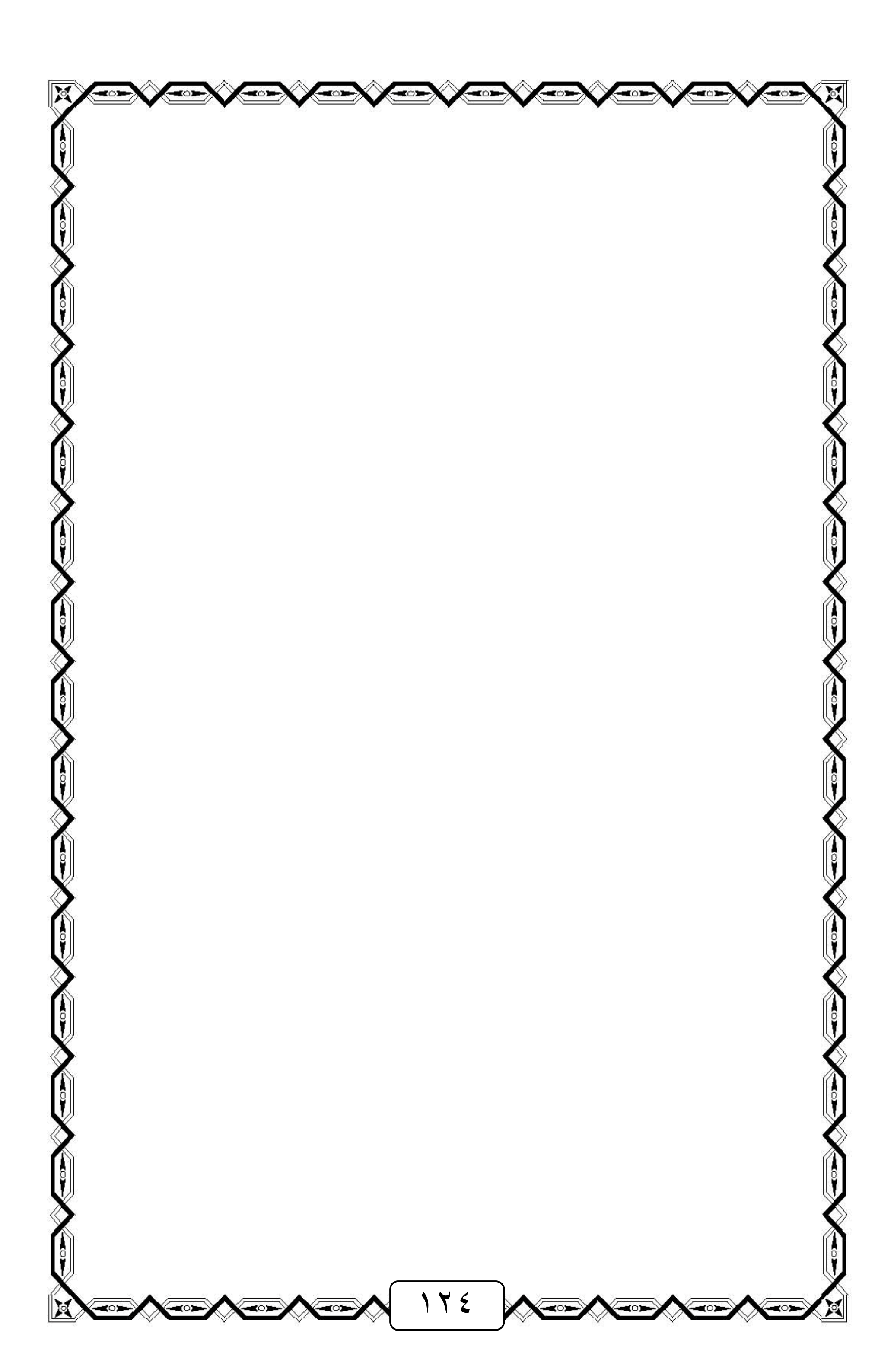
أمّا (رابع الدمعات)فليتني ما حضرتُها ! بل ليتها لم تكن أصلاً ؛ إذْ إنها أشدُّ الدمعات التي رأيتها من عينيّ أمّي –

رحمها الله – مع أنها دمعة صامتة، نزلت بهدوء ، وكأنها لا تريد أن تؤذي بدمعتها من تسبب في أذاها !

تلك الدمعة سكبتها أمي – رحمها الله – بسبب أحد الأقارب الغالين على أمي – رحمها الله –وذلك عندما جاء في ساعة غضب معاتبًا متهجِّمًا على إحدى القريبات الغاليات جدًا على أمّي – رحمها الله – وقد أسمعها ذلك الرجل الكلمات الثقيلات في الانتقاص من تلك القريبة، أسمع أمي – رحمها الله - ما آذاها ، وجعلها تتحامل على نفسها، فالقريب الغاضب غالٍ ، ولكن القريبة المُتكلَّم فيها أغلى وأحبّ ! ولذلك جاء جواب أمي – رحمها الله - باكيًا بصمت، صامتًا ببكاء، ورُبَّ دمعة أبلغ من ألف كلمة.

رحم الله ذات (الدمعات الأربع) وسامحنا جميعًا ، وعفا عن كلّ مَن تسبب في إنزالها من العين الطاهرة ، على الوجنة المضيئة.

وللحديث بقية إن شاء الله...





مبخرة أمي رحمها الله

١٤ـ حَمِيمِيَّةُ أمٍّ !

الذي يجمعني بأمي نورة – رحمها الله – أكثر من علاقـة! فهـي أمٌّ كـسائر الأمهـات الرائعـات ، وهـي أخـت كـبرى لأولادها ، وهي صديقة بكل ما تحملـه كلمـة الـصداقة مـن معنى، ولذلك فالمجيء إليها والجلوس معهـا كـان بمحـض

الإرادة، تدفعنا إليه الرغبة في البرّ، والحرص على الأنس، والراحة في الشعور بالتقدير غير المتناهي!

ولعلَّ هذا كان سببًا أو مسبَّبًا – لا أدري – لعدم بعدي عنها طوال السنوات التي وعيت بها على الدنيا وأمي – رحمها الله – بين أظهرنا، فإنني منذ كنت إلى يوم وفاتها لم أغب عن (الرياض) حيث أسكن مع أمي – رحمها الله – فضلا عن خروجي عن السعودية مدة طويلة، إذ إنني أحرص غاية حرصي ألا أبتعد لسفر ضروري إلا أيامًا معدودات، غير سفرة واحدة وصلت قصاراها عشرين يومًا كنتُ يوميًّا أصبِّحُ أمي – رحمها الله – باتصال أو أمسِّيها، أو تكون هي السابقة بذينك الاتصالين!

ومن هذه (العلاقة الحميمية) التي بيني وبين أمي نورة – رحمها الله – أقتطف عدة صور؛ فمنها أنني وأمي – رحمها الله – كنَّا نردِّد الأذكار الصباحية والمسائية معًا، فجلسة الوِرد اليومية كانت لنا في غاية الأهميَّة، وهذا – بحمد الله –

استمر ما يقارب العشرين عامًا! سواء في غرفتها – رحمها الله – أو في غرفة الجلوس، أو في السيارة ، أو في الطيّارة ، بل إنني أذكر بعض جلسات الغروب مع الأوراد كانت في البحر على قارب غربت فيه الشمس ونحن محلِّقين في الذكر داخل البحر !

ولذلك أصبح من الطرائف التي تتردد يوميًّا تقريبًا أنها – رحمها الله – إذا سمعت أذان المغرب ابتسمت وقالت : " يا ولدي وُشو إقبال ليلِك ؟ " تذكرني بالذِكر عند المغيب طالبةً منّي أن أردده معها ، وهو ما رواه أبو داود والترمذي – رحمهما الله –عن أم سلمة – رضي الله عنها – قالت : " علمني رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم– أن أقول عند أذان المغرب : اللهم هذا إقبال ليلك ، وإدبار نهارك ، وأصوات دعاتك فاغفر لي ".

ومن الطرائف في تردادنا الأذكار أن أمي – رحمها الله – كانت إذا انتهت من الدعاء الصحيح المشهور في (كفارة

المجلس) تزيد عليه عبارة في آخره بطريقة القفل وهي طريقة طريفة في ورودها من لسانها – رحمها الله – إذ إن الحديث هو: أَنَّ رَسُولَ اللهِّ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ: " مَا مِنْ إِنْسَانٍ يَكُونُ فِي مَجْلِسٍ فَيَقُولُ حِينَ يُرِيدُ أَنْ يَقُومَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِس" ولكنَّ أمي – رحمها الله – كانت في ختام حديثها أو مجلسها تقول النصَّ كاملاً وتزيد في آخره : عبارة (كفارة المجلس)! وكأن كلمتي (كفارة المجلس) واردتان بعد عبارة " أتوب إليك "!

وكمْ (وِرْدٍ) قرأناهُ جميعًا إذا حلَّ الصّباحُ أو المَساءُ

وحِرصًا منها – رحمها الله – على سماع الأذكار بشكل دائم فقد طلبت مني طلبًا رائعًا ؛ ذلك بأنْ أقوم بتسجيل الأذكار في (شريط كاسيت)؛ على أن يكون هذا التسجيل بصوتي ! وكأنها – رحمها الله – أرادت بعاطفة الأمومة أمرين محببين لها معًا ، أرادت أن تعيش الأذكار، وقُربَ ابنها في كل

وقت ! وهذا ما حصل فعلاً فقد تشرفت بتسجيل الأذكار في حدود عام ١٤٠٧هـ أو ١٤٠٨هـ، واستمر شريط التسجيل ذو اللاصق الأصفر في غرفة أمي – رحمها الله – إلى ما بعد وفاتها مطلع عام ١٤٣٠هـ.

ومن العلاقة الحميمة التي تجمع أمي – رحمها الله – بأولادها الجلسات الثنائية أو الثلاثية في غرفتها – رحمها الله – فلا أحصي المرات التي أزور أمي – رحمها الله- في وقت تكون قد صعدت فيه لغرفتها إما لقيلولة أو مبيت، أو لمزيد ترتيب في الغرفة، فتترك ما في يدها وتستقبلني بالبِشر والترحاب، وربما أصلي في غرفتها، فتبادر لفرش سجادة الصلاة المبطَّنة المريحة، ثم لا أكاد أنتهي من الصلاة إلا وقد أحضرت لي المخدة حتى تقيني الاتكاء على حافة السرير الحادة؛ رغبة منها في مزيد من الراحة في جلوسي، ثم تناولني ما طاب من المشروبات، الساخن منها والبارد! وهكذا يتكرر المشهد بتكرر دخولي (غرفتها) المنيرة بها – رحمها الله

– وكأنني أزورها للمرة الأولى، أو كأنني ضيف غريب ممن يُستعد له بمزيد حفاوة وتكريم.

ويا لله كم لنا في هذه الغرفة من ذكريات! منها ما كان بيني وبين أمي – رحمها الله – ومنها ما كان بيننا ويزيد معنا أحد إخوتي وعلى الأخص (صالح) الذي لا أزال أذكر استلقاءه على الأرض في غرفتها – رحمها الله – بعد خروجه من دوامه، وحينها يرفع رجليه على السرير لاستعادة النشاط، حيث كانت تلك الغرفة وصاحبتها – رحمها الله – مصدر الطاقة لنا ، ومنبع الحياة ، والمزود الحقيقي في هذه الحياة !

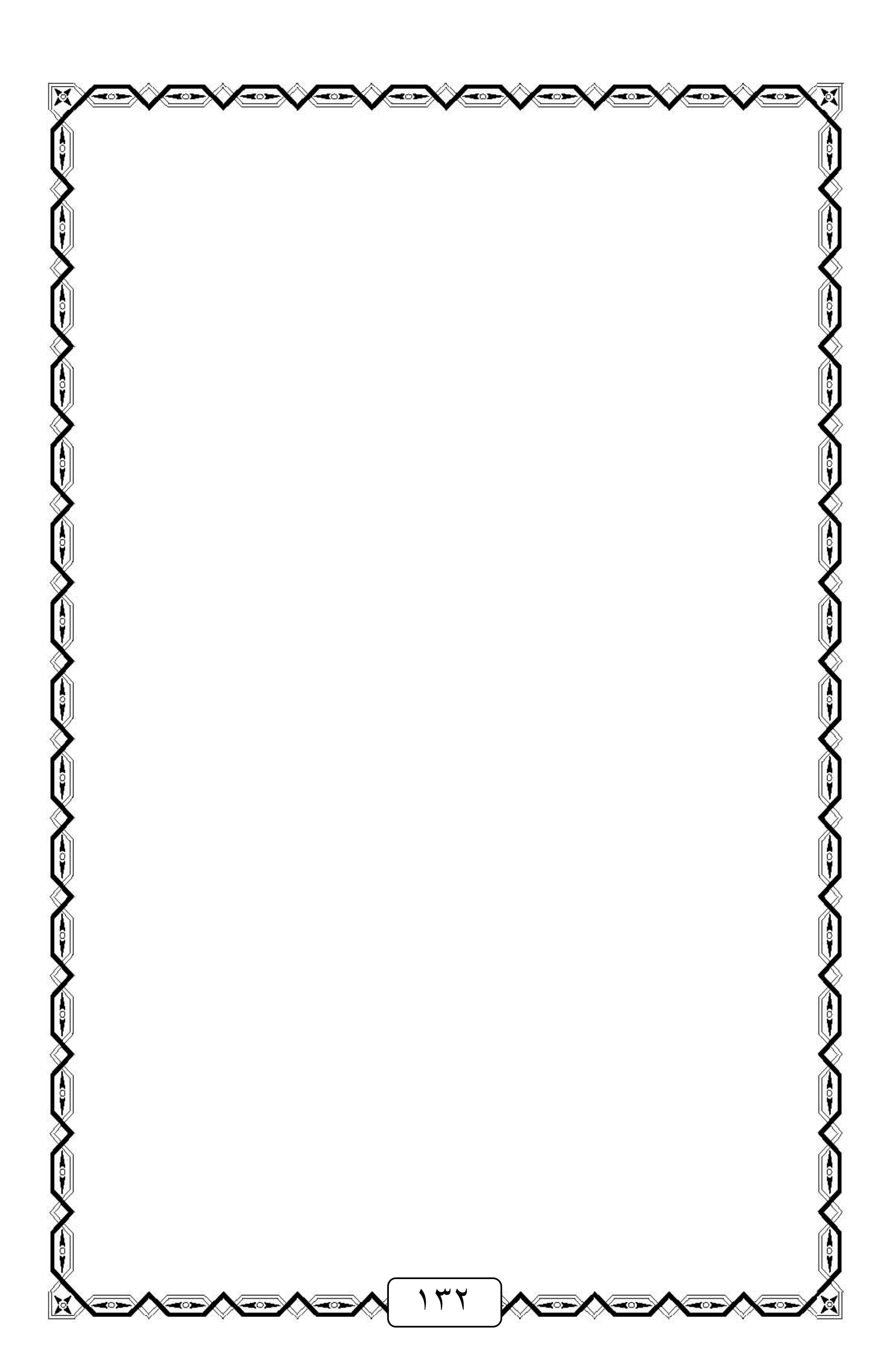
ومن روائع العلاقة الحميمية مع أمي – رحمها الله – العناية الفائقة بتجهيزنا في الأعياد، والجُمعات، والمناسبات، فرائحة البخور تملأ أرجاء البيت، وتتمركز في تلك الغرفة حيث مهوى قلوبنا في ذلك البيت، فنصعد إليها لنجد البخور الأصلي، والمباخر المجمَّرة ، التي تزدان بيديّ أمي –

رحمهـا الله – حيـث اعتـادت أن تمـسك بـالمبخرة احترامًـا لأولادها فتجعل المبخرة بين طـرفي شـماغ أحـدنا أو غترتـه، حتى يتشبع منها ، ثم تنحني – رفع الله مقدارها دنيـا وآخـرة – إلى الأرض لتجعل المبخرة تحت ثياب أحدنا، والـسرور لا يكاد يسعها في تطييبنا!

وإنني أذكر بالتفصيل الدقيق خروجنا من غرفتهـا وقـد لبس أخي صالح (بـشته) في غرفتهـا – رحمهـا الله – فبخّرتـه تلك الليلة وودّعته بالـدعاء أن يوفقـه الله في زواجـه. ولعـل تلك الليلة كانت من الليالي الأخيرة التـي اجتمعنـا فيهـا مـع أمي – رحمها الله – حيث الغرفة والبخور!

يا (صالحُ) ! والأنسُ كـانَ بــ(غُرفـةٍ)	أضحتْ بـلا (أمّـي) حـديثاً مُقْلِقـا
كـمْ جلـسةٍ للحُـبِّ قـدْ حَفَّـتْ بِنـا	(أمّـي) بهـا عقـدُ الإخـاء توثقـا
يـا (صـالحُ) ! كـمْ مُتْعَـةٍ مـرَّتْ بِنـا	(أكـوابُ شـاي) في صـباحٍ أشرَقـا
يـا (صـالحُ) ! كـمْ مِـنْ مـساءٍ سـامِرٍ	كنّـا نبادلُهـا الكـلامَ الـشائقا
يـا (صـالحُ) ! كـمْ ليلـةٍ كنّـا معـا	(أمّـي) هنـا ! حيـثُ الحنـانُ تَـدَفَّقا

وللحديث بقية إن شاء الله ...





١٥ـ أمي نورة – رحمها الله –وضرب الأمثال

من طَبع أمي نورة – رحمها الله – الاجتماع والأنس بالآخرين، لم تكن تحب الوحدة ، ولا الانفراد بعيدًا عن الناس ؛ ومن نتائج هذا الاجتماع وذلك التقارب تبادل الأحاديث ، ونقل التجارب ، وإفادة الآخر والإفادة منه.

و(الأمثال) والاستشهاد بها من الأمور الواضحة في حياة أمي نورة – رحمها الله – وهذا ما يلمسه كلُّ من خالط أمي نورة – رحمها الله – وعاش معها ولو مدة يسيرة ،

فكيف بمن لازمها ليلا ونهارًا ، سفرًا وحضرًا إلى أن سافرت إلى الدار الآخرة رحمها الله.

مع العلم أن العفوية وعدم التكلف هما السائدان في حياة أمي – رحمها الله – إذ لم تكن تتصنع الحديث ، ولا تتكلف في إيراد المثل، ولكنها – رحمها الله – تستحضره إذا جاءت له مناسبة ، وهذا ما جعلني أحفظ شيئًا من تلك الأمثال التي كانت تَرِد على لسان أمي – رحمها الله – في مناسبات عديدة ، مما سأورده هنا.

يخرج أحدنا عن طوره أنا أو أحد أولاد أمي – رحمها الله – فيضرب أحد أطفاله أو يعنّفه أمام ناظري أمّي ، وربما أمام مسمعها (من خلال مكالمة هاتفية) فتنزعج أمي – رحمها الله – أيما انزعاج ، وتتأذى لهذا الضرب ، وكأن الضرب موجَّه إليها – حاشاها – فتنطلق من عاطفة حب الولد وولد الولد قائلة: لا تضربه، اصبر عليه ، أدِّبه دون ضرب ، وهكذا من كلمات التوجيه ثم تختم ذلك أو تبتدئه

بالمثل الذي طالما سمعته من فمها الطاهر : " ضرب الأطفال يحبط الأعمال ".

مثل عامة الناس يكون بيننا – نحن أولاد أمي نورة رحمها الله – وبين غيرنا خلاف في الرأي ، أو نقاش حول موضوع ، أو مشاحة في مطالبة ، فتتدخل أمي – رحمها الله – بحكمة ورويّة لترشدنا إلى الطريق الأولى في النقاش ، والكلام الأفضل في الحوار ، مرشدة لنا بعدم الفجور في المخاصمة ، ولا التطاول في الكلام، ومحذرة لنا من الإغلاظ في القول ، فتردد على مسامعنا المثل الذي طالما سمعناه منها – رحمها الله – في مناسبات عديدة : " الكلام الليِّن يغلب الحق البيِّن" ، وهي بهذا المثل تجبرنا على اللين في المنطق ، والبعد عن السباب ، وتبادل الاتهامات.

مرَّت أمّي – رحمها الله – بضائقة مالية ، وبحكم قربي الشديد منها كنت أعرف تفاصيل ذلك الظرف ، فاقترحت عليها دون أن تشكو هي من الحال ، اقترحت عليها مبادرة

مني أن تكلِّم في موضوعها هذا أحد أقرب الناس إليهـا ممـن أغناه الله تعالى ، ويا ليتني لم أفعل ! ويـا ليتنـي لم أقـترح ! ولم أبادر بهذا الرأي ! لأن اقتراحي هذا تصادم مـع (عـزّة) أمـي نـورة – رحمهـا الله – ومـسَّ – دون قـصد منـي –كرامتهـا ! ولذلك ردّتْ عليَّ بمثل ولم تزد عليه ، مثل يختصر الحالة التـي هي فيها ، ويبيّن السبب في عدم قبول اقتراحي، مع المحافظـة على عدم توبيخي عـلى هـذا الاقـتراح ، ردَّت – رحمهـا الله – بهذا المثل : " خالي وهـو أدري بحـالي " ! فهمـتُ مـن إيـراد أمي – رحمها الله - هـذا المثـل أن اقتراحـي إنـما هـو تحـصيل حاصـل، إذ إن الـشخص الـذي اقترحتـه للتـدخل في إنهـاء الضائقة المالية ذو قرابة وثيقة بأمي رحمها الله.

وعند تكرر مثل هذا الموقف قالت – رحمهـا الله – مـثلا مقاربًا ؛ وهو :" قال ورا عمـك مـا يكـسيك ؟ قـال : عمـي يشوفني " !!

أطفـالاً ، وشـبابًا ، متـزوجين ، وآبـاءً ، في كـل مراحـل عمرنا هذه لم يفارقنا المثـل الـذي طالما سـمعناه مـن أمـي – رحمها الله – في الحث على صلاة معيّنة قد يقـع فيهـا التفـريط بنوم أو خلافه ، كانت رحمها الله تردد على مـسامعنا جميعًـا – نحن أولادها الخمسة – تردِّد هذا المثل الـذي زرع في قلوبنـا تعظيم الصلاة، والمهابـة مـن التفـريط فيهـا ، والخـوف مـن الوعيد على تأخيرها فضلا عن تركها – لا قـدَّر الله – إذ إنهـا ما أن ترى أحدًا نام عن صلاة العصر ، أو تسمع ذلـك حتـى لو لم يكن عندها في البيت إلا وتـذكِّره بالمثـل الـذي حفظنـاه من لسانها – رحمها الله - : " لا تبكِ شقيقك لا مات ، وابـك عصر الخمـيس لا فـات " ! مثـل يجمـع في ألفاظـه القـصيرة العديد من معاني الترهيب ! لا سيما وفيه إجـراء مقارنـة بـين أمرين مهمين زاد ألم أحدهما على الآخر ، ومما يزيد وقـع هـذا المثل في نفوسنا أننا نسمعه ممن تحـب الـشقيق ، وتحثنـا نحـن الأشقاء على المحبة ، وبتربيتها العملية عرفنا منزلـة الـشقيق ،

ومع ذلك فهي – رحمها الله – من خلال هذا المثل تبين لنا أن المصيبة بفوات صلاة العصر تنسي المصيبة بموت الشقيق ! لأنها أشد وقعًا ، وأعظم خسارة ! فيالله كم ترك فينا هذا المثل من أثر !

ربما بدر نحو أمي نورة – رحمها الله –بعض التقصير من أحدنا – عفا الله عنا وسامحنا – فلم تكن تعتب العتاب الطويل ، ولا كانت تكيل الكلمات الجارحة ، فضلا على أنها لم تقاطع أحدًا من أولادها طوال حياتها – رحمها الله – وإنما كان قصاراها في العتاب في مسمع من تعاتب أو في التلميح له أن تورد المثل القائل: " من بَعد أمّك تكرم ؟! " وكأن هذا المثل يختزل كل رسائل العتاب الموجّهة إلى الابن المقصِّر أوغيره ، فمن الذي يستحق الإكرام إن لم تكن هي الأم ؟! ومن الذي يستحق أن ترضيه في سبيل إسخاط أمّك ؟! وهكذا يُوصل لنا هذا المثل المختزل كلَّ رسائل التوبيخ ، المبطّن بالمحبة، المصحوب بالاسترحام، المقرون

بالاستعطاف بذكر لفظ " أمك "، وهنا تتضافر الخصائص اللغوية في التأثير في نفس السامع؛ فاجتماع لفظ " أم " مع الإضافة إلى " كاف المخاطب المفرد " لمزيد من الحنان والقرب ، فالأولى بالإكرام هي " أمك " ! وليس أحد أولى من "أمّك" !

وأما المثل الذي طالما تمثّلته واقعًا عمليًا في حياتها اليومية ، وطالما حثّتنا على العمل به ، فهو قولها – رحمها الله – المتكرر على مسامعنا : " اِنفق ما في الجيب يجيك ما في الغيب ". وهذا الذي حبَّب إليها الإنفاق حتى كأنها جُبلت عليه في كريم أخلاقها، وروائع تصرفاتها، ولذلك لا أستغرب ألا يكون في خزينتها مبالغ مالية تستمر طويلا، وكأنما تمثَّلت قول الشاعر :

لا يأْلَفُ الدِّرْهَمُ المَضْرُوبُ خِرقَتَنا   لكِنْ يَمُرُّ عَلَيها وَهْوَ مُنطلِقُ

ججججج

وأذكر هنا أنني كنت متشرفًا بالسفر مع أمي نورة – رحمها الله – وفي صالة المطار جاء عامل الخطوط بالكرسي

المتحرك ليخفف على أمي – رحمها الله – المشي من الـصالة إلى كرسي الطيارة في مسافة ليـست بالطويلـة ، ولمـا وصـلت إلى مكانها قالت لي : " عطه يا وليدي ميّة " ! قلت : يمه أبـشري لكن المشوار قصير ، قالت : " لا يا وليدي تعبناه عطه ميّـة"! وهكذا نال العامل ميّة وربما كان يفرح في مثـل هـذا الموقـف بالخمسة أو العشرة !

كانت أمي – يرحمها الله – تحب زيـارة شـقيقتي الغاليـة (لولو) لها في منزلها ، وتـشعل الأنـوار ابتهاجًـا، وفي إحـدى زياراتها قامت أمي في فناء بيتنا تطفىء أنواره التـي لا حاجـة لبقائها مشتعلة ؛ توفيرًا على والدي – حفظه الله – من فـاتورة الكهرباء ، وكـأن إحـدى الحـاضرات تلـك الليلـة لم ترغـب التوفير لسبب أو لآخر !قائلـة : لا داعـي للتـوفير ! فعاتبتهـا أمي – رحمها الله –قائلة : " زيّني نيتك تزين لك " ، وها هـي (لولو) تذكرنا بالمثل ومناسبته بعد مرور سنوات عليه.

وبين وقت وآخر - بحكم طيشنا ، وقلة خبرتنا في الحياة - لا نفهم المواقف المتسامحة المتكررة من أمي نورة – رحمها الله – تجاه من يخالفها الرأي ، أو يبخسها بعض حقوقها، ولذلك يصدر منا بعض الاعتراضات على هذا التسامح، وكأننا لا نرضى لأمي – رحمها الله – ضياع حقوقها، فكانت تقنعنا بالعفو والتسامح، والصفح والتجاوز ، ثم تؤيد كلامها ذلك بالمثل الذي ردّدته علينا مرارا:" ما يندم إلا راعي الرديّة " ! وحقا كلامها ، وصدقا فعالها ! فصاحب التصرفات الطيبة لا يندم.

ومما يقرب من المثل السابق ما كانت – رحمها الله – تذكره بين وقت وآخر؛ وهو عبارة عن خلاصة تجربة، وعصارة حياة، حيث كانت تقول منفرة لنا من شتم أحد أو سبّه : " لا تسب أحبَّ منك؛ تُبغض ولا يُوحى منك " ! يعني لا يُسمع منك ، وهكذا بعبارة مختصرة تخاطب عقولنا بعدم جدوى السب والشتم.

وأما مثل " مدح النفس سماجة " فقد سمعناه من أمي – رحمها الله – في مواقف عديدة، فأحيانًا يكون في معرض النهي عن مدح الواحد نفسه، في حث على التواضع، ومرات قليلة كانت تورده – رحمها الله – في معرض الاضطرار للحديث عن النفس من باب القدوة ونقل التجارب الناجحة ، والنماذج الصالحة. ولكنها تبين أن المنهج ليس ذكر المحاسن الخاصة ، ولذلك تذكِّرنا – رحمها الله – بالمثل :" مدح النفس سماجة " ، والسماجة كما في المعاجم اللغوية العربية تعني (القبح).

وكانت – رحمها الله- تردِّد على مسامعنا مثلاً لا زال جرسه يرنّ في أذاننا إلى اليوم، وهو قولها – رحمها الله –مبيّنة حقيقة الدنيا ، وألا نعطيها فوق حجمها: "الدنيا كسْر اللي هي له "! وهذا المثل من آخر ما قالته في المشفى قبل مغادرة حياتنا الفانية، عليها رحمات الله السابغة.

أما المثل الـذي ينـشىء فينـا الرقابـة الذاتيـة ، والمتابعـة الداخلية فهو الـذي غرسـته – رحمهـا الله – في نفوسـنا منـذ الطفولة ، حيث كنا نسمعها تقول : " ما قدّمت تلقاه " كبُرنـا وكبُر معنا هذا المثل ، فالذي ينتظرنا غدا هو ما نعمله اليـوم ، نجاحنا في الدنيا هو حصيلة أعمالنا فيها ، ونجاتنا في الآخـرة هو حصاد زرعنا في هذه الحياة الفانية ، فالذي نلقاه غـدا هـو ما قدمناه نحن لا غيرنـا ، إذًا فليطـب وليـصلح مـا نقدمـه ، هكذا كانت أمي – رحمها الله – تزرع في نفوسنا المكـارم عـن طريق المثل.

ولمعرفة الجوهر والمخبر ، وعـدم الاغـترار بـالمظهر فقـد كانت - رحمها الله – تردد عـلى مـسامعنا أن " الـزِينْ غِـسال يدينْ" ! وهي – رحمهـا الله - مِـن خـير مَـن يعـرف الجـمال ويطرب لـه، وهـي مِـن خـير مَـنْ تـأسره المنـاظر الجميلـة ، والأشكال الرائعة، لكنها تبـيِّن لنـا – رحمهـا الله – أن الجـمال الظاهري ليس مسوِّغًا للتغاضي عن جمـال البـاطن، وحـسن

الأخلاق، والتحلي بالمكارم، إذ إن المخبر يبقى، والأخلاق تسود، أما جمال الظاهر المجرد من الجمال الباطن فسرعان ما يزول ، لأنه مجرد (زين) ؛ و" الزينْ غسال يدينْ "!

وحتى في أوقات اللعب لم تكن الأمثال تغيب عن أمي – رحمها الله – فها هم أحفادُها أثناء تجمعهم مع أمهم نورة – رحمها الله – في لعبة (الكيرم) كانوا يسمعونها تردِّد معلمة إياهم التسامح ، وملقنة لهم التدريب العملي في مواجهة أمور الحياة، ومن مبدأ (التعليم بالترفيه) الذي تطبِّقه أمي – رحمها الله – وإن لم تدرسه يومًا من الأيام ، بل ربما لم تسمع بهذا المصطلح في حياتها، لكنها تمارسه مع أولادها وأحفادها، وهذا ما تعلمته حفيدتها (هيفاء) في لعبة (الكيرم) من المثل السائر على لسان أمي – رحمها الله – : "المسامح كريم " ! إذاً فليكن هذا المثل منهاج حياة، في (الكيرم) وفي سائر المواقف !لنتسامح !

أمَّا المثل الذي لا تكاد تمرُّ عدة أيام إلا ونسمعه من أمي – رحمها الله – فهو قولها : " القلب دكَّانْ ، وكل(ن) له مكان" ، وهذا المثل يحمل في طيّاته معاني الحب، والمجاملة، وعدم تكدير الخواطر، والرغبة في إعطاء كل من حولها – رحمها الله – قدره في المحبة ، والتقدير ، وذلك أنها طوال حياتها تحرص على عدم جرح أحد، بعيدًا كان أم قريبًا ، وهي بهذا المثل تطفي نار الغيرة المحمودة بين محبيها بهذا المثل، ولذلك فقد علِق هذا المثل بالذات في نفوس أولادها وغيرهم من محبيها، وطالما سمعتها – رحمها الله – تقوله في حضرة صاحب المقام الرفيع؛ الصهر الغالي، ذي المحل السامي (علي المسند) زوج الشقيقة الغالية (لولو) الذي نزل في (دكان) المحبة المنزلة الرفيعة ، حتى لقَّبته أمي – رحمها الله – (خامس الأبناء)، وكذلك كانت – رحمها الله تعامله، فهو بحقٍّ أحد الأبناء؛ وهنا أختم المقام بأبيات في

واحد ممن احتل في (القلب / الدكان) ذلكم المكـان، أبيـات في خامس الأبناء:

يا خامسَ الأبناءِ، يا صِـهري (عـلي)   أهدي لكَ الأشـواقَ والـشكرَ الجَـلِي

وأقـــدِّرُ المعـــروفَ ، أنـــت وليُّـــهُ   فلَكَـــمْ نَعِمْـــتُ بفـــضْلِكمْ مِـــن أوّلِ

ولَكَمْ شَرُفـتُ بِقُـرْبِكمْ يـا صـاحبي   يـا قامـةَ الأمجـادِ في الطـودِ العـلي

أشـتاقُ رؤيـتَكمْ وطِيـبَ حـديثِكمْ   في(الأربعـاءِ) لقـاؤكمْ كـمْ طـابَ لِي

شرَّفتنـــا وازدادَ تـــشريفٌ لنـــا   بـــ(بنيـكَ) هـمْ تـاجٌ لنـا في المحفَـلِ

(البِكْـرُ) أو (راكـانُ) أو (سـلمانُنا)   والخـيرُ في خَـتْمِ القـوافي (مِـشْعَلِ)

و(بُنيَّتَـــينِ) هُمَـــا جَمَـــالٌ آسِرٌ   في عِفَّـــةٍ وثقافـــةٍ وتجمُّـــلِ

(نـوفُ) الحبيبـةُ (زينـةٌ لبناتِنـا)   (هيفـاءُ) يـا نـورًا مـضيءَ الِكْحَـلِ

وهَنيئهـا (أختـي) وقـد فـازتْ بِكـمْ   يامعـدَنَ الأجـوادِ ياصِـهْري (عـلي)

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى...



١٦ـ طعم العيد والجمعة مع أمي رحمها اللّه !

لِعيدَيْ الفطر والأضحى ، وعيد الأسبوع فرحة وابتهاج لدى الكثير ،لا شك في ذلك، ولكنَّ طعم هذه الأيام الثلاثة، ومذاقَها لدى كل مَنْ خالط أمي نورة – رحمها الله– يزيد تميّزًا؛ والسبب في ذلك ما توليه أمي نورة – رحمها الله – من العناية الفائقة، والبصمة الخاصة التي تصبغ بها كل يوم من هذا الأيام حسب ظروفه.

فـ(يوم الجمعة) المطلّ كل أسبوع تتكرر فيه بعض الأعمال؛ التي من أولها القيام المبكر، والقهوة والشاي والحليب، وصوت المذياع على قراءة القرآن، يصاحب ذلك

أو يعقبه بقليل الروائح الزكية ضحى، فالبخور يملأ جنبات البيت، والأطياب الأخرى تتجاوز جدران الغرف إلى المكان المحيط بالبيت حيث الفناء، وإذا اقترب الظهر تحول المذياع تلقائيًا إلى صوت سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ – حفظه الله – في صوته الجهوري المميز، من وسط مدينة الرياض إلى وسط غرفة أمي رحمها الله.

فإذا عدنا من صلاة الجمعة بتوقيت الرياض إذا بالتفلزيون على القناة السعودية الأولى التي فيها صلاة الحرم، حيث حضور المصلين إلى المسجد الحرام، وانتظار خطيب المسجد الحرام، مع قهوة الظهر المزدانة بالزعفران، والشاي بنوعيه المحلّى بالسكر والخالي منه، والتمور، والبخور، ثم ما هي إلا دقائق حتى يتوافد على ديوانية أمي – رحمها الله –مختلفو الأطياف يتقدمهم والدي حفظه الله تعالى – إذا كان اليوم يوم أمي - رحمها الله – ومن الحضور خالي صالح – حفظه الله- وأولاد أمي نورة – رحمها الله –

وبعض الأحفاد، وإخواني غير الأشقاء، وغيرهم من الأقارب ينقصون أو يزيدون بين جمعة وأخرى، في الديوانية شتاءً، وفي غرفة الجلوس الداخلية صيفًا.

مِن الضيوف مَن يسمح وقته بالسلام والقهوة والشاي، وينصرف مبتهجًا مسرورًا بجلسة ملؤها الترحيب والبشر، وكرم الضيافة. ومنهم مَن يتسع وقته لإكمال سرور أمي - رحمها الله - بالبقاء لتناول وجبة الغداء مع أمي نورة - رحمها الله - حيث بوادي الجريش الذي يعلوه البزار المميز، وحلّة القرصان المختلطة باللحم، المزيّنة بالخضار المصفوفة بعناية، وذوق وجمال، والرز ذو النكهات الأخّاذة مع استدارة الكوسا والخضرات فوق الرز، وما يتبع ذلك من إدام الباميا، وصحون السلطات، واللبن، والفواكه، في سفرة تحرص أمي - رحمها الله - أن تكون قطعة واحدة مستطيلة طويلة بحيث يكون الجميع متقابلين مجتمعين مهما

كـان العـدد، دون الاضـطرار إلى تقـسيمها لـئلا نبتعـد عـن الاجتماع ولو للحظات!

وأما بعد الغداء فمن انصرف فـبحفظ الله تعـالى، ومـن بقي فمع حفظ الله سيجد أمي – رحمها الله – تكمل ضـيافتها له بالأحاديث والشاي، ولأن العدد سيكون أقـل، فـالمجلس سيكون أقل رسمية، ولذلك فـربما أكملنـا الحـديث معهـا – رحمها الله –وقد خفّفنا أنـوار غرفـة الجلـوس، في حالـة مـن الهدوء والاضطجاع على المجلس، وتوسّد المراكـي في جلـسة ودّية ليس فيها إلا الأحاديث التـي مـا أحلاهـا ! حيـث الأمّ ومَن بقي من أولادهـا. لحظـات وإذا بـأذان العـصر ينـادي، وهكذا الحال في الغالب كل جمعـة مـن الجمعـات التـي فيهـا أمي نورة – رحمها الله.

أما (عيد الفطر) !فالعيد مـع أمـي نـورة – رحمهـا الله – عيدان؛ ذلك أنها تقلب البيت رأسًـا عـلى عقِـب، الاسـتنفار العام ليلة العيد، فمن نكهات الطبخ الشعبي التي تملأ المكـان

بالبهارات والتوابل، وما يتبع ذلك من إعـداد كامـل لوجبـة العيد الرسمية التي طالما تفاخر بها والدي فجـر العيـد حيـنما نأتي بها له في جماعة الحي الـذين جـرت عـادتهم أن يـأتي كـل واحد منهم بعيده ويجتمعون في قبلة المسجد الجامع مـن بعـد صلاة العيد حتى قبيـل اشـتداد الـشمس، ويـالله كـم شـهد مكـان الاجـتماع (الـساحة الغربيـة لجـامع الـذياب في حـي الفيحاء) من وجبة العيد السنوية التي تعـدُّها أمـي – رحمهـا الله – بكـل عنايـة ، في غايـةالحفاوة، حتـى إني لأرى وجـه والدي – حفظه الله – متهللا كل عام وجماعة الحـي يتنقلـون بين وجبات العيـد المختلفـة حـسب العـادة في ذلـك اليـوم، لكـنهم يطيلـون المكـث أمـام (عيـد أبي غـانم) مثنـين عليـه مشيدين به، وما علموا أن وراء (عيـد أبي غـانم) أيـادي (أم غانم) رحمها الله.

أعود بكم للحديث إلى ما قبل صلاة العيد فإننـا نحـضر لأمي نورة – رحمها الله – بعيد صلاة الفجـر مبـاشرة، لنجـد

البخور والقهوة والتمرات قـد جهَّزتهـا أمـي – رحمهـا الله – فنأخذ منها تمراتنا الوتر؛ تطبيقًا للسُّنة قبـل خروجنـا لمـصلى العيد، ومِن ثمَّ تـزدان سـيارتي بركـوب أمـي – رحمهـا الله- (بحنكتها) الرائعة وهي قطعة القماش التي تلـف بهـا رأسـها المـزدان بـروائح دهـن العـود، تخـرج تـشهد صـلاة العيـد، مـصحوبة بمـن تيـسّر لـه الـذهاب مـن زوجـات الأبنـاء، والأحفاد الذين يفضلون صحبتها عـلى أيـة صـحبة أخـرى! تعجُّ السيارة بـالتكبير " الله أكـبر الله أكـبر لا إلـه إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد"

ثم ما أن تنقضي صلاة العيد ، إلا ونعود معًا لبيـت أمـي – رحمهـا الله – حيـث اجـتماع الأحبـاب والأقـارب، مـن الرجال والنساء الذين يرون مـن أهـم بـرامجهم ذلـك اليـوم البدء أو المشاركة في مجلـس أمـي – رحمهـا الله –فمـع كونهـا تُخرج عيد والدي – حفظه الله – كما ذكرت قبـل قليـل، فـإن المتعيدين معها في البيت يحظون بمثـل الوجبـة الـشهية التـي

أعدتها لرجال الحي، وجبة تشمل بفرحتها الكبار والصغار، النساء ومَن لا يرغب الخروج لعيد الحي من الرجال، والخادمات لهن النصيب الكبير من فرحة العيد.

ومِن أميز ضيوفنا في كلّ عيد فطر خالتي (منيرة) – حفظها الله - زوجة جدي لأمي (عبد العزيز المانع) – رحمه الله – التي اعتادت لسنوات متتابعة أن تشهد العيد مع ابنة زوجها أمي نورة – رحمها الله – ولم تنقطع تلك الزيارة الرائعة إلا بوفاة أمي نورة – رحمها الله – وكم كانت بينهما (أمي رحمها الله وخالتي زوجة أبيها رحمه الله وحفظها) من أحاديث رائعة كنت أستمع إليها في ذهابها وإيانا لصلاة العيد، ولا زلت أذكر بكاء خالتي – حفظها الله - وهي تحدِّثنا بحديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن كون يوم العيد هو يوم الجوائز.

أمَّا (العيدية)فتكون جاهزة مع أمي – رحمها الله –قبل العيد، وعادة ما تطلب منَّا – رحمها الله - قبل العيد أن نجهّز

لها مبالغ مالية تحرص أن تكون من مؤسسة النقد مباشرة؛ لتكون الأوراق النقدية جديدة فتزداد فرحة من تعيِّده بها ، للأطفال نصيبهم من فئة الخمسة ريالات أو العشرة، ولبعض الأطفال فئة الخمسين والمئة، وأما الخادمات فلهن من الفئات الورقية التي ربما لا يأخذن مثلها ذلك اليوم من غير أمي – رحمها الله – وكم هي فرحة الطفل أي طفل عندما يسلم على أمي نورة – رحمها الله – مقبّلا رأسها فرحًا بما أعدّته له من مبلغ مالي يدخل عليه من هنا ليخرج به إلى البقالة المجاورة (بقالة روزي الباكستاني رحمه الله) الذي كان يفرح بأي اجتماع عند أمي – رحمها الله – لأن بركة هذا الاجتماع تتعدى إليه وإلى مبيعاته ذلك اليوم!

وهكذا تستمر الفرحة بالعيد مع أمي – رحمها الله – حتى ما قبل الظهر حيث التعب والإرهاق، فإن لم يبق أحد من الزوار، خلدت - رحمها الله – للقيلولة، لتستأنف

الاستقبال والحفاوة والتقدير بضيوف العصر والمغرب والمساء.

ومن أروع ذكريات عيد الفطر مع أمي نورة – رحمها الله – ما كنت أتشرف به حينما أصحبها في سيارتي ومَن يتيسر له الذهاب معنا من زوجة وولد، نذهب إلى مرتفعات طريق النهضة في الربوة، أو إلى جوار (أستاد) الأمير فيصل بن فهد في الملز؛ للاستمتاع عن قرب بالألعاب النارية الليلية، لحرصي على أن تشهد أمي – رحمها الله – تلك الفعاليات التي تزدان بأنسها – رحمها الله –

وأمّا (عيد الأضحى) فلأمي نورة – رحمها الله – معه بصمات خاصة، فالاحتفالية تبدأ قبل العيد بيومين أو ثلاثة، منذ أن تصل الأضاحي إلى منزلها – رحمها الله – حيث تعتني بها من حيث المأكل والمشرب، والاستعداد بأدوات الذبح والسلخ؛ من السكاكين، والمسنّ، و(الصواطير)، و(التباسي) المعدة لوضع اللحم.

حتى إذا كانت ليلة العيد، وبعد الإفطار من صيام يوم عرفة، تُخرج أمي – رحمها الله – العدّة الخاصة (السكاكين ونحوها) وتضعها في مكان الذبح في فناء بيتها – رحمها الله – وما أن نرجع معها – رحمها الله – من صلاة العيد، إلا والقهوة والتمر، والشاي معدَّة في (ترامسها) الخاصة التي تمكننا من تناولها دون أن تؤخرنا عن ذبح الأضاحي مع والدي – حفظه الله – وبقية إخوتي، ومن يحضر من زوجات الأولاد، وبعض الأحفاد.

وهنا تكون أمي – رحمها الله - بمثابة قائد الفريق في المطبخ المجاور لمكان الذبح، فما أن ينتهي والدي – حفظه الله – من إحدى الذبائح، إلا وتقوم أمي – رحمها الله – بتوزيعها على الأقارب ممن لها عادة أن تصلهم بلحوم الأضاحي كل عام، وقد جرت عادة والدي – حفظه الله – أن يبتدئ بأضحية أمي نورة عن والديها (عبدالعزيز ومزنة) – رحمهم الله جميعًا – وما أن يشرع في ذبح الأضحية الثانية

أو الثالثة إلا وقد جهَّزت أمي نورة – رحمها الله – مع الفريق الذي معها (الحميسة)، حيث نجتمع نحن الرجال على صحون الكبدة (الحميسة)، وتجتمع النساء على مثلها، وذلك بمثابة استراحة قصيرة تُستأنف بعدها عمليات الذبح والسلخ، علينا نحن الرجال، والتقطيع، والتوزيع على أمي نورة – رحمها الله – ومن معها من النساء.

وهكذا ما أن يشتد الضحى، ويقترب الظهر إلا وقد فرغت أمي نورة – رحمها الله – من أعمال ذلك اليوم السعيد الذي ينتهي بكتابة أسماء الأقارب على أكياس اللحم أو كراتينه التي تخصّهم؛ لنقوم بإيصالها لهم عصرًا في منازلهم، أو إعطائهم إياها إذا أوصلوا ما يخص أمي – رحمها الله – من أضاحيهم.

وأما من شارك أمي – رحمها الله – في أعمال ذلك اليوم، من الشقيقة الغالية (لولو) ومن زوجاتنا نحن أولاد أمي نورة – رحمها الله – فلا تخرج الواحدة منهن ضحى إلا وقد

أخذت ما يخصها من لحوم الأضاحي، مودّعين أمي – رحمها الله – متبادلين معها الدعوات بالسعادة والقبول.

وهذا ما كان يتكرر كل عام، حتى كان آخر وداع في عيد الأضحى من عام ١٤٢٩هـ حيث خرجت النسوة من عند أمي – رحمها الله – ولم يعدن إليها عام ١٤٣٠هـ لأن البيت خلا منها – رحمها الله – فلا عيد ، ولا ذبح، ولا سلخ، ولا (حميسة)، ولا كتابة على اللحوم بأسماء الأقارب الذين فُجعوا بفقدها بعد آخر عيد بأقل من ثلاثة أشهر ! رحم الله من كانت عيدًا لنا في أعيادنا ، وجامعة لنا في جُمعاتنا، حضرت – رحمها الله - عيد الأضحى ١٤٢٩هـ ، ودخلت المستشفى في ٣/ ١ / ١٤٣٠هـ ، وصُلي عليها – رحمها الله – في ٣/ ٣ / ١٤٣٠هـ

وللحديث بقية إن شاء الله...



١٧ـ عزة نفس أمي نورة ـ رحمها الله

من الصفات التي تحلّت بها أمي نورة – رحمها الله – عزّة في نفسها يتحدث عنها من خالطها وعاش معها – رحمها الله تعالى – عزّة من غيرِ كِبْر ، واستغناء بالله عن خلق الله، عزّة تعرف بها مكانتها، ولا ترضى أن تُخدش كرامتها ، أو يُتكلم فيها أنها أنزلت من قيمتها.

والعجيب أن هذه الصفة استمرت معها سنوات عمرها، في أوائل عمرها وأوسطه، وأواخره. والذي يحضرني في هذه الأسطر بعض المواقف التي تبيّن تلك الصفة

الجميلة في صفات أمي نورة – رحمها الله تعالى – فمـن ذلـك أن والدي الكريم – حفظه الله - أراد أن تتعلم أمـي نـورة – رحمها الله – في محو الأمية، ولكنه استخدم الحيلة السائغة بـين الأزواج، إلا أنها حيلة اصـطدمت مـع (عـزّة نفـس) أمـي – رحمهـا الله – فلـم تنطـل تلـك الحيلـة! وخلاصـة القـصة أن والدي – حفظه الله – تـزوج زوجـة مـن خـارج الـسعودية، وأخبر زوجتيه التي إحداهما أمـي – رحمهـا الله –أن الزوجـة الجديدة متعلمة وأنها تقرأ فلا تكن أفـضل مـنكما، فالواجـب عليكما الآن التعلّم ! والانخراط في محو الأمية، ومـع سـلامة قصد والدي – حفظه الله – وحسن نيته، ورائع طلبه، إلا أنـه – ربما – لم يتفطن إلى أنه يتعامل مع عزّة نفـس نـورة التـي لا ترضى أن تعمل عمـلا يظهـر منـه أن صـادر مـن غـيرة مـن منافس، حتى لـو فوّتـت مـصلحة متحققـة كـتعلّم القـراءة، ولذلك ردّت – رحمها الله - على والدي طلبه معتـذرة إليـه –

حفظه الله – بعلّة واضحة دون مواراة : " تبي الناس يقولـون ما تعلمت نورة إلا غيرة من جارتها ! ".

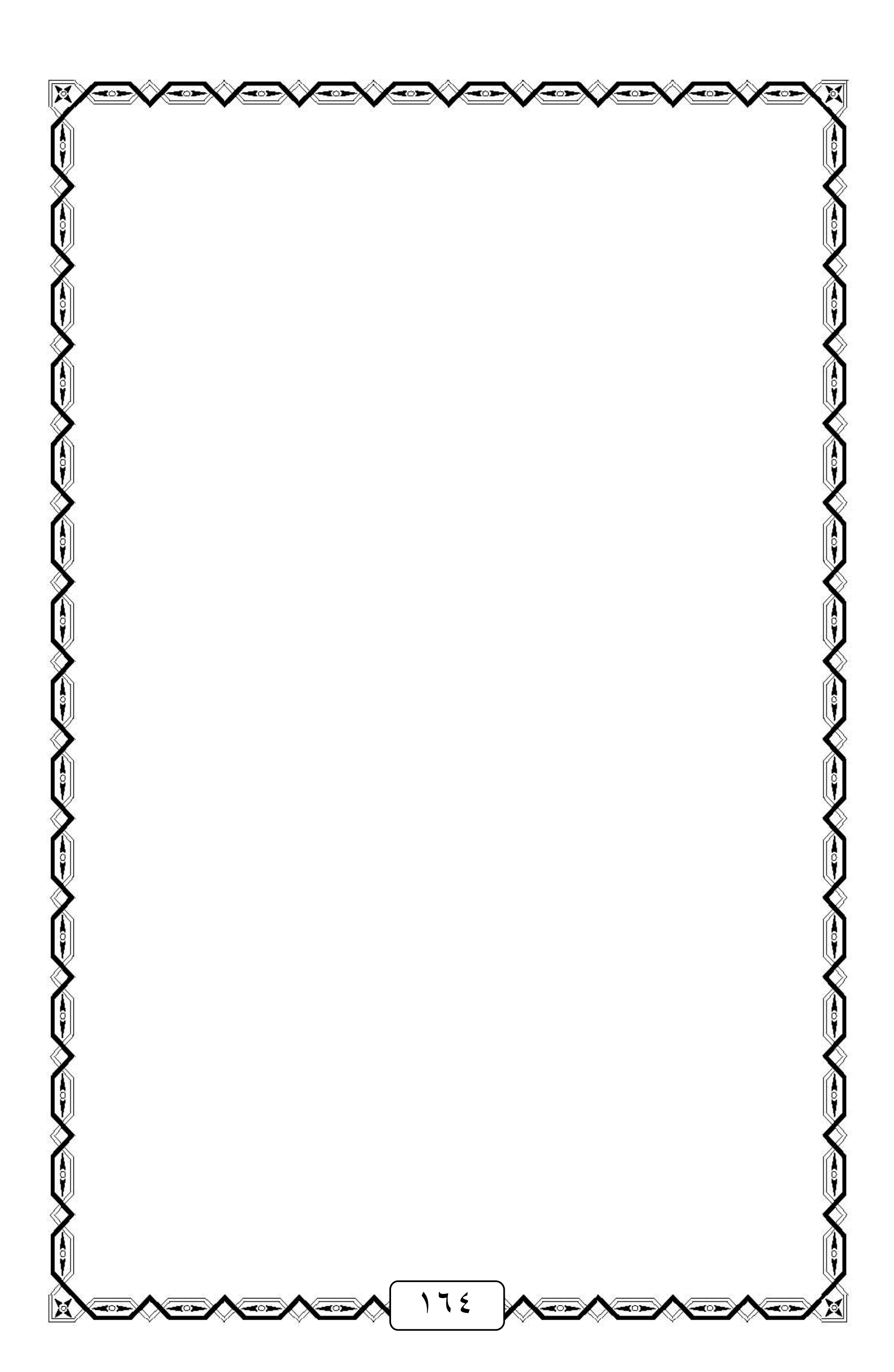
وبعد مرور سنوات عـلى تلـك الحادثـة، جـرى حـديث ودّي بين الزوجين(أمي رحمها الله، ووالدي حفظـه الله) كـان المبتدئ بالحديث والدي – حفظه الله – حيـث قـال لأمـي – رحمها الله – إن زوجة الملك خالد تكتب أسماء عوائـل معيّنـة من معارفهم، بحيث يصرف لهم الملـك خالـد – رحمـه الله – مكافآت مالية سنوية، واقترح والدي على أمي – رحمها الله – أن تكلّم في الموضوع إحدى قريباتها قريبة جدًا منها، وكانـت مـن زوجـات أحـد أقـارب الأسرة المالكـة آنـذاك، وهنـاك تحرّكت (عزّة نفسٍ) أمي نـورة – رحمهـا الله – مـرّة أخـرى ، ولكنهـا أقـوى في اللفـظ، مـع غايـة الأدب مـع صـاحب الاقتراح والدي – حفظه الله تعالى – إذ قالت أمـي – رحمهـا الله – جوابا على هذا المقترح:" بسم الله عليّ ! أنا أطلـب مـن الملك يعطيني ؟! إذا كان الملك يبيني أعطيه أعطيته!". ويالَـه

من جواب! ظل والدي يعيده متبسّما بين وقت وآخر حتى بعد وفاة أمي نورة – رحمها الله - : يقول أمك تبي تعطي الملك ، وهي ما معها ذلك الوقت إلا مئة أو مئتي ريال!

ومن المواقف التي تبين (عزة نفس) أمي نورة – رحمها الله – ذلك الموقف الذي يحمل في طيّاته روح المرح والظرافة، وملخص هذا الموقف أن والدي – حفظه الله – تزوج فتاة جامعية، ويبدو أن الليالي الثلاث التي هي من حق العروس أول زواجها لم تكن تكفي الزوج الراغب في عروسه الجديدة، فما كان من والدي العريس إلا أن ذهب مستأذنا من زوجاته الثلاث التي إحداهن أمي – رحمها الله– يستأذن كل زوجة منهن أن تهب عشر ليال مما يخصها ليجعلها ليالي للعروس، وكل زوجة تتنازل عن الليالي العشر مقابل عشرة آلاف ! بمعنى أنه سوف يشتري من أمي نورة – رحمها الله – كل ليلة بألف ريال ! ولكن والدي – حفظه الله – تفاجأ بجواب أمي نورة – رحمها الله – حيث جاء

جوابها محافظًا على (عزة نفسها) دون تعدٍّ على والدي – حفظه الله – أو إساءة أدب، فما ذا كان ذلك الجواب يا تُرى ؟ جواب أمي – رحمها الله – لوالدي كان بهذه العبارة : " سمعتي أهم عليّ ! والله ما يقول الناس إن نورة باعت لياليها لأجل المال ! لكن إن كنت تبي تأخذ الليالي خذها، ولا تعطيني لها مقابل ! " وهنا كان الجواب المقنع المعبّر – بغاية الأدب – عن العزة والكرامة ، وهو ما حمل والدي – حفظه الله – كما يقول هو على أن استحيا من أمي – رحمها الله– ومن أسلوبها ، ولم يأخذ من لياليها ولا ليلة واحدة، فسلمت ليالي أمي – رحمها الله – وسلمت الآلاف العشرة لأبي حفظه الله.

وللحديث بقية إن شاء الله ...





١٨ـ مساعدات أمي رحمها الله المالية

مما لا يشك فيه كل من عايش أمي نـورة – رحمهـا الله – لو يومًا واحدًا أنها – رحمهـا الله – قـد حُبِّـب إليهـا مـساعدة الآخرين بأنواع المساعدات: المالية، والعينيـة، وبـذل جاهها في سبيل ذلك، بـل والقيـام بالمـساعدة المباشرة عـن طريـق القيام بالعمل بنفسها؛ مساعدة لغيرها.

وأما مساعداتها لنا نحن أولادها فـأكثر مـن أن تُحـصى، فلا أظن أن أحدًا من أبنائها الأربعة تـزوج إلا بمـساعدتها في المهر، وبعض الحاجات الرئيسة للزواج. وكـذلك لـو عنّـت للواحد منّـا حاجـة أو رغبـة في تجـارة، فإنهـا – رحمهـا الله –

تبذل له من حُرِّ مالها ، ومما يتيسّر في يـدها في تلـك الـساعة ، ما تسدّ به الحاجة ، وتفرج به الكربة ، وتنفّس به الضائقة.

ومن ذلك أن (مهر زواجي) كان قد تقسّم أربعة أربـاع، ثلاثة منها أعطتنيه أمي – رحمهـا الله – بكـل طيـب خـاطر ، وأكمل والدي – حفظـه الله – ربعـه البـاقي. وكنـت حينهـا طالبًـا في الجامعـة. ولا والله لا أذكـر يومًـا مـن الـدهر أنهـا ذكّرتني بهذا المبلغ، ولا أنها ترى لنفسها فيه فضلاً ! مـع أنهـا – رحمها الله – صاحبة الفضل الأكبر بعد الله تعالى.

وبعد مرور سنوات من تخرجي في الجامعة، حـين كنـت أكتب في رسالة الدكتوراه، مرّت عليَّ ظروف صـعبة للغايـة، وزاد مـن صـعوبتها اجتماعهـا في وقـت واحـد، ومـن تلـك الظروف، اعتذار مـشرفي عـن إكـمال إشرافـه عـلى رسـالتي لاختلاف بيننا في وجهات النظر، مما يعني تـأخري تـأخرًا الله أعلم بمدته في إنهاء همّ البحث وتسليم الرسالة، ومـن الغـد مبـاشرة تفاجـأتُ بتـصرف مـن أحـد أفـراد مؤسـسة كنـت

أتعامل معها في التقسيط بأنه سحب كل ما في رصيدي، بحيث لم يبق فيه إلا مئة وخمسة ريالات! ونحن في أول الشهر ، وهناك ضاقت علي الأرض بما رحبت، واستشعرت معنى استعاذة الرسول – صلى الله عليه وسلم – من الأمرين الذينِ أصاباني معًا " غلَبة الدّين، وقهر الرجال" !

ومع هذا الظرف القاسي حاولت أن أنهي الأمر المالي ، وكلّمت في تفريج الكربة رجالاً من أقرب الناس إليّ، ولكنْ لم أرجع من تكليمهم إلا بذل السؤال!

وكنت أتوارى عن أمي نورة – رحمها الله – أن تراني مهمومًا لئلا أضيّق صدرها! ولكنها – رحمها الله – رأت من تغيّر حالي، وشرودي مما لم أتمكن من إخفائه، رأت من ذلك ما دفعها إلى سؤالي عن حالي ؟ فلـمّا علمتْ – رحمها الله – بالأمر أعلنت دون أن أطلب منها، أعلنت بلسان الرحمة ، وبنفس الأم التي حُبِّب إليها البذل والمساعدة ، قالت لي بكل لطف ومودّة – والله كأني أنظر إلى وجهها الآن في تلك

الجلسة التي لم يكن معنا فيها أحد من البشر - قالـت لي بهـذه الحروف : " يا وليدي ! لا تِضيق بك مـا دمـت موجـودة " ! ثم أعطتني مبلغًا أخبرتني أنها كانت قد أعدتـه لـشراء ذهـب لها. أعاضها الله – تعالى – من حُليِّ الجنة.

وهكذا خرجت من عنـد الباذلـة المنفقـة – رحمهـا الله – وقد انفرجت (الضيقة)!

ولا أظن أحدًا من إخواني اشترى سيارة ، أو أنشأ تجـارة إلا ولأمي نورة – رحمهـا الله – معـه مـساهمة واضـحة ، بـل ونلمس بركاتها في سلامة السيارة ، أو نماء تلك التجارة !

حتى إن أمي نورة– رحمها الله – فـيما أظـن لا تـودّ بقـاء المـال في يـدها دون الانتفـاع منـه، فـما انتفاعهـا بالمـال إلا في إنفاقه، حتى كانت تردّد كثيرًا:" اِنفق ما في الجيـب يجيـك مـا في الغيب "، وهنا أذكر أنها جاءهـا يومـا مـا (شـيك) بمبلـغ مالي زاد على الستين ألفًا بمئات معدودة، فقالـت لي – رحمهـا الله –" وش حاجتي بهذا المبلغ يـا وليـدي ؟! لكـن اصرفـه

وعطني ما فوق الستين أفرّح فيها الأطفال، وتبرع يـا ولـدي بالستين ألفًا في أي مسجد ! "وهكذا وزّعـتْ – رحمهـا الله – المبلغ قبل أن يدخل عليها! مـع أنهـا لا تملـك - حينئـذ - في خزينتها ولا عُشره !

لا حرمها أجر البـاذلين المنفقـين أمـوالهم ومـا يملكـون رجاء ما عند الله ، وها هي الآن قـد ذهبـت إلى الله ، وعـسى أن تكون قد لقيت ما قدمت من الخير.

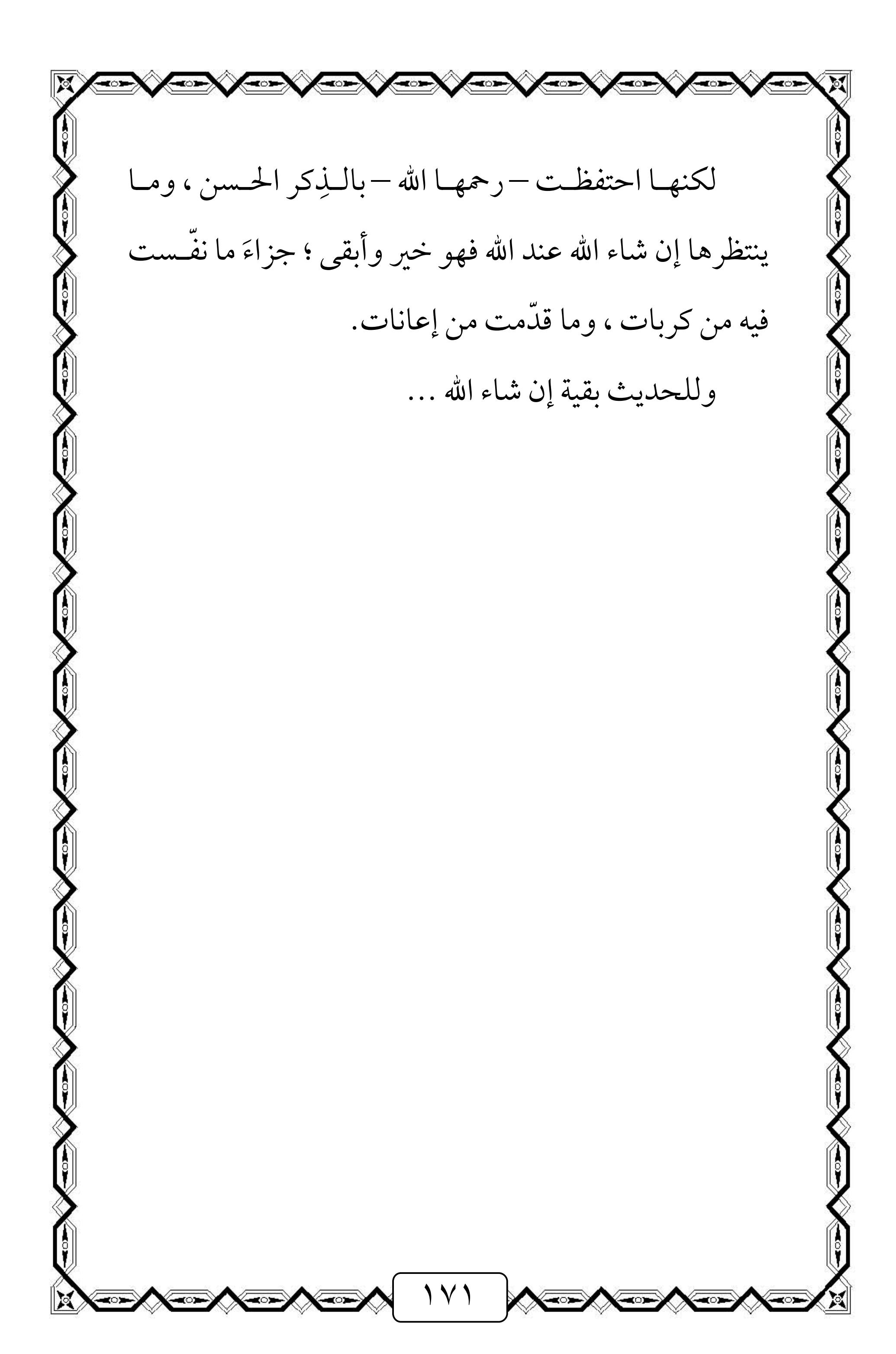
وهنا أتساءل هل وافقت أمي نـورة – رحمهـا الله – سـنةَ الحبيب محمد المـصطفى – صـلى الله عليـه وسـلم – في عـدم رغبتها إبقاء المال دون إنفاقه، كما جاء في القصة التـي رواهـا البخاري وغـيره عَـنْ عُقْبَـةَ بْـنِ الْحَـارِثِ - رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ - قَـالَ:"صَـلَّيْتُ وَرَاءَ رَسُـولِ اللهَّ - صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ - بِالْمَدِينَةِ الْعَصْرَ، ثُـمَّ قَـامَ مُـسْرِعًا فَتَخَطَّـى رِقَـابَ النَّـاسِ إِلَى بَعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ، فَفَزِعَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِـهِ فَخَـرَجَ عَلَـيْهِمْ،

فَرَأَى أَنَّهُمْ قَدْ عَجِبُوا مِنْ سُرْعَتِهِ، فَقَالَ: ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ تِبْرٍ كَانَ عِنْدَنَا، فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْبِسَنِي فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ".

والتبر: ما لم يضرب دنانير من الذهب.

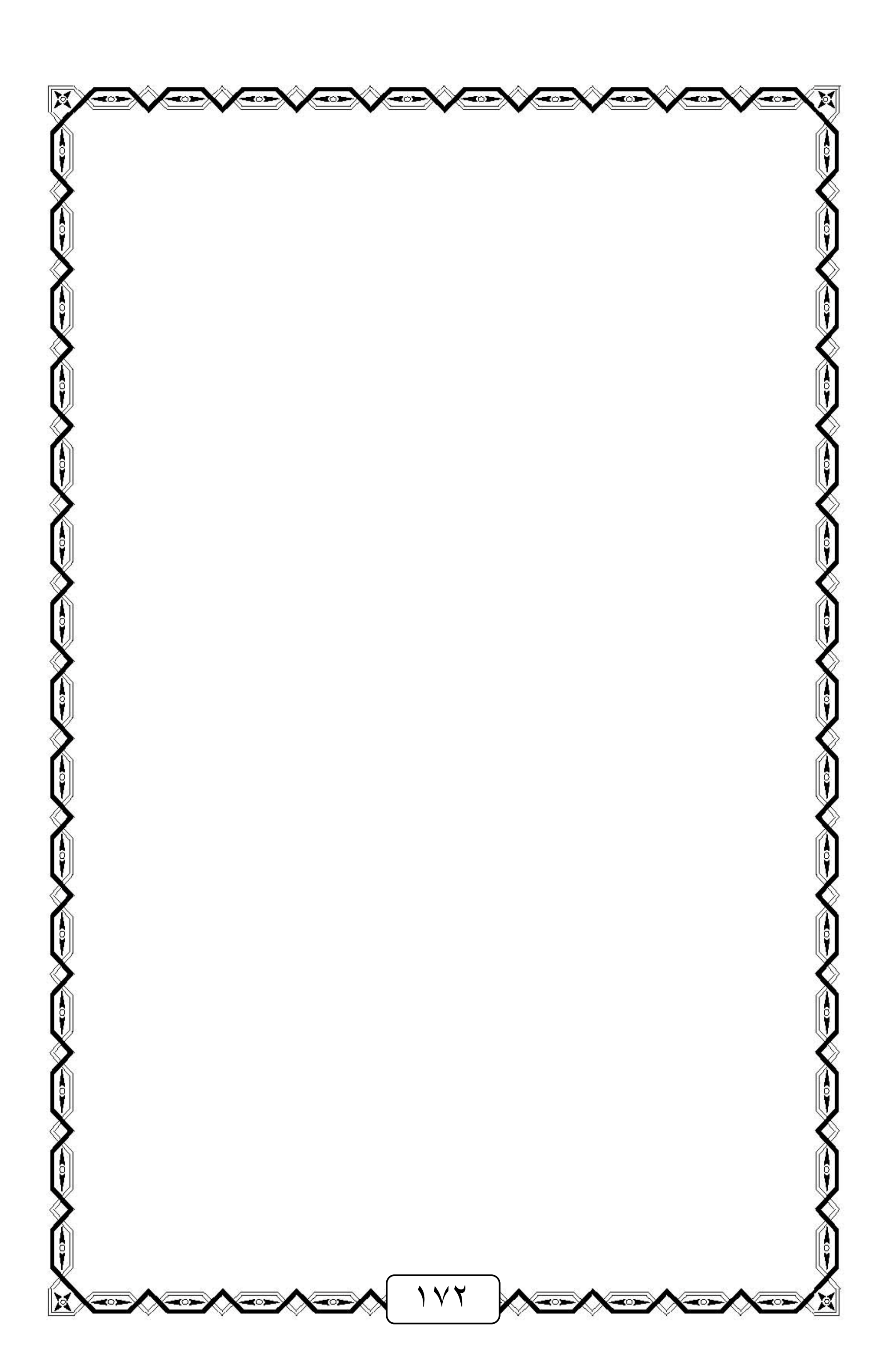
ومما يدخل في حب أمي نورة – رحمها الله – المساعدات والبذل المالي ، ما كان يحظى به أولادنا (أحفاد أمي نورة رحمها الله) منها؛ حيث كانت المبالغ المالية التي يحصلون عليها من جدتهم نورة – رحمها الله – كبيرة جدًا مقارنة بهدايا النجاح المعتادة، وهو الذي جعل أحد أحفادها الصغار بعد وفاتها يقول يوم نجاحه - بعفوية الطفل – " يا ليت أمي نورة موجودة تعطيني نجاحتي " !

ولعلّ حبَّ أمي نورة – رحمها الله - هذا للنفقات، وما جُبلت عليه من الرغبة في المساعدات هو الذي جعلها تخرج من الدنيا – رحمها الله – ولم تُبقِ في خزينتها إلا ما تتزين به من ذهبها، وبعض ساعاتها، ومبلغًا زهيدًا من المال.



لكنها احتفظت – رحمها الله – بالذِكر الحسن ، وما ينتظرها إن شاء الله عند الله فهو خير وأبقى ؛ جزاءَ ما نفّست فيه من كربات ، وما قدّمت من إعانات.

وللحديث بقية إن شاء الله ...





١٩ـ أمي – رحمها الله –ورمضان

لرمضان مع أمي – رحمها الله – ذكريات وأي ذكريات! وسأحاول أن أشير إلى بعض الومضات التي ارتبطت برمضان في حياة أمي نورة – رحمها الله – ومنها عنايتها الفائقة بالصائمين والقائمين سواء أكانوا من ذويها أم من المسلمين عمومًا.

وأذكر في رمضان عام ١٤٠٧هـ وحينها لم تكن سنة الاعتكاف منتشرة كما هي اليوم والحمد لله، ولذلك فمن أراد الاعتكاف كان عليه أن يخرج للسحور على الأقل خارج معتكفه، وهذا ما كان يحصل لي في ذلك العام عندما كنت - بفضل الله - وأنا في الثانية الثانوية معتكفًا مع إمام جامع الحيّ شيخي وحبيبي الفاضل الشيخ (محمد بن إبراهيم النملة) - حفظه الله - وكنا نفطر في الجامع، ونمكث فيه إلى ما بعد القيام، حيث نخرج على أقدامنا إلى بيتنا، لتستقبلنا روائح السحور المعدّ من يدي أمي - رحمها الله - بكل عناية، فندخل مباشرة الشيخ وأنا إلى مائدة السحور، وعندها أستغل فرصة خروجي من المعتكف لأسلّم على أمي - رحمها الله - وهكذا يتكرر المشهد طوال ليالي العشر الأواخر المباركة.

ومن الأعمال الصالحة التي كانت أمي نورة - رحمها الله - صاحب الريادة فيها في جامع الحي، ما كانت تقوم به -

رحمها الله – كل ليلة من ليالي العشر الأواخر المباركة أثناء استراحة المصلين بين تسليمات القيام، حيث كانت أمي – رحمها الله – تعدّ للمصلين الشاي والقهوة والبخور كلّ ليلة، وتعتني بهذه الضيافة عناية فائقة حتى غدت لها عادة سنوية، لها أوانيها الخاصة من (بيالات) وفناجيل ومباخر، ونحوها من الأواني التي لا تستعمل إلا عشر ليال في العام، ذلك أنها مع نهاية رمضان تقوم أمي – رحمها الله – بتخزين هذه الأواني إلى رمضان المقبل من كل عام، وهكذا استمرت هذه الضيافة الكريمة أعوامًا عديدة بفضل الله تعالى.

ومن الذكريات الخاصة بأمي نورة – رحمها الله – في رمضان اجتماع النسوة المحتاجات عندها كل عام، يأتينها من داخل الرياض وخارجها، يأتين إليها في عزّ الظهيرة، فتجلس إليهن، وتؤانسهن، وتبادلهن الأحاديث، وينصرفن من عندها راضيات بما ييسر الله – تعالى – لهن من يد أمي – رحمها الله – من صدقات.

والعجيب في الأمر أن هذه النسوة المحتاجات لم ينقطعن عن زيارة منزل أمي – رحمها الله - حتى بعد وفاتها بسنوات! والحق يقال : إنهن لئن حصلن في هذ الزيارات الأخيرة على بعض المال، فلن يحظين بمثل ذلك الاستقبال، ولا تلك الجلسات، فنورة – رحمها الله– قد غادرت الدار !

ومن الأمور التي كانت بيني وبين أمي نورة – رحمها الله – في رمضان ما كانت تأمرني به – رحمها الله – من شراء بعض الألبان، وتوزيعها على أماكن تفطير الصائمين في المساجد، وسكن العمال، حيث كنت أتشرف بأن تصحبني أحيانًا قليلة قبيل المغرب، والأكثر أن أتولى التوزيع دون صحبتها لانشغالها بالإفطار داخل بيتها رحمها الله.

وكم كانت – رحمها الله – تحرص على بعض الأعمال النوعية في رمضان من نحو الإسهام في مكاتب توعية الجاليات في تسيير رحلات العمرة للمسلمين الجدد.

ومما أذكره كل رمضان منذ وعيت على هذه الدنيا ما كانت أمي نورة – رحمها الله – تفعله كل عام، من تمييز ليلة بمزيد عناية في إفطارها وعشائها، وذلك بالدعوة إلى تلك الليلة لحضورها من الأقارب أو المساكين، حتى يحضروا جميعًا ذلك العشاء المميز الذي يُعرف بـ(عشاء الوالدين) ، وهو ما يُقدم بنية الصدقة عن الوالدين رحمهم الله جميعًا.

كما أن مما يتميز به رمضان كل عام ما يشارك به شقيقي الأكبر (غانم) –حفظه الله – أمي في عمل برٍّ سنوي؛ إذ يقوم أخي غانم بدعوة موظفيه، وعمال محلاته من مختلف الجنسيات لتناول إفطار ليلة وعشائها في بيت أمي نورة – رحمها الله– التي تفرح بمجيئهم فرحها بذويها، وتقوم بالعناية بهم كعنايتها بعلية القوم، لا تفرق – رحمها الله - بين خادم ومخدوم، ولا غني وفقير، فهم عندها سواء، لأن ضيوفها من حلّوا دارها أيًّا كان مستواهم، ومهما كانت حالتهم.

وأما (مهرجان الإفطار) اليومي – كما يسميه أحفاد أمي نورة – رحمها الله – فهو تجمّع عمال الحي في فناء بيتها – رحمها الله – كل يوم قبيل المغرب بإدارة والدي – حفظه الله – الذي يجمعهم في البيت، حيث تقوم أمي – رحمها الله – يوميا بالإشراف على فرش الفناء، وتتأكد من مناسبته لضيوف مائدتها اليومية، ليهنؤوا بطعام الإفطار والعشاء الذي طلبت – رحمها الله – من والدي – حفظه الله – أن يأذن لها بإعداده في المنزل، قائلة له : " مساكين هالعمال تراهم مشتاقين لطبخ البيوت "! ولذلك احتفت – رحمها الله – بتلك المائدة فخصصت لها القدور الكبيرة، وموقد الغاز الخاصين بهذا (المهرجان)، وعُنيت – رحمها الله – بالطبخ المنزلي بنفسها، معوّضة هؤلاء العمال بعض ما فقدوه من الجو الرمضاني العائلي، لبعدهم عن أهلهم وذويهم. فرحم الله قلبًا يحمل كل هذه الرحمة والمودّة.

وحُقَّ لأبناء أختي أن يسموه (مهرجان الإفطار) لما يجمع فيه ما يقارب مئة وخمسين عاملا من مختلف الجنسيات!

وأما اليوم الرمضاني مع أمي نورة – رحمها الله – فيمكن أن ألخّصه فيما يلي: لنبدأ من الظهر حيث تبدأ استعدادات أمي – رحمها الله – لمائدة (الإفطار)، فالطبخ لموائد رمضان المعتادة، من شوربة، و(سمبوسة)، و(مكرونة)، وأنواع العصير وفي مقدمتها التوت، وقمر الدين، والكريمة الصفراء في أوانيها الزجاجية الخاصة، وهكذا الحال كل ظهر، وإذا كانت عناية أمي – رحمها الله – بالمائدة على وجه العموم عناية فائقة، فإن عنايتها – رحمها الله - بالشوربة عناية تزيد على الوصف من حيث إتقانها، وضبط مقاديرها، ونكهتها الخاصة، حتى صارت أشبه ما تكون بماركة مسجلة عند الأولاد والأحفاد، حيث نتناقل

عبـارة "شـوربة أمـي نـورة" في معـرض الثنـاء والمقارنـات والتشبيه بالرائع من الأكلات.

حتـى إذا كـان قبيـل الإفطـار اجتمعنـا حـول مائـدتها العامرة قبل زواجنا نحن أولادها الخمسة، ثـم بعـد زواجنـا نحن ومن يتيسر من زوجات أبناء وأحفـاد، وأمـي – رحمهـا الله – هي هي لم تتغير حفـاوة وحرصًـا علينـا، ورغبـة في أن ننال أقصى ما يمكن من الإكرام؛ ولذلك فعادتهـا في إطعامنـا طعامها الخاص عادة لازمتها – رحمهـا الله – منـذ صـغرنا إلى أن صارت زوجاتنا وأولادنا معنـا عـلى المائـدة نفسها؛ فقـد بات من المعتاد جدًا أن تخـرج قطـع اللحـم أو الـدجاج مـن بادية الشوربة الخاصة بها لتجعلهـا في باديـة شـوربة أحـدنا، وهي تحلـف عليـه أن يأكلهـا، مـرددة علينـا – رحمهـا الله –: "الذي تأكلونه أحب إليَّ من الذي آكله أنا " !

فإذا عدنا من صلاة المغرب مـع والـدي – حفظـه الله – إذا كانت تلك الليلة ليلة أمي – رحمها الله – ومن حـضر مـن

الأولاد ، فإننا نجد مائدة من بقايا الإفطار موجـودة في غرفـة الجلوس مجهزة بشكل مصغّر حيث العـصير و(الـسمبوسة)، مـع الـشاي والقهـوة، وذلـك لكـي يتـسنى لمـن أراد إكـمال الإفطار أن يكمله.

وإذا خرجنا لصلاة العشاء والتراويح فإن مـن العـادات الملازمة لأمي – رحمها الله – في مثل هذا الوقت أن تهيئ فنـاء المنزل إعـدادًا وإشرافًـا مـع الخادمـات بتـصفيف الفرشـات والمراكي، وتبريد المكان بالصحراوي النقال، والاستماع أثنـاء التجهيز لصلاة مكة المكرمـة مـن المـذياع أو التلفـاز حـسب المتيسر تلك الليلة، فلا تلبث – رحمها الله – أن تأخـذ مكانهـا من الجلسة الليلية في الهواء الطلق إلا ووفود المحبين تأخـذ في التجمّـع حولهـا ؛ أولادهـا وزوجـاتهم، وأولادهـم، وأولاد زوجهــا، أحيانًــا زوجــات زوجهــا، وبعــض الأقــارب والأصدقاء، فمن مسلِّم وشارب الشاي والقهوة ومنـصرف، ومن مشاركٍ في تناول العشاء المميز مـن يـدي أمـي – رحمهـا

الله – والذي يغلب أن يكون (مكرونة) ذات نكهة رمضانية خاصة، حتى كادت أن ترتبط في أذهاننا جلسة بعد التراويح بالمكرونة لاعتيادنا على ذلك سنواتٍ عديدة، في اجتماع رمضاني مسائي لا يُقدَّر بثمن، اجتماع افتقدناه مع فقْدِ من كانت نوره وبهاءه رحمها الله.

ولم يزل في البرنامج اليومي الرمضاني بقية في جدول أعمال أمي نورة – رحمها الله- حيث إنها لا بد أن توقظ جميع أهل البيت لتناول وجبة السحور الرسمية، والتي عادة ما تكون كبسة الرز المطبوخة في مطبخ أمي – رحمها الله – فلا طلبَ من المطاعم، ولا تحضيرَ لطعام بايتٍ، وإنما هو السحور المتجدد كل ليلة، كبسة الرز تزينها الخضروات، مع التمر واللبن، ثم الماء الذي اعتدنا أن يكون خاتمة السحور والذي نردد معه عبارتنا العامية "نستعقد" عليه.

وهكذا تسير جميع أيام الشهر الفضيل ولياليه، لا أكاد أستثني منه إلا ليلتين اثنتين : أولهما ليلة ختمة الحرم المكي

الشريف ، تلك الختمة التي توليها أمي – رحمها الله – مزيد عناية، فمنذ عقلت الحياة وأنا أرى أمي – رحمها الله – تجهّز المسجّل وشريط الكاسيت ذا (اللصقة الصفراء)، وتقوم بتسجيل الختمة بنفسها، وياالله كم مرة سجّلت أمي – رحمها الله – الختمة بصوت الشيخ عبد الله الخليفي – رحمه الله – ثم باتت تردد سماعها في أوقات متلاحقة، واستمرت طريقة أمي – رحمها الله – في تسجيل الختمة مع الشيخ عبد الرحمن السديس – حفظه الله – وحتى مع انتشار التسجيلات الإسلامية وتوفّر الختمة المسجلة إلا أن بصمة أمي – رحمها الله – في تسجيل الختمات ذات طابع خاص!

وأما الليلة الأخرى التي لها عند أمي مزيد مزية فهي ليلة ختام رمضان، حيث يمتزج لدى أمي – رحمها الله – شعوران متناقضان، شعور بالفرح على تمام الشهر، وشعور بالحزن على فراق (صديقها) شهر البركات، يزامن ذلك زكاة الفطر، وما يصحبها من إحضار الزكاة إلى البيت، ثم

إخراجهـا إلى أرامـل ومـساكين ومحتـاجين اعتـادت أمـي – رحمها الله – أن تعطيهم زكاة الفطر كل عام.

أما ليلة العيد وما تعمله أمـي – رحمهـا الله – فيهـا فقـد أفردت لها الحديث فيما مـضى في (الحلقـة الـسادسة عـشرة)، عند حديثي عن طعم العيد والجمعة عنـد أمـي نـورة رحمهـا الله.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى...



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة شؤون القبول والتسجيل

وثيقة تخرج

وافق مجلس جامعة الإمام محمد بن سـعـود الإسلامية
بتاريـــخ ١٤٢٩/٠٦/٢٦هـ الموافق ٢٠٠٨/٠٦/٣٠م على منــح :
إبراهيم بن عبدالله بن غانم السماعيل ، سعودي الجنسية ، المولود عام ١٣٩١ هـ
درجة الدكتوراه في البلاغة ، من كلية اللغة العربية بالرياض
بتقدير (ممتاز) مع مرتبة الشرف الأولى ، ومعدل (٤,٨٤ من ٥) في العام الجامعي ١٤٢٨/١٤٢٩هـ.

والله الموفـق.

مديـر الجامعـة
أ.د. سليمان بن عبدالله أباالخيل

٢٠ـ يا هلا بالدختور

أمضيتُ سنواتٍ خمـسًا في تحـضير رسـالة (الـدكتوراه)، أكاد أقول إنني أكتب فيها لـيلاً ونهـارًا، صـيفًا وشـتاءً، أيـام العمـل والإجـازات، يـستوي في ذلـك رمـضان والحـج والأعياد. ومعنى ذلك أن وقتي كلّه أو جلَّـه سـيفنى في هـذا العمل الجليل.

ونظرًا لانشغالي إلى هذا الحدّ، فقد حرصـت أن أعـوض انشغالي هذا بأن أكـون قريبًـا مـن أمـي – رحمهـا الله – قـدر الإمكـان، فالعمـل الـذي لا يتطلـب منـي زيـارة المكتبـات العامة، ولا السفر لمصلحة البحث، كنـت أحـرص أن أكـون

فيه قريبًا من أمي – رحمها الله – ولذلك فقد كنت أجمع صور المخطوط بحجمها الكبير، مع أمات المصادر، وبصحبة جهازي المحمول الذي لازمني طوال السنوات الخمس، وأبقى بصحبة هذه الأمور كلها لأمضي أكثر ساعات بحثي بالقرب من أمي نورة – رحمها الله – حتى أحظى منها بجلسة، وأسعد منها بكلمة، وأفوز منها بدعوة، وهذا ما كان يحصل – ولله الحمد - شبه يومي.

وأحيانًا كنت أضطر إلى الخلوة بالمكتبة المنزلية مع أغراض بحثي، حتى آخذ راحتي أكثر في السهر، ولأعطي الفرصة لأمي – رحمها الله – أن تحظى بالنوم المبكر، ولكنني أتفاجأ بأمي -رحمها الله – تدخل عليَّ في المكتبة، ومعها كأس عصير، قائلة لي بكل حنان:" أحبّ أجلس عندك، لو ما نسولف، حتى لا أشغلك عن بحثك، أنت ابحث يا وليدي وأنا جالسة ، تكفيني شوفتك"!

ولمّا طال عليَّ البحث، وتوالت السنوات أشفقتْ علـيَّ– رحمها الله –فكانت تقـول لي بـين وقـت وآخـر: " إلى الحـين وأنت مع الكتـب والكمبيـوتر " ؟! ولا أزال أذكـر قولهـا – رحمها الله – : " متى أشـوفك دون هـالكمبيوتر " ؟! تفـاؤلاً بانتهائي من بحثي.

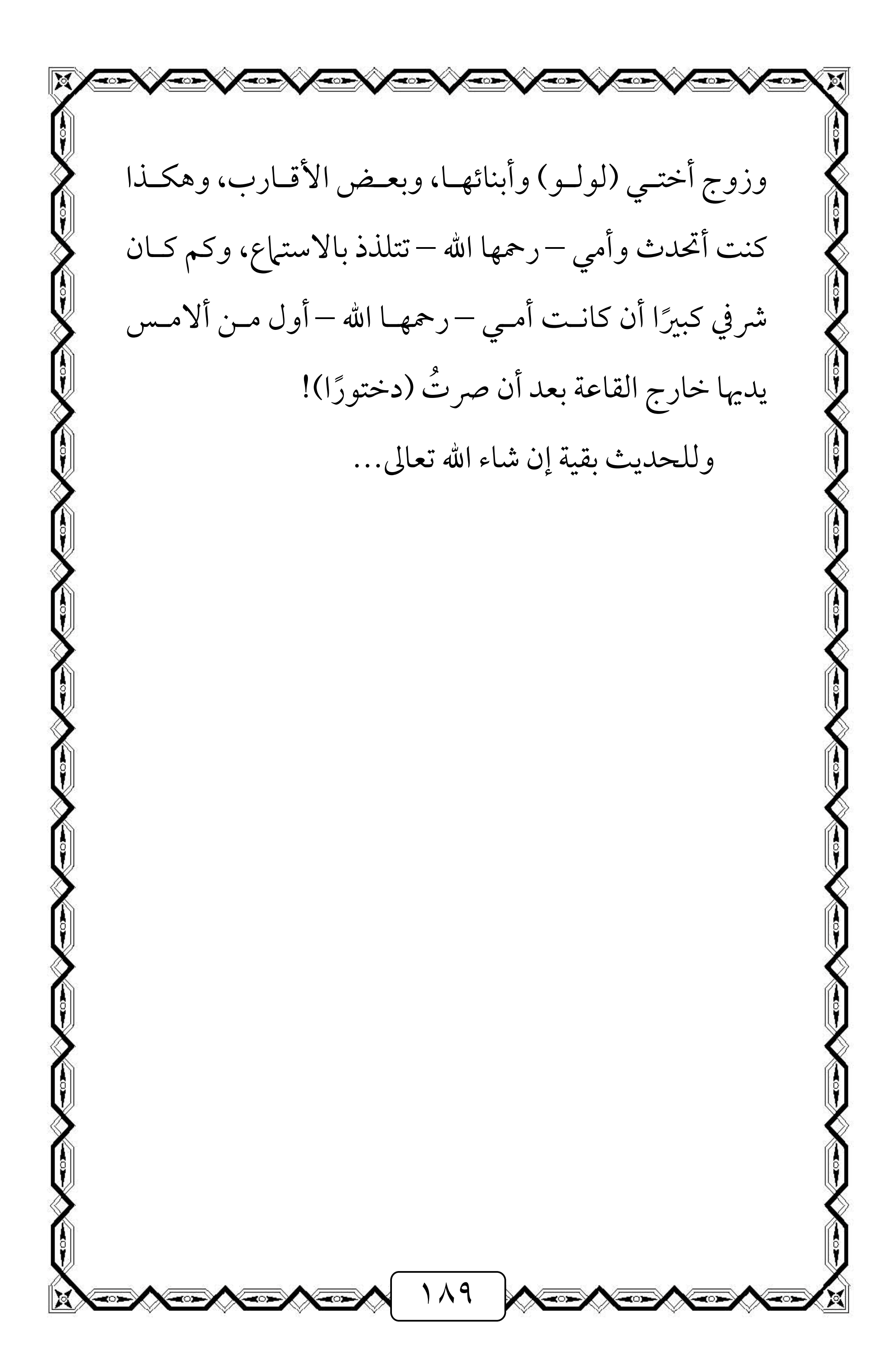
ومـع عيـشها أيـام اخـتلافي مـع مـشرفي– حفظـه الله – ووقوفي معه على مفترق الطرق، كانت توصيني– رحمهـا الله – بالصبر، وعدم التعرض للحديث عن أحـدٍ مهـما أخطـأ عـليَّ، قائلة لي – رحمها الله –: "يمكـن أنـت المخطـئ يـا وليـدي! لا تضيّع حسناتك بالكلام بالناس"! ثـم تختم توجيههـا المـشفق الحاني بدعوات لتخفّف عنـي طـول المـشوار، فـتردد – رحمهـا الله –: " الله يَسْخَرْ لك العبيد العاصية، والقلوب القاسية".

وأما يوم الثلاثاء ٦/ ٦/ ١٤٢٩هـ فقد كان نهاية المطاف في مـشوار (الـدكتوراه) الطويـل، حيـث نُوقـشتْ الرسـالة ضحى ذلـك اليـوم، وبفـضل الله صـار إبـراهيم (دكتـورًا)،

وفور انتهاء المناقشة قبيل الظهـر، توجهـت إلى أمـي نـورة – رحمها الله –في منزلها، قبل أن أرى أي شـخص خـارج قاعـة المناقشة، توجهـت إليهـا بعـد أن هاتفتهـا في الطريـق مبـشِّرًا بالنتيجة، ومخبرًا إياها بنهاية المناقشة والحصول عـلى الدرجـة العلمية التي طالما عاشتْ معي – رحمها الله – تفاصيلها.

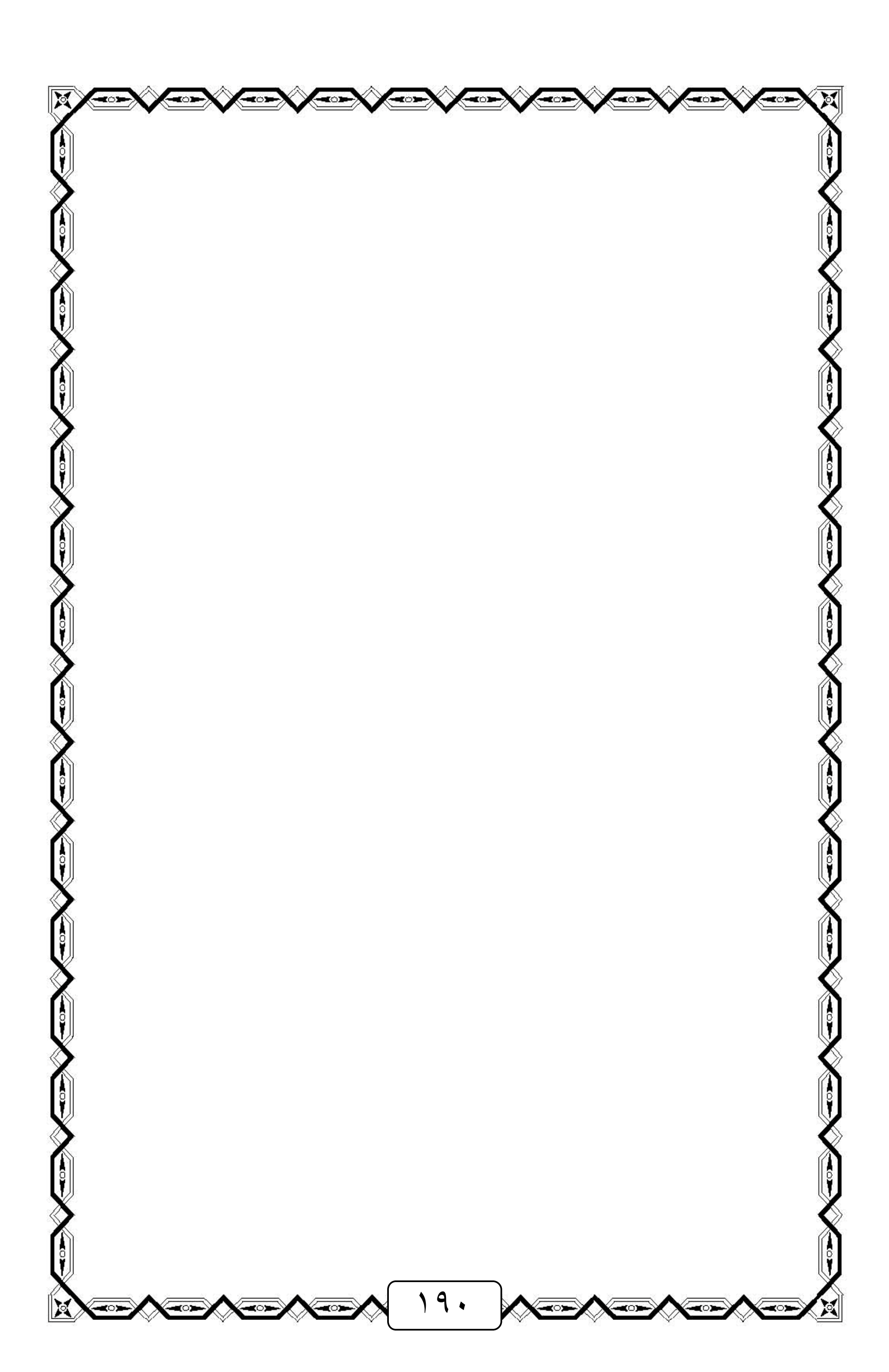
دخلتُ على أمي في غرفة الجلـوس ولا أزال أذكـر تلـك اللحظة كأنها أمام عيني الآن، دخلت عـلى أمـي – رحمهـا الله – وقد اتكأتْ يـدها اليـسرى عـلى المركـاة، ومـدّتْ رجليهـا النحيلتين، وأمامها القهوة والشاي، تنتظر دخولي، فلمّا رأتنـي قالت مبتسمةً ممازحة بلفظها : " يا هلا بالدختور "! فـرددت التحية بقولي: يا هلا بأمِّ الدختور ! ثم انكببتُ مقبِّلا رأسـها، ويديها، وقدميها.

وجلستُ معها– رحمها الله – جلسة عامرة في الثناء عـلى الله تعالى عـلى تيـسير الأمـر، وذاكـرًا لهـا حـضور والـدي – حفظه الله – مناقـشة رسـالتي، وحـضور إخـواني، وأبنـائي،



وزوج أختي (لولو) وأبنائها، وبعض الأقارب، وهكذا كنت أتحدث وأمي – رحمها الله – تتلذذ بالاستماع، وكم كان شرفي كبيرًا أن كانت أمي – رحمها الله – أول من ألامس يديها خارج القاعة بعد أن صرتُ (دختورًا)!

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى...





الشيخان محمد وحمد آل الجميح حفظهما الله

٢١ـ (اللاءات) الثلاث التي قالتها لي أمي رحمها اللّه

نَعَم هي ثلاث (لاءات) أسمعها من أمي نورة – رحمها الله – لا أكاد أسمع غيرهن من فمها - رحمها الله – وكلّ هذه (اللاءات) إنما هي لمصلحتي، وأما ما سواها فليس من طبع أمي – رحمها الله – أن تنهاني ولا غيري من أولادها – رحمها الله - عن أمورنا، أو أن تلزمنا بأشياء معينة في طريقة حياتنا، ولذلك فإنها – رحمها الله – إذا قالت (لا تفعل) في أمرٍ معين، فهو أمر يهمها كثيرًا ! وهذا ما سأعرض له في هذه الحلقة من (لاءاتها الثلاث) رحمها الله.

والعجيب أن هذه (اللاءات الثلاث) تقولها أمي – رحمها الله – لي متواليات في وقت واحد، وذلك عادة ما يكون إذا خرجت منها مودِّعًا بعد العِشاء.

(لاؤها الأولى) هي تلك المتضمنة الوصية بالرفق بي، والخوف عليَّ ، إذ تقولها أمي – رحمها الله – لي بشكل شبه متكرر، متكرر بتكرر توديعي لها بعد جلوسي اليومي معها ! تقول لي – رحمها الله - : " لا تسرعْ يا وليدي " وكأنها ترقبني بلحظها ولفظها وأنا خارج منها مساءً.

" لا تسرع يا وليدي " لفظي معك يا بُنيَّ بالدعوات أن يسلمك الله من أخطار الحوادث، وشرور السيارات، وفجاءة الطريق، " لا تسرعْ يا وليدي " حتى لو كنت مستعجلاً.

وكأنها– رحمها الله – بهذه الوصية الختامية لكل مجلس يجمعني بها تذكرني بميثاق الشرف بيننا بأن أعطيها الوعد ألا

أسرع ! فهي – رحمها الله – بهذا الاطمئنان يمكن لها أن تخلد مرتاحة إلى المنام!

وأما (لاؤها الثانية) فهي ما تذكّرني – رحمها الله – به كلّ مساء أخرج منها مع الوصية السابقة بعدم السرعة، إذ تشفعها – رحمها الله –بقولها : " لا تسهرْ، رحْ لعيالك " ! تخاف عليَّ- وأنا أبو الأولاد - من السهر والجهد والإعياء، وتربط عدم السهر بالوصية بالذهاب إلى أولادي، فهل يا تُرى كانت تريد أن أسعد بهم كما سعدت هي – رحمها الله – بولدها في هذه المسامرة ، أم أنها – رحمها الله – بما جُبلت عليه من طهارة القلب تودّ الخير كل الخير لغيرها ، ومن أهم هؤلاء أقاربها من زوجات الأبناء وأولادهم، أم أنها – رحمها الله أرادت مني أن أقارن بين السهر وبين الجلوس مع العيال لأختار الجلوس على الخروج، والراحة على السهر.

وهنا أحمد الله تعالى أن كانت أمي – رحمها الله – ممن يعينني على القيام بحق أولادي، وليس العكس كما يعاني بعض الأزواج.

و(لا) الثالثة التي أسمعها من أمي – رحمها الله – بين وقت وآخر، هي التي تحثّني فيها على تكرار الزيارة، ولو أكثر من مرّة في اليوم، حيث كانت تقول – رحمها الله – في وداعي إذا كنت عندها ذلك اليوم عصرًا : " لا تخلينا إلى العصر الثاني " ! وكأنها تقول إذا سمح وقتك العشاء مر عليَّ ولو كنت عندي هذا العصر، أما أن أصبر عن رؤيتك إلى العصر الثاني فهو بعيد ! سبحان من جبلها على حبنا ، وجعلها متعلقة بنا إلى هذا الحدّ، فهي تود أن نقوم بأعمالنا، ولكنها تستطيل الفراق ولو كان يومًا أو بعض يوم !

وهنا أذكر أن من أعذاري في ترك الجلوس معها في الوقت المعتاد أن نمضيه معًا أن أعتذر إليها – رحمها الله – بانشغالي بأحد أمور ثلاثة ، حيث كانت تقدم من يرد في هذه

الاعتذارات على نفسها ، ولذلك فإنني لا أجد حرجًا في الاعتذار عن إكمال أية جلسة معها – رحمها الله – إذا كنت سأخرج إلى إحدى هذه الجهات الثلاث.

الجهة الأولى: أن أعتذر إليها بارتباطي مع أولادي في شراء حاجات، أو ذهاب معهم إلى مشوار أو صحبتهم في زيارة ، أو نحو ذلك ، فموضوع أولادي مقدَّم عندها حتى على نفسها رحمها الله.

والجهة الثانية: التي أعتذر بها إلى أمي – رحمها الله – هي قيامي بزيارة أخيها لأمها خالي (عبد الله الفضلية) – رحمه الله – يوم كان منوّمًا في المشفى مدة طويلة، حيث كانت تأذن لي بذلك، بل وتحثّني على هذه الزيارة.

وأما الجهة الثالثة: في العذر الثالث الذي أقدمه بين يدي أمي – رحمها الله – للقيام من جلستها أو عدم الحضور إليها ذلك المساء فهو اعتذاري بزيارة (آل الجميح) الشيخين محمد وحمد – حفظهما الله – في منزلهم إمّا ابتداءً مني، وإما

استجابة لاتصالهم وسؤالهم عني – جزاهم الله خيرًا – على لطفهم وكريم أخلاقهم، حيث كانت أمي – رحمها الله – تبادلهم الودّ وتسأل عن حالهم، وتنقل منهم وإليهم السلام.

وأما غير هذه الأعذار فلا أحرص أن أقدمها على جلسة أمي – رحمها الله – ولا أن أفوّت على نفسي الجلوس معها، الجلوس مع من ابتسامتها ترافقها طوال الجلسة، ومن تودّعني كل جلسة بـ(لاءاتها الثلاث المباركات): " لا تسرعْ يا وليدي، لا تسهرْ ورحْ لعيالك ، لا تخلينا إلى العصر الثاني"!

ويالله كم اشتقت الآن إلى (العصر الثاني)، وكم أحنّ إلى سماع إحدى (اللاءات) مرة أخرى من أمي نورة– رحمها الله - ولو في المنام!

وللحديث بقية إن شاء الله...



٢٢ ـ حُسن خُلقٍ وعِفّة لسانٍ

سبحان من أكرم أمي نورة – رحمها الله – بحُسن الخُلق؛ عشتُ مع أمي ما يقارب أربعين سنة، إذا حذفت منها الخمس الأولى التي هي مظنة عدم تذكري لتفاصيل العيش معها لصغر سني ، فإن ما يقارب خمسة وثلاثين عامًا كفيلة أن تبيّن مدى ما تتمتع به أمي – رحمها الله – من حُسن الخُلق.

ذلك أن كل هذه المدة الطويلة التي عايشت فيها أمي – رحمها الله - بما فيها من مراحل عديدة في حياتها متغيّرات، وما صحبها من تنقلات بين راحة وعدمها، وسفر وحضر، واختلاط بالناس، وصحة ومرض، وحضور زوج وغيابه، وشباب وانسلاخ شباب، وحمل وإسقاط، وصيف وشتاء، وبيت ضيِّق ومنزل فسيح، وبعد أن كانت بين أبويها ثم ما أصيبت به من فقد أمها ثم فقد أبيها، ومعايشة أطفالها وهم أطفال ثم بعد كونهم شبابًا ، إلى أن صاروا أزواجًا وآباءً.

إلى آخر هذه التنقلات التي عشتها مع أمي – رحمها الله – ربما لحظة بلحظة، ويومًا بيوم. عشتها ملاصقًا لأمي – رحمها الله – أحيانًا كثيرة بصحبة باقي أولادها (لولو وغانم وعلي وصالح) وأحيانًا وحدي، وفي كل هذه الأحوال المتنوعة لم أرَ منها – رحمها الله – موقفًا نابيًا، أو تهجّما على أحد، أو إيذاءً لقريب أو بعيد، ولم أسمع منها غيبة أو نميمة، أو سبًّا أو شتمًا.

وهنا أجزم أنني عشت كل هذه السنوات مع أمـي نـورة – رحمها الله – ولا أذكر أنها يومًا مـن الأيـام أوغلـت صـدر أحد (أولادها الخمسة) على أبينا، مهما كـان بينهـا وبينـه مـن اختلاف وجهات نظر، بل على العكـس تمامـا فقـد كانـت في لحظات الاختلاف الطبيعي الذي يقع بينهـا وبـين والـدي – حفظه الله – كما يقع بين الأزواج عامة، كانت تحثنـا عـلى بـرّه وبذل المزيد من احترامه، والجلوس معه، والأنس بحديثـه إلى آخره من وجوه البرّ.

كما أذكر متأكدًا أنها – رحمها الله – لم تربِّنا عـلى الـشحناء أو الحقد، ولم توغل صدورنا يومًا مّـا عـلى إحـدى زوجـات والـدي (ضراتهـا) – حفظـه الله وحفـظ الموجـودات مـنهن ورحم المتوفاة – كما أنها منذ كنـا صـغارًا إلى أن صرنـا آبـاءً لم تغذِ في قلوبنـا كـره إخواننـا غـير الأشـقاء ولا أخواتنـا غـير الشقيقات، ولعل هذا هو أحد الأسـباب التـي جعلـت غـير الأشقاء من إخـواني وأخـواتي يودُّونهـا ويحبونهـا، ويأنـسون

بالجلوس إليها، ويكررون الزيارة إليها بين وقت وآخر، ويبكونها بعد فراقها بكاء صادقًا لم يتوقف طوال سنوات الفراق !

ولعل هذا الخُلق الحسن الذي حبا الله – تعالى – به أمي نورة – رحمها الله – هو الذي جعلها ملاذًا لكل ذي شكوى من الأقارب، وقد جرت العادة في كثير من العوائل أن تكون (أم الزوج) هي موضوع الشكوى، وهي مثار النقاش بين الابن وزوجته، لكن الوضع مع أمي نورة – رحمها الله – كان مختلفًا! فإن زوجات أبنائها يجدن فيها الحضن الدافئ والمكان الآمن؛ لبث الشكوى، والفضفضة إليها مما تعاني منه الزوجة! فمن حُسن خلقها – رحمها الله – أن تشتكي زوجة أحدنا زوجها إلى أمه، وتطلب من الأم أن تقف في صفها مناصرة لها ضد زوجها الذي هو ابن هذه الأم الرائعة بحسن أخلاقها. وهذا ما جعل بعض زوجات الأبناء بعد وفاة أمي – رحمها الله – تشعر بفقدها إذا بدت بادرة خلاف

بينها وبين زوجها، فتقول: "لو كانت خالتي موجودة ما رضيت بتصرفاتك"!

ومن روائع الخُلق الحسن لأمي – رحمها الله – أنني لا أنا ولا غيري من أولادها لم نتلقَ منها – رحمها الله – منذ كنا أطفالاً كلمة من تلك الكلمات النابية الرائجة في المجتمع من معجم السب القذر المليء بالألفاظ التي تنبو عن الذوق، وتمجها الأسماع، ومع سماعنا لتلك الألفاظ في المدرسة والشارع وربما في البيت، ولكننا أبدًا لم نسمعها من فم أمي – رحمها الله – يومًا من الدهر لا جادة ولا مازحة.

ومما أذكره هنا في معرض حُسن خُلق أمي نورة – رحمها الله – أنني طوال عمري الذي صحبتها فيه لم أسمعها (تلعن) في يوم من الأيام، ولا طفلاً ولا خادمًا ، ولا جمادًا؛ بمعنى أنني لم أسمع (اللعن) على لسانها ألبتة!

ومن الطريف في هذا السياق أنها ربما جاءها أحد الأقارب ممن يجري (اللعن) على لسانه كثيرًا – عفا الله عنه –

فيتحدث مع أمي حول موضوع مّا من مواضيع الحياة، وهو عادة لا بد أن (يلعن) في سياق حديثه! فنأتي أمي – رحمها الله – بعد خروجه ونجلس إليها ونحادثها، ومن عادتها – رحمها الله – أن تخبرنا بمن زارها ، ومن اتصل بها، وما الذي جرى في مجلسها من أحاديث، فكانت إذا ذكرت قريبنا هذا – حفظه الله وعفا عنه – تذكر قصصه وأخباره لما في تلك القصص عادة من الإيناس، فإذا وصلت إلى الكلام الذي فيه (اللعن) فإنها – رحمها الله - لا تنقل (اللعن) بحروفه؛ بل تقول: " يشتم فلانا أو فلانة " وهكذا فمن طبعها– رحمها الله –ألا تلعن ولا تروي اللعن بلفظه، وإنما تهذِّبه بتحويله من لفظ (اللعن) إلى اللفظ الآخر؛ لعدم جرأتها – رحمها الله – على نطق (اللعن) ولو على سبيل النقل والرواية.

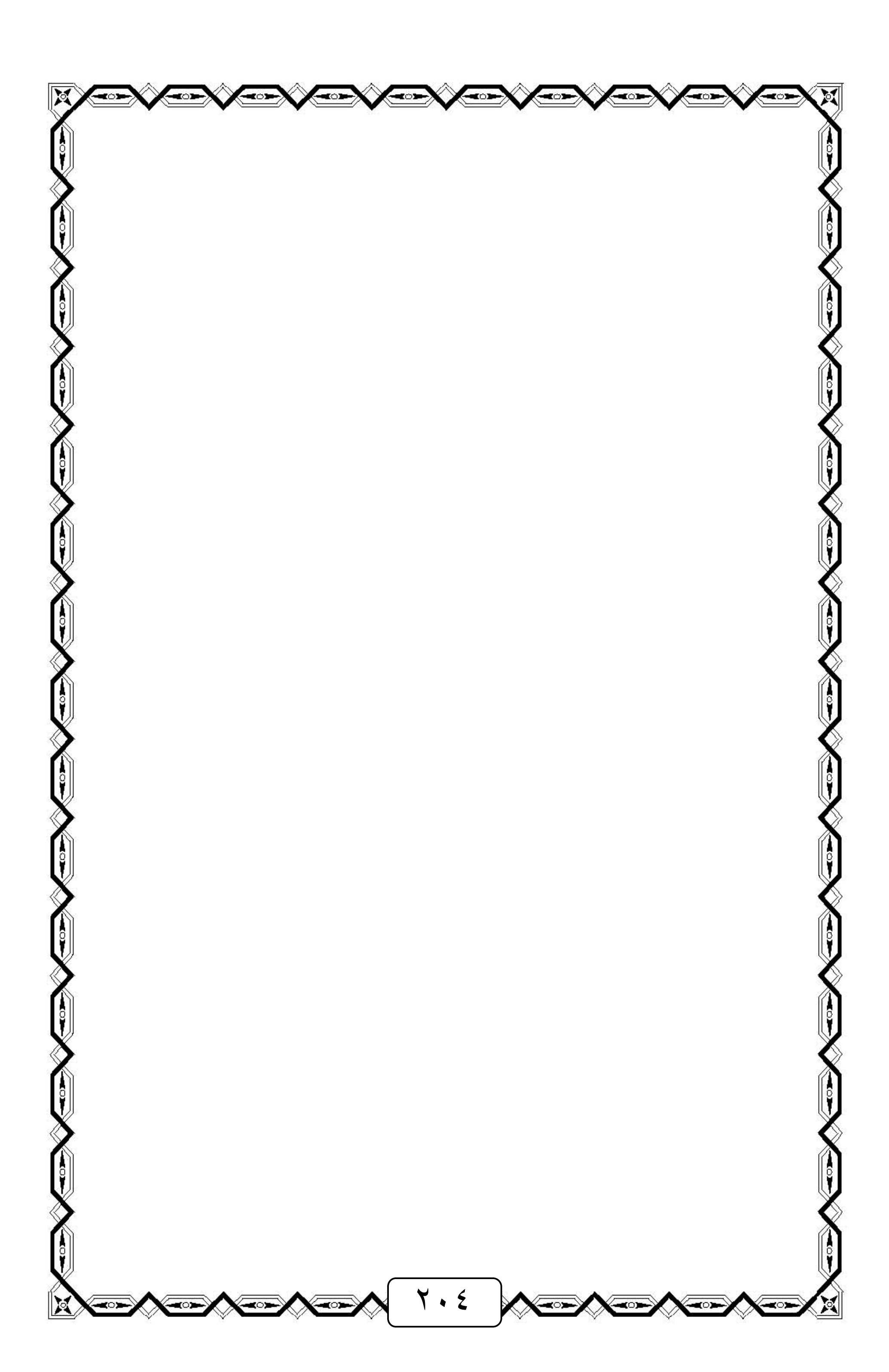
ولذلك فإنني طوال المدة التي عايشت فيها أمي – رحمها الله – أو في السنوات التي أعقبت وفاتها – رحمها الله

–فإنني أذكر بتصرفاتها قول الرسول الكريم– صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ – في الحديث الـصحيح: " إِنَّ الْمُـؤْمِنَ لَيُـدْرِكُ بِحُـسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ ".

كـما إننـي أرجـو لأمـي – رحمهـا الله – أجـر الاقتـداء بالحبيب العفيـف الطـاهر محمـد – صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ– الذي يحدثنا عنه أحد الصحابة الـذي كـان مـن أشـدّ النـاس لصوقًا به وهـو خادمـه أنـس – رضي الله عنـه – إذ يقـول في الأثر الصحيح: "لم يكن رسول الله – صلى الله عليه وسـلم – فاحشًا ولا لعانًا ولا سبابًا ".

لا حرم الله بفضله أمي نورة – رحمها الله – أجر الـصائم القائم يوم القيامة، وجزاها على حسن خلقها وعفـة لـسانها، خير ما جزى عباده المؤمنين.

وللحديث بقية إن شاء الله...





٢٣ ـ (مهندِسة التغيير أمي نورة) رحمها اللّه

أمي نورة – رحمها الله – هي سيّدة البيت كلِّه، فلها في كل غرفة منه بصمة، ولها في فنائه ومجالسه، وقسمي الرجال والنساء، لمساتها الخاصة، ولها في دوريه الأرضي والعلوي والسطح آثار وترتيبات.

إلا أن لـ(غرفة أمي) - رحمها الله – حديثًا خاصا ! حديث يمتد مع نورة العروس، فنورة الأم، ثم نورة الجدّة، إلى نورة المغادرة تلك الغرفة إلى غير رجعة لها !

سبق وأشرت في أحاديث سابقةفي مواضع متفرقة إلى (غرفة أمي) نورة – رحمها الله – إلا أن الحديث في هذه

الجلسة سينصبُّ على أمرٍ جُبلت عليه أمي نـورة – رحمها الله – جِبلَّة، وطُبعت عليه طبعًا، وهـو حـب التغيـير، التغيـير في الملابـس، التغيـير في الأثـاث، التغيـير في الأواني، التغيـير في أماكن الجلسات، التغيير في طريقة الطعام، التغيـير الرائـع في هذه الحياة، التغيـير الطـارد للممـل، المزيـل للـسآمة، المنـافي للرتابة.

أخبرتنـي شـقيقتي الغاليـة (لولـو) – حفظهـا الله – أن طبيعة التغيير أمر ورثته أمي نورة – رحمها الله – عـن أهلهـا فأبوها وأخواها – رحم الله الأموات وبارك في عمر الحـي – كـانوا مغـرمين في التغيـير، ولـو في الـشكل الخـارجي للجلسات، والمناقلة بين الكـراسي، بوضـع الكـرسي الكبـير اليوم في غير الجهة التي كان عليها أمس، وغير المكـان الـذي سيكون عليه الأسبوع القادم، وهكذا تستمر الحركة الدائمـة الدؤوب حتى في هذه التنقلات اليسيرة.

ولذلك فلا أكاد أحصي عدد غرف النوم التي رأيتها لأمي طوال سعادتي ببقائها في حياتنا ! وكأنها - رحمها الله – جمعت بين حب التغيير والصدقة، فغرفتها الجديدة اليوم لا تكاد تبقى عندها إلا وتذهب لغيرها ممن يفرح بها من جيران أو معارف أو محتاجين، وهي غرفة بطبيعة الحال في وضعٍ أقل ما يقال فيه إنها شبه جديدة!

ومن الطريف في أمر التغيير لدى أمي نورة - رحمها الله – أنها في آخر غرفة لها في حياتها صعُب عليها ما كانت معتادة عليه من قبل من جعل السرير مكان خزانة الملابس، وجعل التسريحة تحت النافذة حينا، ومقابلها أحيانا أخرى، وتغيير مكان طاولة الهاتف، صعُب عليها ذلك لأن غرفتها الأخيرة كانت كبيرة جدًا، حتى تكاد تملأ الجدران طولا وعرضًا، أي أن تحريكها من قِبل أمي – رحمها الله – نفسها بمساعدة الخادمات وأهل البيت مستحيل، وتحريكها عن طريق العمال صعب للغاية، فقرأتُ ذلك في نفس أمي– رحمها الله – ورأيت تصارع راحتها بهذه الغرفة(الفخمة) من

جهة، وعدم قدرتها على التغيير الذي اعتادت عليه طوال حياتها من جهة أخرى ! فاتفقت معها - رحمها الله – على الإتيان بعمال نجارة متخصصين من (الصناعية) ليقوموا بتركيب إطارات(عَجَلات) قوية تتحمل ضخامة الخزانة والسرير وخلفيته، وهذا ما حصل فعلا ! فقد تمَّ من جرَّاء هذا العمل أن أصبحت أمي - رحمها الله – تشرف على خادمة واحدة وهي تحرّك الخزانة الكبيرة كأنها تحرك عربية طفل في المهد ! ولا تسل ساعتها عن السرور الذي دخل قلب أمي -رحمها الله- من هذا العمل ! سرور لا زلت أتذوق طعمه اليوم كأنني أعيشه يوم كنت جالسًا مع عمال (الصناعية) ذلك اليوم !

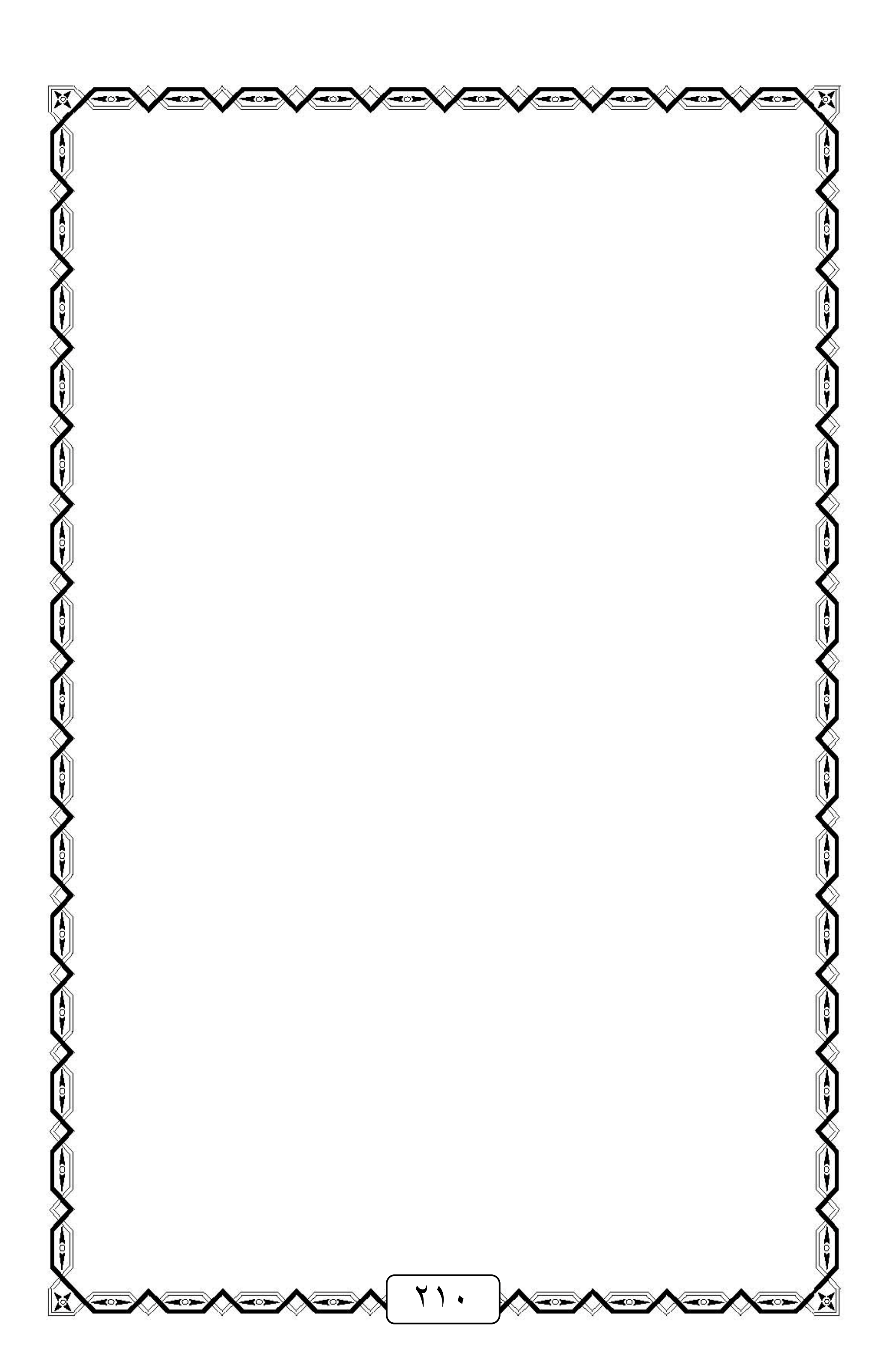
التغيير الذي جُبلت عليه أمي نورة -رحمها الله- يجعلنا كلما جالسناها مساءً في فناء بيتها أحسسنا بمذاق خاص لتلك الجلسة، فليلة تكون الجلسة على الجدار الشرقي، وليلة على السور الجنوبي، وأخرى تكون على (الدكة) المطلة، وهكذا يشعر الزائر لها بمزيد الحفاوة حتى في المجلس المعدّ

له،مع ما يصحب ذلك من أوانٍ نظيفة، ومشروبات متنوعة، ونفسٍ طيبة مرحِّبة بالكبير، مؤانسة للطفل الصغير، الكل عندها -رحمها الله- ضيوف أعزاء وأهل بيت مرتاحون في الجلوس، لا يمضون الوقت معها تكلّفًا !

حب أمي نورة – رحمها الله – التغيير والتجديد وطرد الرتابة، جعلنا نحن أولادها والضيوف المحبين الجلوس معها، جعلنا جميعًا نستمتع بألوان الطعام، وأصناف الموائد، فوجبة اليوم غير وجبة الغد، وغداء نهاية الأسبوع يختلف عن وسطه، وقهوة العصر ذات نكهة غير قهوة المغرب، وما يصاحب ذلك شكلاً ومضمونًا !

أمورٌ وتفاصيلُ صغيرةٌ ربما لم نكن نستشعرها حال وجودها! لكننا – دون شك – افتقدناها بتفاصيلها افتقدناها يوم فقدنا (مهندسة التغيير) أمي نورة رحمها الله رحمة واسعة.

وللحديث صلة إن شاء الله تعالى...





الأطفال بين يدي أمي رحمها الله

٢٤ـ أمي نورة ـ رحمها اللّه – حبيبة الأطفال

للأطفال في حياة أمي نورة – رحمها الله – صولات وجولات، وأحاديث وذكريات، فمنذ أن كنا أطفالا، إلى أن صرنا آباءً لأطفال ونحن نرى تعامل أمي – رحمها الله – مع الأطفال لم يتغير، فهو التعامل الذي يقطر حنانًا ورقّة، ويتدفق مشاعر دافئة، تخاطب الأطفال بأرق العبارات، وألين الألفاظ !

نـشيدها في ملاعبتـي منـذ كنـتُ صـغيرًا :(برهومْبرهـومْ، شيخ العجَمْ والرومْ) ! كلمات تحمل التشجيع مـع التلعيـب، طفلها شيخٌ ، هكذا تزرع في نفسي !

خصوصيتها في (تبريد الحليب) قبيـل خروجنـا للمدرسـة أمر مشهور فيما أسميته (كأس الرحمة) – ذكرتـه بالتفـصيل في حلقة سابقة بعنوان يوم دراسي مـع أمـي رحمهـا الله – عمـل امتدَّ لشمل أحفادها بعد أولادها رحمها الله.

للأطفال مع أمي – رحمها الله – ميعاد مـالي متكـرر سـنويا مرتين حيث (العيديات) المتميزة التي تـسعدهم – رحمهـا الله –بها ، عيديات بمبالغ مالية ربما لا تقع في أيـدي الأطفـال إلا من يدها – رحمها الله – إذ إنها أضعاف أضعاف ما يحظون بـه في العيد من غيرهـا، ولـذلك فــ(عيديـة أمـي نـورة) باتـت مصطلحًا مهما أطلقه المستفيدون منها أطفالنا في العيد.

كما أن للأطفال مع أمي – رحمها الله - موعدًا ماليا متكـررًا بتكرر زيارتهم لها يوميًا أو أسبوعيًا، أو أقل من ذلـك، موعـد

رباعي (الأطفال / أمي نورة / الريالات / البقالة المجاورة) !

والأطفال في حياة أمي نورة - رحمها الله – هم الضيوف المُقدَّمون على غيرهم في العناية والاهتمام ! أطفالها الزائرون أيا كانوا، أحفادها أو غيرهم، ولذلك اشتهرت مقولتها المتكررة كلما جاءها إخوتي الصغار (أبناء ضرتها)، الذين اعتادوا صحبة أمهم في زيارتها أمي – رحمها الله - على نحو شبه يومي ! اشتهرت مقولتها المسائية: " حطُّوا العشاء قبل ينام الصغار " !

امتدّت عناية أمي نورة – رحمها الله – بالأطفال لتشمل الأطفال الأعاجم ممن لا يعرفونها ولا تعرفهم ! وذلك ما حدث في موسم حج عام ١٤٢٠هـ تقريبًا، عندما عزم (خالد، ورشيد) العاملان الباكستانيان على الحج مع زوجتيهما، وكانت صحبة أطفالهما ستشق عليهما، فلم يجدا ملاذًا أفضل من بيت أمي نورة – رحمها الله – الذي كان

لهؤلاء الأطفال منزلا آمنًا ، ومكانا مريحًا حتى عودة أهلهم من السفر ! أطفال العمال ضيوف على أمي رحمها الله.

هذه العناية الفائقة من أمي نورة – رحمها الله – بالأطفال، جعلهم يتسابقون إلى زيارتها، ويتنافسون في المبيت عندها؛ لينعموا بإكرامها ليلا ، وحفاوتها صباحًا، والتنعم بجلستها ضحى، والأنس بأحاديثها؛ لأنها –رحمها الله– تعامل الطفل الصغير كالرجل الكبير حفاوة وتقديرًا.

تعلق الأطفال بأمي نورة – رحمها الله - جعلهم يعبِّرون عن مشاعرهم الصادقة البريئة بعد فقدها – رحمها الله – ومن ذلك أننا بعد وفاتها بأيام قليلة هطلت أمطار غزيرة على الرياض، فخرجت إلى فناء بيتي لأدعو ربي، وكان معي طفلي مساعد (في السابعة من عمره) – أصلحه الله – فقلت له : في وقت المطر الدعاء مستجاب، فقال لي :أيّ دعوة أدعو بها تُستجاب ؟! قلت: نعم إن شاء الله. ففاجأني بقوله : سأدعو الله أن يُرجع لنا أمي نورة !

ومن تعلق الأطفال بأمي نورة – رحمها الله – أن كتبوا قصائد على مستواهم في رثائها – رحمها الله – ومن ذلك قصيدتان لمساعد أصلحه الله:

الرثاء الأول لابني الشاعر الطفل مساعد بن إبراهيم السماعيل المولود في ٢٢ / ٤ / ١٤٢٣هـ

لأمي نورة – رحمها الله تعالى – المتوفاة في ٣ / ٣ / ١٤٣٠هـ

القصيدة الأولى:

جدتي العزيزة

لماذا لا تأتينَ إلينا ؟

لقد طوّلتِ علينا !

بقيتُ معاكِ

سنينًا كثيرة .

لماذا ما شفت (خالدْ)

القصيدة الثانية:

جدتي العزيزة

لماذا بقيتِ في المستشفى ؟

أحتريكِ تطلعين

من المستشفى !

لتجي بيتنا وبيتك .

والرثـاء الثـاني كـان للـشاعر الطفل سـلمان سـبط أمـي- رحمها الله وأصلحه- ابن الغالية (لولو):

رثاء الشاعر سلمان بن علي المسند المولود في ٧/ ١٠ / ١٤٢٣هـ

لأمي نورة – رحمها الله تعالى –المتوفاة في ٣ / ٣ / ١٤٣٠هـ

القصيدة :

ماما نورة الحبيبة

اشتقتلك كثيرًا

لماذا لا تأتين لي ؟

بكينا عليك كثيرًا !!

الله يرحمك يا أمي الحبيبة

أود أن ترجعي لنا مثل الأيام السابقة

كنت آتيك كل يوم

لدي حصاة من قبرك جميلة جدًا

أود الآن أن أتذوق جريشك اللذيذ

وكان وجهك قبل أن تتوفين كان جميلا

والرثاء الثالث كان لحفيد أمي نـورة – رحمهـا الله - ابنـي عبدالله – أصلحه الله – في قصيدة كتبها بعد وفاتهـا – رحمهـا الله – بثلاث سنوات وثلاثة أشهر !

القصيدة :

كل يوم كنت أذهب إليك

ونجلس في الدكة

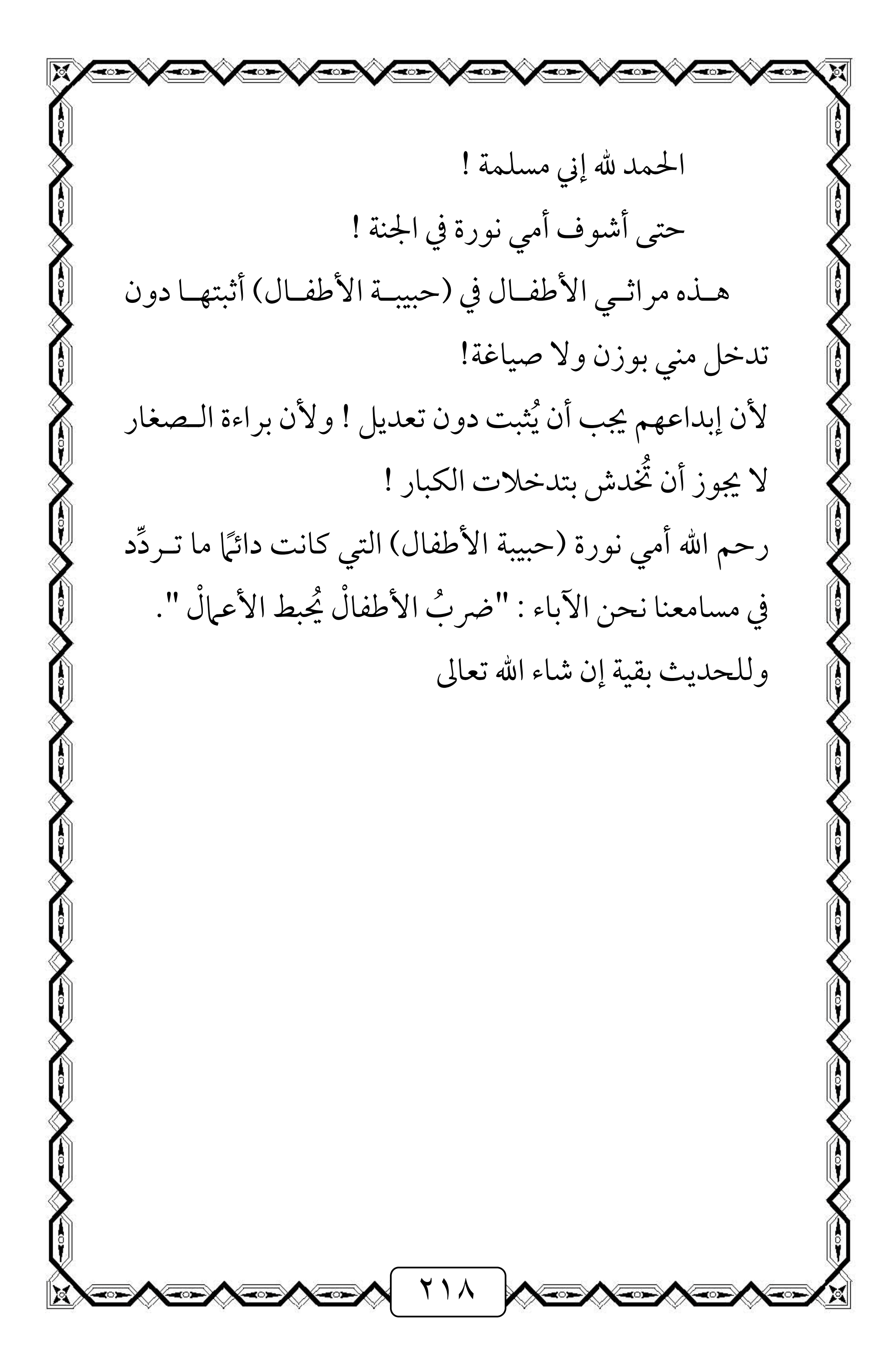
أين ذهبت ؟ أين ذهبت ؟

فأين ذهبت ؟

فأحبك في قلبي

كنت دائمًا تعطيني المال للشراء من البقالة !

والرثاء الرابع: عبارة قـصيرة صـادقة، تـسميها قائلتهـا: قصيدة! ذلك أنني استيقظت صباحًا بعد وفـاة أمـي نـورة – رحمهـا الله – بـثلاث سـنوات ففاجـأتني طفلتـي نـورة (٢ ابتدائي)–أصلحها الله– بقولها : بابا عندي قصيدة ! قلـت : قوليها . فقالت:



الحمد لله إني مسلمة !

حتى أشوف أمي نورة في الجنة !

هـذه مراثـي الأطفـال في (حبيبـة الأطفـال) أثبتهـا دون تدخل مني بوزن ولا صياغة!

لأن إبداعهم يجب أن يُثبت دون تعديل ! ولأن براءة الـصغار لا يجوز أن تُخدش بتدخلات الكبار !

رحم الله أمي نورة (حبيبة الأطفال) التي كانت دائمًا ما تـردِّد في مسامعنا نحن الآباء : "ضربُ الأطفالْ يُحبط الأعمالْ ".

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى



مع والدي حفظه الله على قبر أمي رحمها الله

٢٥ـ قَدرُ أمي نورة ـ رحمها اللّه ـ عند والدي حفظه اللّه

عاشت أمي نورة –رحمها الله– مع والدي عبد الله –حفظه الله– حياة مديدة لم يفرِّق بينهما إلا الموت! وشاركته كنيته (أم غانم / أبو غانم).

امتدت تلك الحياة وملؤها الاحترام المتبادل، والتقدير المشترك، والحب الراقي، الحب الذي تعرف فيه الزوجة حقوق زوجها كاملة فلا تخل بها، وتعرف خاطره فتتصيّده، وتعرف ما يحب فتأتيه، وما يكره فتجتنبه.

لا أزعم أن حياة أمي -رحمها الله- مع والـدي -حفظـه الله- لم يـشبها خـلاف! أو لم تتعـرض في وجهـات النظـر لاختلاف! لكنني أجزم من معايشتي حياتهما أنهـما مـن أكثـر الأزواج تفاهمًا، وأكثر البيوت اطمئنانًا.

وهنا سأقتصر على ذِكر خمسة مواقف تبـيِّن قَـدْر أمـي - رحمها الله- عند أكثر الناس خُلطة بها والـدي -حفظـه الله- ثلاثة من تلك المواقف بعد وفاتها واثنـان في حياتهـا -رحمهـا الله- والأول مـنهما أنـه عنـدما أجـرى والـدي -رعـاه الله- عملية في عينه عام ١٤٢٦هـ، ولازم المـشفى أيامًـا، وحـان وقت خروجه ليمضي بقية وقت الراحة في أحـد بيوتـه، عـلى ألا يتنقل بينها مـدة الاسـتجمام، فتنـافس أولاد والـدي مـن بنين وبنات، كل يريد أن يحظى بشرف مُكث والدي في بيـت والدته! ويحـق لنـا جميعًـا هـذا التنـافس، وأذكـر سـاعتها - وكنت بحمد الله مرافقًا له طوال مكثه في المـشفى- أذكـر أنـه قُبيـل خروجـه أجـاب إخـوتي المتنافـسين في اسـتقباله بعـد

خروجه بقوله -حفظه الله- :" سريري جاهز في بيت أم غانم " يعني أمي نورة -رحمها الله تعالى-وعندها قطع كل محاولات الضيافة، وأغلق باب التنافس المحمود بقراره الخاص المحبب إليه، ولما انفرد بي قال لي-حفظه الله-: "أرتاح لحفاوة أمك، الله يجزاها كل خير"!

وكان هذا ما لقيه فعلا من إعداد مكان استجمامه، ومن رحابة الصدر في استقبال ضيوفه وزواره، من زوجاته وأولاده البنين والبنات، والضيوف من داخل الرياض وخارجها، الكلّ يزور فيجد بيت أمي نورة -رحمها الله- مفتوحًا مضيافًا يبيِّض وجه صاحبه الذي أحسن الاختيار ببقائه عند زوجته نورة التي قامت بواجب زوجها وضيوفه.

وأما الموقف الثاني:فهو أن والدي -حفظه الله- أوقف الاجتماع الشهري لأولاده وأحفاده(الدورية العائلية)، وأوقف -أيضًا- أية مناسبة عائلية لنا، قائلا -حفظه الله-: " ما فيه اجتماعات قبل تطلع أم غانم من المستشفى"! شكر

الله لرجل الوفاء وفاءه، ورحم الله المرأة التي استحقت هـذه المنزلة!

وكان الموقف الثالث: في أول أيام العزاء في أمي نـورة – رحمها الله–عندما دخـل أبي بعـد المغـرب عـلى قـسم النـساء ليعزِّي (لولو)، ويتلقـى العـزاء ممـن حـضر مـن القريبـات، فقالت إحدى قريباتنـا: " يـا بـو غـانم سـامح عمتـي نـورة وحلِّلها الله يجزاك خير "، فالتفت إليها بعين دامعـة، وقـال : "إيش أحلِّلها منه؟ كيف أسامحها ؟! وأنـا والله مـا حرجـتُ عليها في حياتي أبدًا " ! يا لَه من موقفٍ ما أبلَغَه ! رغـم قِـصَرِ عباراته إلا أنه اختـزل حيـاة تزيـد عـلى أربعـة عقـود ! " مـا حرجتُ عليها في حياتي أبدًا ".

كيـف يحـرج عـلى مـن كانـت تراعـي ظروفـه حلوهـا ومرّها؟ كيف يحرج على من كانت مكرمة أمه – رحمهـا الله – غاية الإكرام؟ كيف يحرج على من كانت تقـدِّر أخواتـه كـل التقـدير؟ كيـف يحـرج عـلى مـن كانـت تعامـل زوجاتـه

الأخريات معاملة الأخوات؟ كيف يحرج على من كانت تحرص ألا تقع عين زوجها على ما لا يحب؟ كيف يحرج على من راعت انشغاله الدائم في مشاغل الدنيا فاعتنت بتربية خمسة من أولاده (بنت وبنين) أكمل عناية؟ كيف يحرج على من كانت تقوم بضيافاته في بيتها (في يومها أو يوم إحدى جاراتها) حين لم تكن الناس تعرف الطباخين، ولا أكل المطاعم؟ كيف يحرج على من لم تردّ عليه كلمة؟ ولم تخالف له قرارًا طوال حياتها؟

والموقف الرابع:قد جرت أحداثه بعد ثلاثة أعوام من وفاة أمي نورة – رحمها الله – عندما كنت عائدًا مع والدي – حفظه الله– من المسجد في يوم من أيام الشوق للماضي الجميل! فتذاكرنا الغداء الشعبي، وأصنافه، ونكهاته، فتنهَّد–حفظه الله– وقال وهو يفتح باب بيته داخلاً: "يا وليدي ما فيه حريم! راح الجريش والقرصان مع أمي وأمك" ! وهنا لن أفسد نصّ والدي بتعليقي عليه ! " راح الجريش والقرصان مع أمي وأمك"!

وأما خامس المواقف : فكان في زيـارة والـدي –حفظـه الله– قبر أمي نورة – رحمهـا الله– ثـاني أيـام عيـد الأضـحى المبارك من عام ١٤٣٤هـ، وقد مضى على وفاتها –رحمها الله– أربعة أعوام وتسعة أشهر، عنـدما خالطـت عـبراتُ والـدي عباراتِه وهو يسير إلى القبر قائلا: "لأمِّك عليَّ حقّ"! سـبحان الله! ما أقصر العبارة وما أقوى الدلالة! يا والدي الكريم، مـا هذا الحق الذي لأمـي –رحمهـا الله– عليـك؟ مـا هـذا الحـق الذي تذكره بعد ما يقارب الخمسة الأعوام عـلى وفاتهـا؟ مـا هذا الحق الذي آثرتَ ذِكره مجملا دون تفصيل؟ ما هذا الحـق الذي ذكرتْك به خطواتُك إلى قبر صاحبة الحق رحمها الله؟

الحمد لله أن جعلني ابنا لهذين العظيمـين؛ ابنًـا لـصاحبة حق على أعظم الناس حقا عليها، وابنًا لرجل الوفاء الـذي لم ينسَ من قامت بحقه طوال حياتها معه رحمها الله! وللحديث بقية ...



فضيلة الشيخ عبد الله التويجري حفظه الله

٢٦ ـ إبراهيم تعال بسرعة

التأريخ : أواخر رجب ١٤٢٦هـ.

الوقت: ضحى الخميس.

اتصل بي أخي (صالح) –حفظه الله– الذي كان يسكن مع أمي نورة – رحمها الله – في بيتها مرتبكًا مذعورا، وقال : " إبراهيم تعال بسرعة ! أمي ما أدري إيش فيها!".

لم تمضِ خمس دقائق إلا وأنا عندها بحكم قرب بيتي من بيتها - رحمها الله – ولما دخلت عليها في غرفة الجلوس في الأسفل وجدتها - رحمها الله – جالسة يسندها أخي صالح، والخادمة بجوارها تقول: في الصباح مالت ماما نورة على اليمين، ما تقدر تجلس !

خاطبتُ أمي - رحمها الله – ولم ترد عليَّ ! تنظر إلينا دون أن تملك القدرة على الحديث! طلبتُ من صالح أن يتركها دون أن يسندها؛لأرى مدى قدرتها على الجلوس، فمال جسمها إلى اليمين مباشرة، هنا ذُهلتُ من الموقف، إضافة إلى ما رأيتُ من ارتباك أخي صالح ، وأُسقط الأمر في أيدينا، فألهمني الله – سبحانه – الاتصال بزميلنا العزيز الطبيب الأخ د. صالح بن فهد الظاهري–حفظه الله- ولما سمع وصف الحالة، قال: اشتباه جلطة، والحمد لله أنكم انتبهتم للأمر في بدايته، والحمد لله على كونها من جهة اليمين، وليست من اليسار حيث قُرب القلب. قلت: ما العمل الآن يا دكتور؟ قال: توجهوا بها مباشرة إلى مدينة

الملـك فهـد الطبيـة. وبالفعـل هـذا مـا حـصل إذْ سـارعتُ بإدخال سـيارتي داخـل البيـت وتـساعدنا صـالح وأنـا عـلى إركـاب أمـي -رحمهـا الله- الـسيارة، فأجلـسناها في المقعـد الأمامي، أقود السيارة، وصالح في المركب الخلفي مـادّا يديـه للأمام بمثابة الحزام لأمي – رحمهـا الله –وهكـذا كنـا طـوال الطريق إلى المشفى الذين بادروا بتنويمها حال وصولنا.

وعندما أنهينـا مـا يجـب علينـا إنهـاؤه مـن الإجـراءات اتصلنا بشقيقتنا الغالية (لولو) وبشقيقنا (علي) لنخبرهما عـن الوضع، وأوصلنا الخبر إلى مكتب شقيقي (غانم) لإخباره.

ومنذ تأريخ هذا الدخول إلى خروج أمي – رحمهـا الله – من المشفى كانت المدة قد بلغـت أسـبوعين، تخللهـا مرافقـة (لولو) لها ، وزياراتنا اليوميـة، لا نَخـرج مـن زيارتهـا إلا أن نُخرج من قِبل المشفى نفسه.

كما شمل هذان الأسبوعان الرقية الشرعية التـي يـسَّرها الله -تعالى-بما أكرمنا به شيخي الفاضل المربِّي الـشيخ/ عبـد الله بن عبد الرحمن التويجري -حفظـه الله - صـديق العائلـة،

صديق والدي، صديق والدتي، الشيخ الذي طالما كان يشرفنا في مناسباتنا الاجتماعية من ولائم أفراح وعقيقة مولود، ونحوها، فلما علم بما حلَّ بأمي – رحمها الله – لم يتردد ألبتة في الذهاب للمشفى لقراءة القرآن على أمي – رحمها الله – بل إنه كان يأتي في اليوم مرتين! إحداهما: في الفجر حيث كنت أصلي معه الفجر يوميا في مسجده، فما أن ينتهي من إمامة المصلين، إلا وآخذ بيده ليركب سيارتي، فندخل المشفى ما بين الفجر وشروق الشمس في هدأة وسكون، وقلة حركة في الشوارع والطرقات وفي ممرات المشفى، حتى إن موظفي المشفى اعتادوا على (الزيارة الفجرية)، على هيئة الشيخ المهيبة بقامته الطويلة، ولحيته البيضاء المنيرة، ووجهه المشع إيمانًا، وبصيرته التي عوضه الله – تعالى – بها عن فقد بصره، يأتي الشيخ للقراءة كل فجر، وأنا أستمع إلى القراءة، وأرقب وجه أمي -رحمها الله- وأحيانا أشارك الشيخ في القراءة بطلب منه جزاه الله خيرًا.

في هدأة الفجـر، وتـنفّس الـصباح، وبرَكَـة البكـور، في غرفة المشفى: أمّي – رحمها الله – والشيخ عبـد الله التـويجري -حفظه الله- وأنا! كلّ فجرمدة أسبوعين كـاملين، الله أعلـم كم ذرفت حينها من الدموع آخذًا راحتـي في ذلـك حيـث لا يراني في الغرفة أحد!

وأما زيارة الشيخ اليومية الأخـرى فكانـت بعـد صـلاة العشاء حيث أصلي معـه، وننطلـق للمـشفى، دون ملـل منـه ولا كلل، فجزاه الله عنا خير الجزاء.

ونظرًا لأن الزيـارة المسائية تتـزامن مـع وقـت الزيـارة المعتــاد، حيــث تكثــر مرافقــات المريــضات الأخريــات وزوارهــن، في غرفــة أمــي – رحمهــا الله – أو في الغــرف الأخرى، فإن ذوي المريـضات يطلبـون مـن الـشيخ أن يقـرأ على مرضاهم، وهذا ما كان يفعله الشيخ مشكورًا مـأجورًا - إن شاء الله- ولعل هذا من بركـات أمـي -رحمهـا الله – عـلى من يجاورها، ومن نفعها للآخرين حتى ولو لم تـشعر بـذلك، فحضور الشيخ لهـا -رحمهـا الله- تـسبب في زيارتـه مـرضى

آخرين، وقراءته عليهم، فسبحان الله! هل امتدَّ جـودُ أمـي – رحمها الله – وعطاؤها ونفعُها الذي اعتادته في حـال صـحتها إلى الآخرين واستمر حتى في حال مرضها ؟!

وخلال هذين الأسبوعين زادت معرفتنا بمحبـة النـاس لأمـي – رحمهـا الله – مـن خـلال كثـرة الـزوار، والزائـرات الذين كانت تمتلئ بهـم الغرفـة وممـرات المـشفى، كـل يريـد السلام والاطمئنان.

وبعد أسبوعي زمانٍ خرجت أمـي نـورة – رحمهـا الله – لتنير بيتها من جديـد، ولـتملأ الفـراغ الـذي نـشأ في البيـت طوال الأسبوعين الذينِ قـضتهما في المـشفى، عـادت أمـي – رحمها الله – إلى بيتها وقد زالت عنهـا – بحمـد الله – الجلطـة وآثارها، ولم يبقَ لها إلا مراجعات اعتيادية للعيـادة أسـبوعيا، وأحيانًا تكون المراجعات ما بين أسبوعين إلى ثلاثة.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى...



٢٧ ـ أمي نورة– رحمها الله – ومراجعة العيادات

استمرت مراجعات أمي نورة –رحمها الله–عيادات القلب والباطنية في مدينة الملك فهد الطبية، وكثيرًا ما تكون هذه المراجعات أيام الأربعاء من كل أسبوع، وربما كانت أيام السبت أحيانًا، وقد تكون كل أسبوعين، أو أكثر بقليل، حتى ملّتْ –رحمها الله– من كثرة المراجعات، ومن أحمال الأدوية المتنوعة، ومن الانتظار قبل الدخول على العيادة، ومن الانتظار على شباك الصيدلية، حتى إن موعد المراجعة يستغرق ذلك اليوم من الصباح الباكر إلى ما بعد الظهر! مع ما يسبقه ليلة البارحة من التأهب للذهاب، واستثقال رؤية المشفى وما فيه!

كـان لي – بفـضل الله – شرف صـحبتها لأغلـب هـذه المراجعات، ولذا فإني أحتفظ في هذه المراجعات الدورية مـع أمي – رحمها الله – بذكريات وأية ذكريات! فقد كنا نتحـدث في السيارة ذهابًا وإيابًا، في كل موضوع يخطر في البـال، حتـى إذا شارفنا على الوصول إلى مدينة الملك فهـد الطبيـة، وأردتُ الدخول مـن المـسار الـرئيس بعـد جِـسر الخلـيج إلى طريـق الخدمة، تقول أمي -رحمها الله- " قرّبنا للمستـشفى، أعـرف من هالخطوط الصفر !" تعنـي -رحمهـا الله- الخطـوط التـي على الرصيف الفاصل بين الطريق الـرئيس وطريـق الخدمـة! وعنـدها تـشرع بالـدعاء بالإعانـة، وأن الله يهـوِّن عليهـا، ويعجِّل برجعتنا!

ومن الذكريات في تلك المراجعـات أننـي كنـت أطلـب مـن أمـي -رحمهـا الله- انتظـاري مـع خادمتهـا عنـد بـاب المـشفى، لأذهـب إلى داخـل العيـادة فآخـذ لهـا (الكـرسي المتحرك) بعـد أن أضـع عنـدهم إثبـاتي، ليتثبتـوا مـن إعـادة الكرسي بعد في نهاية المراجعة. ولما كان هذا الإجراء يباعـدني

قلـيلاً عـن أمـي -رحمهـا الله- اهتـدينا إلى شراء (كـرسي متحـرك) خـاص بـأمي -رحمهـا الله- حتـى لا أضـطرها إلى انتظـاري في وقـت اسـتلام كـرسي العيـادات، وإرجاعـه، وبذلك غدا هذا الكرسي صـديقًا لنـا يلازمنـا في مراجعاتنـا، وهو الكرسي الذي كانت أمـي -رحمهـا الله- تباعـد ظهرهـا عنه حتى تخفِّـف عنـي دفعـه! وكـم كنـت أرفـض أن تقـوم الخادمة بشرف خدمة أمي -رحمها الله- في الكرسي؛ لأحظـى بذلك الشرف الذي لم أتنازل به لخادمـة أمـي إلا في الأمـاكن التي لا أتمكن من دخولها كانتظار النـساء، ونحـو ذلـك، ولي في هذا الكرسي مقال خاص في وداعه!

ومن ذكريات هذه المراجعـات مـا كانـت أمـي -رحمهـا الله- تُتحــف بــه العــاملين في المــشفى مــن الممرضــين، والممرضات، والخدم، بصدقاتها المعتـادة، التـي تخرجهـا مـن حقيبتهـا اليدويـة الـصغيرة، وكأنهـا عـلى موعـد لإدخـال السرورعلى هذه الفئة، وفي إحـدى الزيـارات نـسيت أمـي -رحمهـا الله- الحقيبـة في المنـزل، فـرأت أهـل هـذه الهـدايا

والصدقات، فطلبت مني – رحمها الله – أن أعطيهم نيابة عنها، " يا وليدي عطني خلّني أفرح هالمساكين".

ومن ذكريات هذه الزيارات العالقة في ذهني انتظارنا الذي يطول أحيانًا كثيرة عند نافذة الصيدلية الداخلية للمشفى، مما يجعلني أتجاذب وإياها أطراف الحديث، فنورد القصة تلو القصة، والحديث عِقب الحديث؛ لأسلي أمي – رحمها الله – وأخفِّف عنها طول الانتظار الذي يزيد من ثقله كونه بعد انتظارات متعددة في العيادة وتوابعها من تحليل وأشعة ونحوهما، وربما عمدتُ أحيانًا إلى الحيلة بأن أخبر أمي – رحمها الله – أن الدواء لن يُصرف الآن! فأرجعها إلى البيت لترتاح في قيلولتها، وأعود وحدي لانتظار الصيدلية، دون أن أشق عليها رحمها الله!

ومن ذكريات هذه الزيارات أننا في إحدى الزيارات التي لم تنتهِ إلا بعد العصر، خرجنا من مدينة الملك فهد الطبية عصرًا (مسيّان) فقالت – رحمها الله – ودي أسلِّم على (عبد الله) تعني أخاها من أمها خالي (عبدالله الفضلية) الذي

كـان منوَّمًـا في مستـشفى الملـك فيـصل التخصـصي، تقـول لي:"مستحية من ربي، من زمان ما زرته"! علمًا أنه ربما كـان – رحمه الله –لا يعـرف زوّاره ! فتوجهنـا بعـد عنـاء مراجعتهـا للعيادة، وقـضاء الظهـر كـاملا في الانتظـارات، توجهنـا إلى حيث خالي عبد الله ، فدخلت وسلمت، وهي عـلى كرسـيها، وهو على سريره، ولا أعلم هل شعر بزيارتهـا تلـك ؟ أم لا ؟ أم يا تُرى هل كان كل منهما يعلم أنها الزيـارة الأخـيرة بيـنهما في هذه الدنيا ؟ دقائق قضتها أمي عند أخيهـا - رحمهـما الله- إنها حاجة في نفس نورة قضتها!

تعبّرتْ–رحمهـا الله- وكتمـتْ عنـي دمعتهـا، وودَّعتْـه، وخرجتْ! خرجتْ منه ولم تعُدْ.

ولـذلك لمـا تـوفي خـالي عبـد الله -رحمـه الله– يـوم ٢٧/ ١٠/ ١٤٢٨هـ لم نخبر أمي – رحمها الله – بوفاته؛ رأفـة بها! وإن كانـت شـعرت بـأمرٍ مّـا أيـام العـزاء، لتغيبنـا عـن ملازمتها –رحمها الله– في بيتها؛ بسبب مكثنا في بيت خـالي – رحمـه الله- للعـزاء، إلا أننـا –نحـن أولاد أمـي- كنـا نـسدد

ونقارب، وذلك أننا كنا لا نـذهب للعـزاء إلا بعـد المغـرب، ونحرص أن يكون بعضنا حاضرًا معها، وهكـذا مـضى عـلى وفاتـه - رحمـه الله -أشـهر ولم تعلـم بـذلك، لا منَّـا نحـن أولادها ، ولا من شقيقها (خالي صالح) حفظه الله.

حتى إن (نوفًا) ابنة خالي عبد الله -رحمـه الله- (وكانـت من أحب بنات خالي إلى أمي - رحمها الله - للطفها مع أمـي، وكثرة نكتها، وضحكها معها) جـاءت لزيـارة أمـي -رحمهـا الله- في البيت، فسألتها أمّي عن أبيهـا عبـد الله - رحمهـما الله جميعًا - " إيش أخبـار عبـد الله يـا نـوف؟" فقالـت (نـوف) مغالبـة دموعهـا: الحمـد لله يـا عمتـي هـو الحـين أحـسن ! وصدقتْ، فهو عند الله - إن شاء الله - أحسن!

وهكـذا اسـتمرت تلـك المراجعـات، إلى أن جـاءت مراجعة رمضان عام ١٤٢٩هـ ! التي سأشير إليها في الحلقـة القادمة إن شاء الله.



لولو،إبراهيم ، صالح، علي، غانم
حول أمي رحمها الله

٢٨ ـ آخر رمضان في حياة أمي نورة رحمها اللّه

توالت زيارات أمي نورة –رحمها الله–لعيادات مدينة الملك فهد الطبية طوال الثلاث السنوات (رجب ١٤٢٦ – شعبان ١٤٢٩هـ)، وأمي –رحمها الله– ما بين تحسّن أواستقرار في وضعها الصحّي، وقد يعتريها بعض التدهور.

إلى أواخر شعبان وبدايات رمضان عام ١٤٢٩هـ حين بدأ الضعف يبدو عليها بشكل ملحوظ، وبدأت حالتها

الصحية تترادى، إلا أنها كانت -رحمها الله-تقاوم، وتتحامل على نفسها، ذلك أنها -رحمها الله- كانت كارهة المستشفيات وأجواءها طوال العام، فكيف الشأن في رمضان؟

ولذلك فقد كانت أشبه ما تكون في مستشفى داخلي طوال رمضان هذا، لأنها لم تكد تغادر سريرها الذي أُعِدَّ لها في الغرفة الرئيسة أسفل البيت، فقد هجرت غرفتها مع ما كانت تحمل لها من خصوصية! وتركت الدخول إليها والمبيت فيها مع أنها اعتادت عليها عمرها كله!

ومما يسليني أنني في رمضان هذا قد أكرمني الله أنني لم أفطر يومًا إلا مع أمي - رحمها الله - طوال الشهر، كنت أجهز إفطاري وأفطر بحضرتها - رحمها الله - يصحبني من يصحبني من أهل بيتي، وذلك الشهر كله لم أستجب فيه لدعوة من صديق ولا قريب، ولم أسافر خلال الشهر الذي كنت حريصًا فيه على ملازمة أمي رحمها الله.

وما لست أنساه في تلك الأيام أنني كنت عند رأسها بعد مغرب إحدى ليالي رمضان، وبعد مدة صمت، إذ لم يكن في الغرفة غيرنا أمي وأنا، وهي شبه نائمة -رحمها الله- فقالت: إبراهيم ! قلت سمِّي يمَّه . قالت :" يا وليدي رحْ (لأبوك) وقل له يحللني، وخلِّه يجي يقرأ عليَّ "! طلب غريب جدًا، غريب صدوره من أمي -رحمها الله- وليست الغرابة في طلب التحلل (مع غرابته لعدم اعتيادنا سماع ذلك من أمي رحمها الله)، ولكن وجه الغرابة الكبير أن تطلب مني -رحمها الله- حضور أبي من بيت زوجته الأخرى! وهو ما لم تأمرنا به طوال حياتها ! لا شك أن الأمر الداعي لهذا الطلب أمر جلل ! وكان لا بدّ لي من المبادرة في التنفيذ مع صعوبته عليّ من كل وجه، وفعلا ذهبت إلى بيت أبي المجاور عند زوجته خالتي (أم عمر) فدخلت عليه وقبلت رأسه ويده، فرحَّب بي -كعادته- أحسن الترحيب، ثم قلت له: يبه أمّي... فأجهشتُ بالبكاء ولم أستطع إكمال عبارتي! فقال-

حفظه الله: خير إيش فيه يا ولدي ؟قلت :أمّي تقول حلّلني! وتطلب مجيئك للقراءة عليها !فوالله كأني أنظر إلى سرعة قيامه من مجلسه، حتى إنه -حفظه الله- لم يكمل فنجال القهوة الذي في يده!

خلال دقائق معدودة كان أبي – حفظه الله – عند رأس أمي – رحمها الله- فسلَّم عليها وجلس عند رأسها وشرع في الرقية الشرعية وهو -حفظه الله- ماهر بها، وكان أثناء القراءة يمرر يديه على رأس أمّي -رحمها الله- ويخلل بأصابعه شعرها! وكنت أرقب الموقف ظانًّا أنني الوحيدُ الذي غلبه البكاء، وإذا بالبكاء كان ملازمًا لنا نحن الثلاثة: أمي، وأبي، وأنا! بكاء صامت مستمر! ويا له من موقف! وأيّ موقف! لحظات ليس فيها إلا الدموع، والنفث الطاهر، وآيات الكتاب العزيز!

وبعد عدة ليالٍ زادت حالة أمّي -رحمها الله- ضعفًا، واشتدَّ بها المرض، فذهبنا بها يوم التاسع والعشرين من

رمضان عصرًا إلى طوارئ مدينة الملك فهد الطبية، ومكثنا في حالة لا يعلمها إلا الله من الترقّب والخوف، حتى إذا أذّن المغرب أفطرنا في ممرات الطوارئ، ثم لم نلبث إلا لحظات حتى أُعلن أن العيد غدًا!

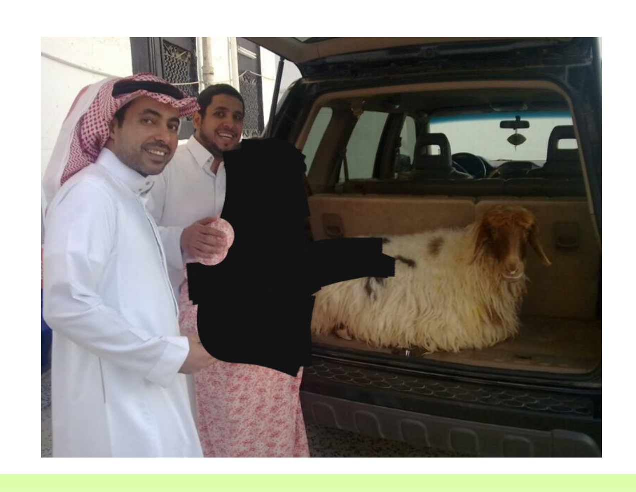
ليلة عيد وأمي –رحمها الله–في الطوارئ على السرير ما بين تحاليل، وأشعة، وأكسجين! ليلة عيد ولن يكون هناك من يملأ البيت عطرًا وبخورًا ! ليلة عيد ولن توجد في البيت من تُعدُّ العيد ليخرج به والدي للمسجد مع المصلين! ليلة عيد ولن يحظى إبراهيم بصحبة الحبيبة إلى مصلى العيد من طريق ليعودا من طريق أخرى مصحوبين بالتكبير والتهليل! ليلة عيد ولن يسعد الأطفال بالعيديات المجزية صباح العيد من البد الحنون المعطاء! ليلة عيد ولن يعمر البيت بدلال القهوة وأباريق الشاي، وسفرة العيد التي يحضرها الصغير والكبير! كل ذلك لن يكون ما دامت سيدة هذه المواقف كلها في الطوارئ على السرير!

ولما انتصف الليل تقريبًا، كنا محيطين بها (لولو، وغـانم، وعلي، وصالح، وأنا، وعبد الله المسند ابن لولـو أكـبر أحفـاد أمي رحمهـا الله)، هنـاك ألحّـتْ علينـا أمـي -رحمهـا الله- أن تخرج إلى البيت، وأن تشارك أهـل البيـت العيـد مهـما كلّفهـا ذلك! ومهما دفعت من صحتها مقابل اجتماعها بأحبابها!

وهذا الذي حصل بالفعل فقد وقَّعنا على ورقـة خـروج أمي - رحمهاالله- من المستـشفى تحـت المـسؤولية! ولا أدري هل كانت تشعر -رحمها الله- أن هذا سيكون آخر عيـد فطـر لها في دنيانا! وهل تحاملت على نفسها إحساسًا منهـا أنهـا لـن تكون معنا في عيد الفطر القادم!

خرجت أمي -رحمها الله- متحاملة على نفسها، وباتـت في بيتها ليلة العيد، وكان العيد سـعيدًا بحـضرتها ، وإن كـان حضورها -إلى حدٍّ مّا- حضورًا جسديًا فقـط! كنـا نعايـدها وبصعوبة تتجاوب معنا من الأوكسجين، والإعياء، والتعـب الذي لو لم يكن فيه إلا سهر ليلة العيد في الطوارئ لكفى!

وللحديث بقية إن شاء الله...



أمي رحمها الله بين شقيقي علي وبيني واضعة يدها على الأضحية

٢٩ ـ عيد الأضحى الأخير في حياة أمي نورة رحمها الله

منتصف شهر شوال من عام ١٤٢٩هـ مع ازدياد حالة الضعف الصحي الذي تمرُّ به أمي نورة - رحمها الله - تشاورنا نحن أولادها في ألا نقف مكتوفي الأيدي تجاه هذا الوضع ! فاستقرَّ رأينا على السفر بها إلى جنوب المملكة للرقية الشرعية، وهنا تشرفتُ بالسفر معها بصحبة مباركة على رأس تلك الصحبة شقيقتي (لولو)، ومعها ابنها (مشعل)، وأم فارس، سافرنا مع أمي نورة - رحمها الله -

سفرة الأربع والعشرين ساعة حيث كانت رحلة الذهاب فجر الخميس، ورحلة العودة فجر الجمعة، وكانت حقًّا رحلة شاقة من حيث الوقت، والمكان، والأحداث المصاحبة، حتى يمكن أن نقول عنها: {لقدْ لَقِينَا في سَفَرِنَا هَذا نَصَبا} .

عُدنا فجرَ الجمعة، وما كنا نعلم أن تلك آخر طيارة تركبها أمي نورة – رحمها الله – عُدنا وعادت معنا تدريجيا عافية أمي – رحمها الله – وبدأت الحالة الصحية تبدو على أقل الأحوال مستقرة، وهنا يمكن أن أقول إننا نعمنا مع أمي – رحمها الله – في وضع محتمل إلى حدٍّ مّا، بحيث كانت في سريرها في غرفة الجلوس، وربما احتاجت الأوكسجين، فكانت أدواته حاضرة عندها، رغبة منا أن تكون غرفة أمي – رحمها الله – عيادة داخل البيت، حتى نأنس بها، وتأنس بقُربنا.

وقد جرى في هذين الشهرين أحداث جِسام، أولها أشرت إليه في حلقة سابقة من وفاة خالي عبد الله بن نافع بن فضلية (أخو أمي نورة من أمها مزنة رحمهم الله جميعا)

ولذلك لما توفي خالي عبد الله ـ رحمه الله ـ يوم ٢٧/ ١٠/ ١٤٢٩هـ لم نخبر أمي – رحمها الله – بوفاته؛ رأفة بها ! وإن كانت شعرت بأمرٍ مّا أيام العزاء، لتغيبنا عن ملازمتها –رحمها الله– في بيتها؛بسبب مكثنا في بيت خالي – رحمه الله– للعزاء،إلا أننا –نحن أولاد أمي– كنا نسدد ونقارب، وذلك أننا كنا لا نذهب للعزاء إلا بعد المغرب، ونحرص أن يكون بعضنا حاضرًا معها،وهكذا مضى على وفاته – رحمه الله – أشهر ولم تعلم بذلك،لا منَّا نحن أولادها ، ولا من شقيقها (خالي صالح) حفظه الله.حتى إن (نوفًا) ابنة خالي عبد الله –رحمه الله– (وكانت من أحب بنات خالي إلى أمي – رحمها الله – للطفها مع أمي،وكثرة نكتها، وضحكها معها) جاءت لزيارة أمي –رحمها الله– في

البيت،فسألتها أمّي عن أبيها عبد الله - رحمهما الله جميعًا -" إيش أخبار أبيك يا نوف؟" فقالت (نوف) مغالبة دموعها: الحمد لله يا عمتي هو الحين أحسن !وصدقتْ، فهو عند الله - إن شاء الله - أحسن!

والحدث الثاني كان يوم ٢٢ / ١١ / ١٤٢٩هـ عندما بلغنا وفاة عبد الله بن إبراهيم الجديعي(أبو علي)، وكان أثيرًا لدى أمي - رحمها الله - فلم نرد إخبارها بوفاته رأفة بحالها، وأذكر أنني استأذنتها مبكرًا ضحى الجمعة في وقت لم أكن أخرج فيه للصلاة عادة، وأخبرتها أنني سأخرج للصلاة مع والدي - حفظه الله - في جامع الراجحي، وأنني مشغول بعد الظهر فلن أتمكن من العودة إليها، ولم أخبرها الحقيقة وهي خروجي ضحى مع والدي لإدراك صلاة العصر في القصيم؛ حيث يُصلى على عمي أبي علي الجديعي - رحمه الله - وفي طريق السفر ظهر الجمعة جاءني اتصال من أمي - رحمها الله - فقالت: "ما شاء الله عليك إلى الحين

ما رجعتم من الراجحي؟ وإلا رايحين للقصيم " ؟! قلت: أيّ قصيم؟ قالت : " الله يرحم أبو علي، ليش يا وليدي ما علمتني الصبح حتى أدعو له ؟!"، وحقًا فقد كانت وفاة عمي الجديعي من الأمور التي أثَّرت على أمي رحمهما الله جميعًا.

وبعد وفاة عمي (أبي علي الجديعي) – رحمه الله – بستة وعشرين يومًا فُجعنا بوفاة أختي (غير الشقيقة) مزنة – رحمها الله – حيث فارقت الحياة مختنقة بالجمر يوم ١٨ / ١٢ / ١٤٢٩هـ رحمها الله رحمة واسعة، ولم يكن كتمان الأمر عن أمي نورة - رحمها الله – ممكنًا؛ وهنا أذكر أن أمي نورة - رحمها الله – طلبت منا أن تذهب إلى منزل خالتي أم سليمان (أم أختي مزنة رحمها الله) الملاصق لبيت أمي - رحمها الله - لتقوم بواجب العزاء. وعندها كنا نتسابق (شقيقي الأكبر غانم وأنا) إلى الفوز بخدمة أمي في كرسيها من بيتها إلى بيت خالتي أم سليمان، وعندما دخلت أمي -

رحمها الله - على خالتي - حفظها الله - تبادلا السلام، والعزاء، والبكاء!

وأما مساء ذلك اليوم فلا زلت أذكر أمي -رحمها الله- وقد اجتمعنا عندها في غرفة جلوسها، أذكرها إذْ خرجنا من مجلس عزاء أختي مزنة -رحمها الله- دقائق نمضيها مع أمي -رحمها الله- وكان ذلك وقت صلاة العشاء، صلينا جماعة حيث تجلس أمي -رحمها الله- وقد كاد الصفُّ أن يملأ الغرفة، خالي صالح- حفظه الله- وأولاد أمي -رحمها الله- الأربعة (غانم، وعلي، وصالح، وأنا) وأحفادها أولاد بنتها (لولو) وأبناء الأبناء، وكأن أمي -رحمها الله- تنظر إلينا في بيتها نظرة مودِّع!

ومما أذكره في شهر ذي الحجة هذا أنني اشتريت مع إخوتي الأضاحي، وعندما وصلنا بيت أمي - رحمها الله — خرجت معنا في فناء بيتها، وصورنا معها - رحمها الله — أثناء إدخال الأضاحي للبيت صورنا مع ابني عبد المجيد، وأبناء

أخي علي، وكانت من آخر لحظات خروجها - رحمها الله - للفناء، إن لم تكن آخرها!

وكنت قد استأذنت أمي - رحمها الله تعالى – في الحج، وذلك بعدما وصيتُ شقيقي الحبيب (عليا) على أضحيتي، وكان من طبيعة (علي) ممازحة أمي - رحمها الله – وإدخال السرور عليها، وكانت شخصيتا أخي علي وخالي صالح - حفظهما الله –مميزتين في إدخال السرور على أمي - رحمها الله – لطبيعتيهما الفكاهية، وما في ذلك من الارتياح إلى نكت أخي (علي)، وطرائفه، وقفشاته، المحببة جدًا إلى أمي - رحمها الله –ومما جرى من قفشات في ذلك العيد أن إحدى زوجات الأولاد(وكانت زوجة ثانية لزوجها) أوصت أخي (عليا) أن يتولى أضحيتها التي خصصتها لأمها - رحمها الله – فلما كان ضحى العيد، وباشر (علي) الذبح، حتى إذا وصل إلى أضحية هذه الزوجة سمّاها لأمها - رحمها الله –كما أوصته صاحبة الأضحية، واجتهد من نفسه وأدخل في

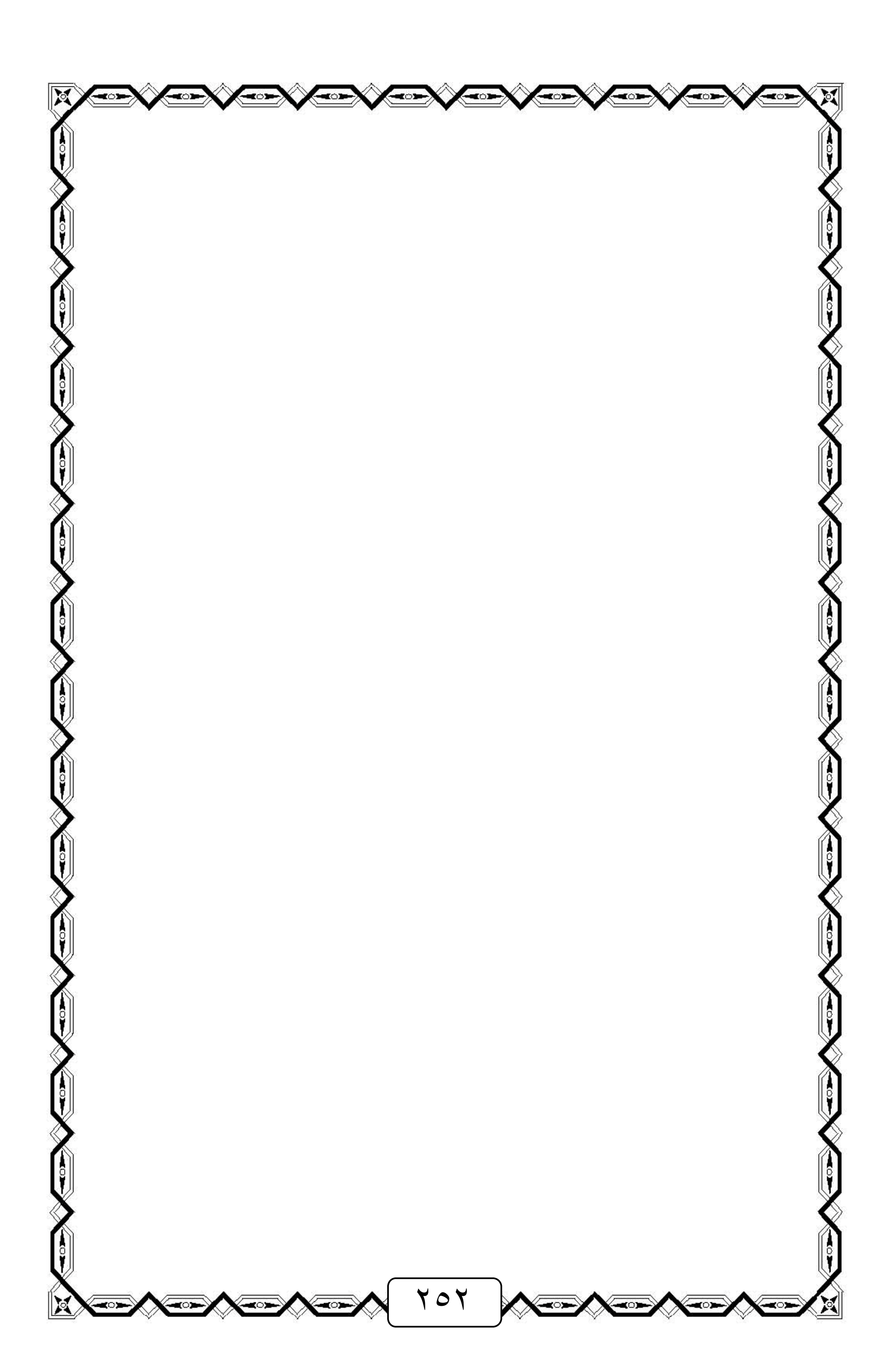
التسمية والد (ضرتها) - رحمه الله – وبعد الذبح أخبر أمي – رحمها الله –بهذه القفشة، فيقول: ضحكت أمـي - رحمهـا الله – ضحكًا لم تضحكه منذ مدة؛ وذلـك مـا اعتـادت عليـه ممـا يروق لها من طرائف أخي علي ومقالبه!

وأمّا أنا في ذلك الحج فكنت أتواصل مع أمـي – رحمهـا الله – هاتفيـا في اليـوم مـرات عديـدة، وأحـاول أن أدخـل الأنس عليها بإخبارها عـن تيـسّر حجنـا، وتبـشيرها (بالمـاء السبيل) الذي كنت أتصدق بـه عنهـا، لمـا أعـرف عنهـا مـن حب غير محدود للصدقات!

وكانـت أمـي نـورة - رحمهـا الله – قـد لازمـت البيـت منقطعة عن الخروج إلا لمراجعـات المستـشفى، ولم تخـرج إلى غيره إلا مرة واحدة هـي التـي طلبـت منـي الـذهاب بهـا إلى زوجة أبيهـا خـالتي (منـيرة البليهـد) - حفظهـا الله – التـي كانت تعـدّها أختًـا لهـا، قالـت لي: " يـا وليـدي أم عبـد الله تستأهل من يزورهـا، نطمـئن عـلى عمليتهـا في عيونهـا، لـو

غيرها ما طلعت ! "، وفعلا فقد ذهبنا لخالتي أم عبد الله (أمي نورة رحمها الله، وممرضتها الخاصة، وخادمتها، وأنا) في زيارة إنسانية لمن كانت لأمي – رحمها الله – أختا وصديقة، وليست زوجة أب فقط!

وهكذا مضى علينا منتصف شوال، وشهرا ذي القعدة، وذي الحجة، ونحن ننعم باجتماع مستقر مع أمي – رحمها الله – حتى إذا دخل العام الهجري الجديد كانت لأمي - رحمها الله – مراجعة اعتيادية لعيادة (د.نوال بخش) في مدينة الملك فهد الطبية، وكانت المفاجأة !وهي ما سأذكره في الحلقة القادمة إن شاء الله ...





٣٠ـ آخر زيارات أمي ـ رحمها الله ـ العيادات الخارجية

منذ ليلة عيد الفطر المبارك عام ١٤٢٩هـ لم تـدخل أمـي نورة -رحمها الله- المشفى إلا في زيـارات اعتياديـة للعيـادات الخارجية للمتابعة الدورية، ولم تكن تستغرق تلك الزيـارات إلا ساعات معدودة، مـا بـين العيـادة والمختـبر والـصيدلية، حتى إذا كان يوم الأربعاء الموافق ٣ / ١ / ١٤٣٠هـ حيث موعد مراجعة اعتيادية لأمي -رحمها الله- لعيادة الباطنيـة في مدينة الملك فهـد الطبيـة، كنـت عنـد أمـي -رحمهـا الله- في البيت صباحًا، وقد حرصتُ على أن أكـون عنـدها مبكِّـرًا إذ أدخلت سيارتي داخـل البيـت؛ إكرامًـا لأمـي -رحمهـا الله- وتوفيرًا لجهدها عن المشي إلى باب البيت الخارجي، صـبَّحتها

بالخير وتناولت معها كأس حليب، وآنستُها بالحديث متلطِّفًا لما أعلم من الهمّ الذي تحمله في مراجعة المشفى! وكان مما قلته لها -رحمها الله-ذلك الصباح: يا أميمتي خلينا نروح مبكرين للمراجعة، حتى نرجع إن شاء الله قبل الساعة الحادية عشرة، ونفطر في البيت مع بعض! أقول ذلك؛ لعلمي بأنّ أية كلمة تشير إلى اجتماعنا معها يسرُّها -رحمها الله- أيَّما سرور.

وقد خرجنا من بيتها -رحمها الله- في تمام الساعة الثامنة صباحًا، وفي الطريق إلى مدينة الملك فهد الطبية قالت لي -رحمها الله- : " ترا هذي آخر مرَّة أروح للمستشفى! خلاص تعبت من المراجعات يا وليدي" !قلت : أبشري يا أميمتي بما تحبين ! ولما وصلنا عيادة (د.نوال بخش)، رأت نتيجة آخر تحليل فأصابها قلق، وأعادت الكشف على أمي -رحمها الله- مرة أخرى، ثمَّ صارحتني بقولها: حالة الوالدة لا تسمح لها بمغادرة المستشفى هذا اليوم ! قلت: كيف يا

دكتـورة؟ قالـت: حالتهـا الـصحية تـستلزم وضـعها تحـت المتابعة! لا بد من تنويمها حالاً ! والآن سأحوِّلها إلى التنـويم! نريد تنظيم (أنزيمات الكبد) لأنها مرتفعة، وسوف تخرج يـوم السبت، كان هـذا الحـوار بـين الأخـصائية وبينـي في حـدود الساعة الحادية عشرة ضحى، فلم يكن بدٌّ مـن إقنـاع أمـي - رحمها الله- برأي الاستشارية، وحاولت تخفيف الخـبر عليهـا -رحمها الله- بقولي : يـا أمـي متـى يمكـن نبقـى عنـدهم إلى الليل، أو إلى صباح الغد بالكثير.

رحمها الله رحمة واسـعة كـأني أرى وجههـا الآن في تلـك اللحظة التي استسلمت فيه لقرار التنويم، وهي التـي كانـت تؤمِّل الخروج قبـل الظهـر! وعنـد ذلـك أكملـتُ إجـراءات التنـويم، وعنـدما وصـلنا جنـاح التنـويم اتـصلتُ بغـاليتي المكلومــة شــقيقتي (لولــو)، وأخبرتهــا، ثــم اتــصلت بإخوتي(غانم وعلي وصالح) لأخبرهم الخبر، فتحوَّل اجـتماع

مساء الأربعاء المعتاد لأولادها وأحبابها ذلك اليوم من بيتها -رحمها الله- إلى مدينة الملك فهد الطبية.

ومنذ ذلك اليوم وأمي -رحمها الله- في التنويم، حيث لازمتْها البنت البارّة (لولو) ليلا ونهارًا، لا تكاد تفارقها إلا وقتًا قليلا، وإذا خرجت (لولو) أبقت خادمتها الخاصة الفلبينية (مارسيلا) التي كانت أثيرة عند أمي نورة -رحمها الله- وأما نحن الأبناء فكنا نأتي يوميًّا قبل وقت الزيارة المتاح ونمكث حتى نهاية الزيارة.

يشاركنا الزيارة بشكل شبه يومي شقيق أمي -رحمها الله- الوحيد خالي صالح أبو عبد العزيز -حفظه الله- كما يشاركنا كذلك أحفاد أمي -رحمها الله- وزوجات الأبناء، والأنساب، والأحباب.

حتى بات مألوفًا لدى المنومين في المستشفى والعاملين فيه أن تعمر غرفة أمي -رحمها الله- يوميًا بالزوار

والزائرات، حتى إن أولئك الزوار ربـما انتظـروا في الممـرات وغرف الجلوس لكثرتهم جزاهم الله عنا خيرًا.

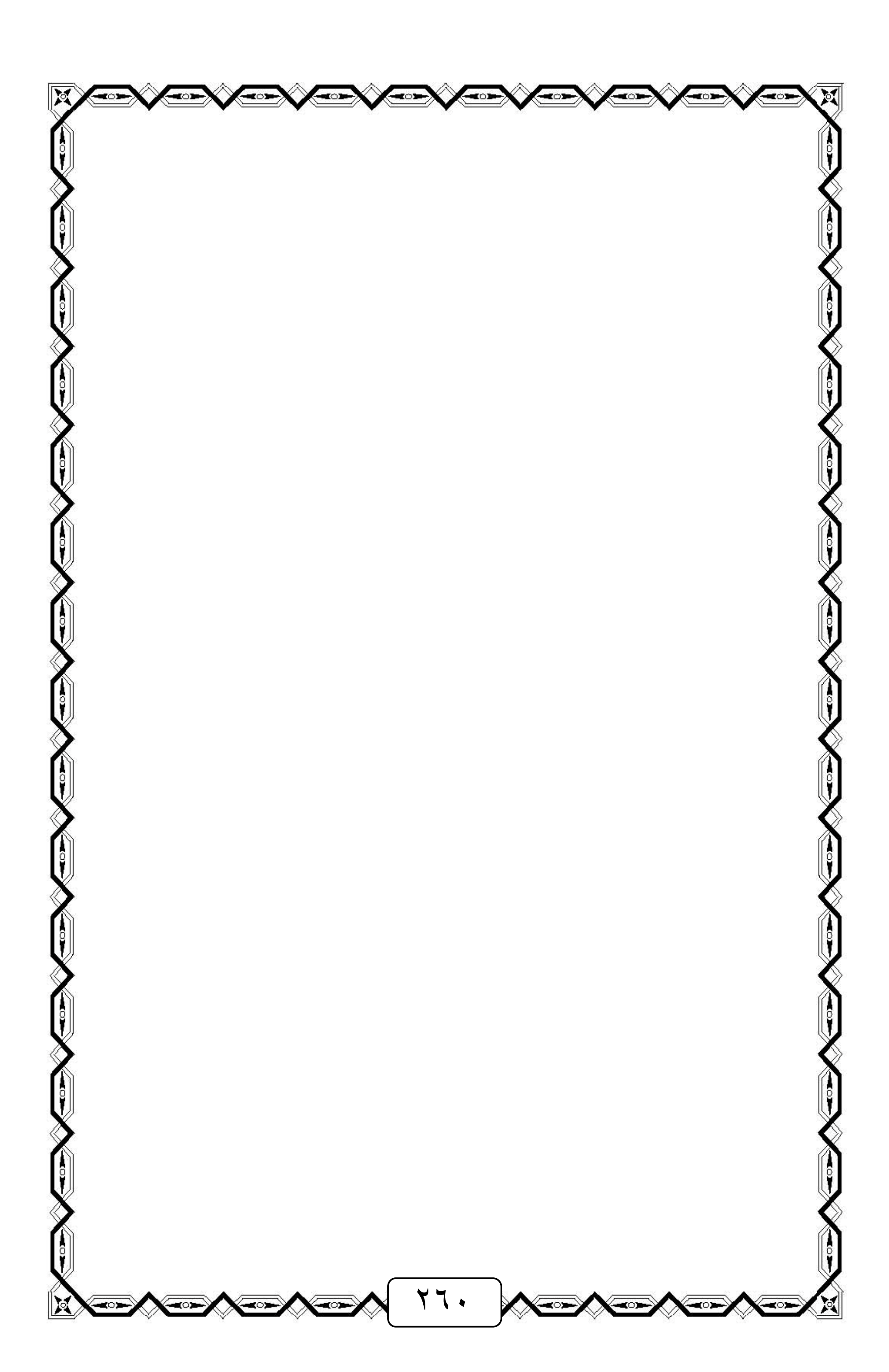
ومما أذكره من المواقف أثناء تنـويم أمـي -رحمهـا الله- هذا أن الاستشارية (د. ريم البنيان) قـررت إجـراء (الأشـعة المقطعية) لأمي -رحمها الله- ولعلمي بما سيصحب ذلك مـن انتقــال أمــي -رحمهــا الله- مــن غرفتهــا إلى مقــر الأشــعة، والكَلَفة التي ستصحب ذلك الانتقال، ولتخـوّفي مـن نتيجـة تلك الأشعة، لهذه الأسباب كلها أقنعت -بـصعوبة- أختـي الكريمـة (لولـو) أن تـذهب ظهـر ذلـك اليـوم إلى منزلهـا، وتتركني وحدي مع أمي -رحمها الله- وكنت أهدف من هـذا الإقناع إلى أمرين اثنين؛ أولهما: أن أُبعـد الغاليـة (لولـو) عـن مبــاشرة رؤيــة أمــي -رحمهــا الله- أثنــاء دخولهــا (الأشــعة المقطعية)، لما سيؤلم (لولو) ولا شك عند رؤيتها مزيد معانـاة أمي -رحمها الله- والأمر الثاني الذي أهدف إليه: أننـي أردت

أن آخذ راحتي دون حرج من أحد حتى من (لولو) عندما لا أتمالك نفسي من البكاء!

وقد تحقق الأمران معًا! فقد خرجت (لولو) لبيتها، وقالت: سأعود بعد ساعتين، وصحبتُ أمي -رحمها الله- في المستشفى، متنقلا بين ممراته، وأدواره، خارجًا من مصعد إلى آخر، متخطيا قسمًا إلى ما يليه، في مشهد صامت متحرك! صامت لهيبته، متحرك لتنقلاته، السرير عليه أمي -رحمها الله- وقد شُدَّت من وسطها على السرير، وجُعل الأكسجين في فمها -رحمها الله-والممرضان يتبعان الاستشارية (د. نوال البنيان) التي تتقدم السرير بخطوات متجهة إلى حيث مقر الأشعة، أنا متنقل بين أطراف السرير حيث أمي -رحمها الله- فتارة ألامس قدميها، وتارة أضع يدي على رأسها، وتارة أذهب يمين السرير وتارة يساره، لا أملك في تلك اللحظات السريعة إلا الدعاء المصحوب بوابل من البكاء! كنت لا أدري ما الذي سيستقبل أمي -رحمها الله- في هذه

الأشعة غير الاعتيادية؟ وما الآلام التـي ربـما ستـصاحبها -رحمها الله- أثناء الأشعة ، وبعدها؟ وصـلنا حيـث (الأشـعة المقطعية)، فأُدخلت أمي نورة -رحمها الله - إليها، ولم أخـرج من غرفة الأشعة إلا في اللحظة التي لم يأذن لي الأطباء بمزيـد البقاء داخل الغرفة، وعندئذ بقيت عند البـاب زادي الـدعاء وهجوم البكاء! إلى أن تمت الأشعة، وبعـدها عـدنا إلى غرفـة أمي -رحمها الله- وإذا بـ(لولو) في انتظارنا قائلة: مـا تحملـت البقاء أكثر خارج المشفى! فعدت لانتظاركم في غرفـة أمـي- رحمها الله-

وللحديث بقية إن شاء الله ...





٣١ ـ مواقف في الشهرين الأخيرين لأمي رحمها الله

كثيرة تلك المواقف التي تجلّت لنا في أثناء تنويم أمي نورة -رحمها الله- في المستشفى آخر شهرين من حياتها، إلا أنني سأذكر بعضها مما احتفظت به ذاكرتي.

فمنها ما كان في إحدى الليالي عندما زارت زوجتا أبي أم إسماعيل وأم ناصر -حفظه الله وحفظهما- أمي -رحمها الله- وهشّت بهما مع صعوبة حالتها آنذاك، وعند ذلك رأيت الدموع في عيني خالتي أم ناصر، أما خالتي أم إسماعيل فلم تتمالك نفسها من استمرار البكاء، تبكي بصمت، دون أن تتكلم بكلمة حتى خرجت من الزيارة،

وهي التي كانت إذا اجتمعت مع أمـي – رحمهـا الله – تـدمع عيناها من الـضحك وتبـادل الطرائـف، وتـذكّر أيـام مـرّت عليهما خلال سنوات العمر! الآن خـالتي أم إسـماعيل تنظـر إلى صاحبتها على السرير فتبكي دون كلام.

ومن المواقف العجيبة أن أقاربنـا الرجـال غـير المحـارم لأمي نورة –رحمها الله– كانوا يتعاهـدون أمـي –رحمهـا الله– بالزيـارة وإن كـانوا يكتفـون بـالوقوف خلـف الـستارة! ويرددون الدعاء، ويخرجون متأثرين بكـونهم يـرون (نـورة) التي طالما رحّبتْ بهم في منزلها، وديوانيتهـا، يرونهـا لا تكـاد ترد السلام عليهم!

أما نحن أولادها –رحمها الله– وخـالي صـالح –حفظـه الله– وأختها الصغرى خالتي ليلى – حفظها الله– فكنا معهـا كل يوم، محيطين بها طوال الوقت، وكل ما يمكن تقبيلـه مـن جسدها قبّلناه! فمن كان واقفًا عند رأسها قبَّل الرأس، ومـن

كان قريبًا من اليد قبَّل اليد، ومن كـان في آخـر الـسرير قبَّـل القدمين!

ومن المواقف العالقة في ذهني كثرة سؤال أمـي -رحمهـا الله- عن أخي (صالح أبي خالد)، فإذا تأخر عن زيارتها يومًـا سألتنا: "وين صالح؟ عسى ما صار له حادث؟ أكيد مـا فيـه شيء؟" وهكذا حتى يكون صالح عندنا مقبِّلا رأسها ويـديها فتطمئن ساعتئذٍ!

ومن الأمور التي باتت ديدنًا لنا آنذاك قراءة القرآن عنـد أمي -رحمها الله- في نية الاستشفاء، وهذا ما كانـت تقـوم بـه (لولـو) و(عـلي وصـالح وأنـا)؛ إلا أن (لولـو) و(عليّـا) - حفظهما الله- لا يُجاريان في ذلك، فقد كان كـل واحـد مـنهما يقرأ سورة البقرة كاملة يوميًّـا عنـد رأس أمـي -رحمهـا الله- دون أن يتركا القراءة يومًا واحدًا.

ومن الأمور التي شغلت بالَنا، وحيَّرت الأطبـاء (تنقـل المرض)، في أماكن متعددة من جسد أمي نـورة -رحمهـا الله-

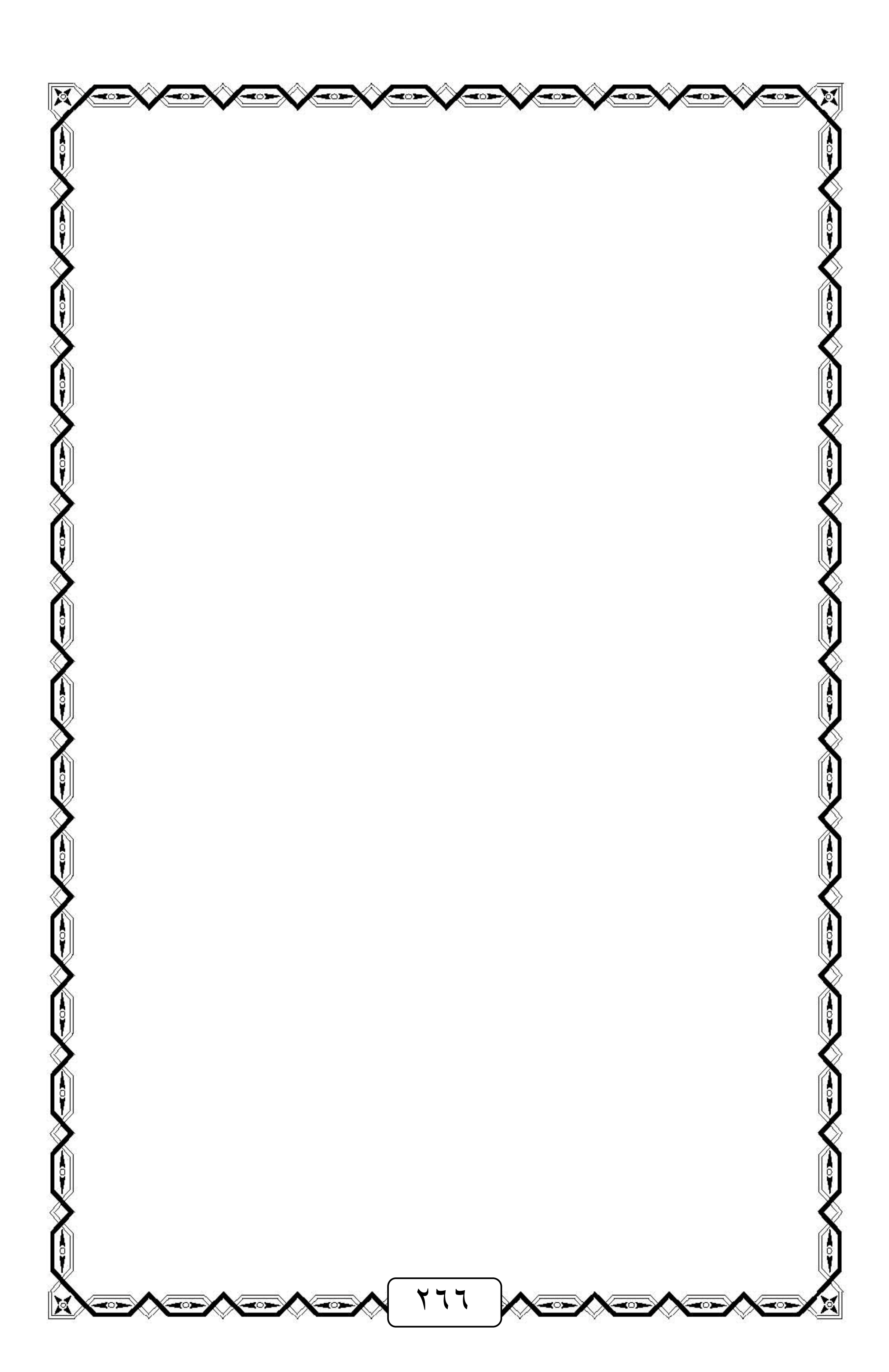
وهو الأمر الذي جعلنا نرى الفريق الطبي (د/ نوال بخش) والأطباء الذين معها، يجتمعون بشكل متكرر، وأحيانًا في مكان قريب من غرفة أمي -رحمها الله- وعلامات التعجب بادية عليهم، ومما يبدو من النقاش عدم وضوح الرؤية في السبب الفعلي لتنقل مرض أمي نورة -رحمها الله- حتى إن من الأمور المثيرة للدهشة أن الأطباء يكادون يكتبون (أمر خروج) لأمي نورة – رحمها الله – في يوم الأربعاء، ويكون هذا قرارهم مساء الثلاثاء، ثم يتفاجؤون بانتكاسة في حالة أمي -رحمها الله- يوم الأربعاء ! مما يضطرهم إلى إعادة النظر في (أمر الخروج) إلى مطلع الأسبوع الذي يليه! وهكذا تكرر هذا القرار (أمر الخروج، والتراجع عنه) عدة أسابيع!

حتى إذا كان يوم من الأيام جاءت الاستشارية (د/ نوال بخش) ورفعت يديها على هيئة المستسلم، وصارحت شقيقتي المكلومة الغالية(لولو) بقولها:" شوفي يا لولو أمّك حيَّرتالأطباء! ونحن يا أخت لولوة مجتمع مسلم! ولذلك

اتجهوا للرُّقية الشرعية! فما عدنا نعرف سبب مرضـها تحديـدًا !"

كان الله في عون (لولو)، يـا تـرى مـا وضـعها -رعاهـا الله- عند سماعها هذا الكلام؟ لله أخيتي ما أكثرَ دمعها ! ومـا أرقَّ قلبها ! وما أعظم ما تحمّلت!

وهكذا تتابعت الأسابيع حتى تردّت حالة أمي -رحمهـا الله- الصحية، مما حمل الأطباء إلى اتخاذ قرارهم الطبي بنقلهـا -رحمهـا الله- إلى العنايـة المركـزة ! وهـو مـا سأشـير إليـه في الحلقة القادمة إن شاء الله ...





٣٢ ـ أمي نورة ـ رحمها الله ـ في العناية المركزة

نُقلت أمي نورة -رحمها الله- إلى العناية المركزة، نظرًا لتردي وضعها الصحي، وهناك قرر الأطباء أن يجري لها (غسيل كلوي) ولم تكن جرّبت هذا الغسيل من قبلُ! وهو ما استدعى مزيدًا من الأجهزة في جسدها الذي أضناه المرض، وأعيته وخزات الإبر!

وفي العناية المركزة كنا نعاني بالغ الألم لشعورنا بالألم الذي ألمَّ بأمي -رحمها الله- ولذلك كنا نجتمع عندها ولا نملك لها إلا الدعاء والبكاء!

ومع عدم حرص إدارة المستشفى على الزيارات في العناية المركزة،إلا أن بعض القريبات الفضليات لم يستطعن

الصبر عن زيارة أمي -رحمها الله-فمنهن من كانت تزور بصمت ، الصمت الذي لا يظهره إلا بريق الدمع في عيوننا الذي يَشِي أنَّ كل واحد منا (الزائرات وأنا) لو تكلَّم لانفجر باكيًا!

ومن القريبات الزائرات من كانت تعدّهنّ أمي -رحمها الله- بناتٍ لها، فهي لهن بمثابة الأمّ ، وعندما رأينَ أمي - رحمها الله- في العناية في هذا الوضع، لا تكلمهن،ولا ترد عليهن سلامًا ولا جوابًا، تأثرن، وتحاملن على أنفسهن فخرجنَ، ولا زلت أذكر -وقد صحبت بعضهن في ممرات المشفى لإيصالهن إلى سيارتهن- مواساتهن لي، وحثهن إياي على التحلي بالصبر، وأن الأمر أزمة وستعدي إلى خير، يواسينني وهن -معي آنذاك - محتاجات إلى المواساة!

كما أذكر من المواقف في العناية المركّزة أن جسد أمي نورة -رحمها الله- قد امتلأ بالأجهزة؛ ما بين جهاز تنفس، وجهاز قياس ضغط، وثالث لدقات القلب، ورابع لفتحات

الغسيل الكلوي، وخامس، وآخر ...، حتى لم يكد يبقى من جسدها موضعٌ يخلو من جهاز إلا أسفل قدميها! وهنا كان الموقف المؤثر لنا جميعًا؛ حيث توجه خالي صالح (أبو عبد العزيز) شقيق أمي نورة الوحيد، ورفيق دربها -رحمها الله- توجّه إلى ذلك الموضع الخالي من الأجهزة، إلى حيث قدمي شقيقته نورة، ليقبِّل هاتين القدمين تحيةً منه لشقيقته التي ملأت أجهزة العناية المركزة باقي جسدها! وهذا ما كنا نفعله نحن أولاد أمي -رحمها الله- حيث نهوي متشرفين إلى قدميها لتقبيلهما!

وأمّا وقت إجراء (الغسيل الكلوي) لأمي -رحمها الله- فقد كان وقتا عصيبًا؛ لما نعلم من الإعياء والجهد المصاحبينِ للغسيل مع جسد المريض غير المنوَّم، فكيف هو والوضع مع جسد أمي -رحمها الله- الذي أخذ منه المرض مأخذًا بالغًا؟!

ولذلك فقد كنتُ وقتَ (الغسيل) أجلس في آخر العناية على كرسي يبعد عن أمي -رحمها الله- أمتارًا؛ لئلا

يمنعني أحد من الممرضين، وأركِّز النظر في سرير أمي -رحمها الله- باكيًا داعيًا، حتى ربما استمر بي الوضع على هذه الحال ساعة من الزمان تزيد أو تنقص، لا يقطعني عن الدعاء والبكاء إلا السلام على أحد زوار أمي -رحمها الله- ممن أغالب نفسي متجلدًا أمامهم!

مكثتْ أمي نورة -رحمها الله- في العناية المركزة ما مكثت، ثم بدت عليها بعض آثار العافية، وعلامات الشفاء؛ فقرر الأطباء خروجها من العناية وإرجاعها إلى جناح التنويم، وهو ما سأتحدث عنه في الحلقة القادمة إن شاء الله تعالى ...



٣٣ـ العافية التي سبقت الموت

بـدت عـلى أمـي نـورة -رحمهـا الله- آثـار العافيـة، وعلامات الشفاء، فأخرجهـا الأطبـاء مـن العنايـة المركـزة، وأعادوها إلى غرفة التنويم، وعند ذاك عاودت الوضـع شـبه الطبيعي، حيث كانت -رحمها الله- تتحـدث معنـا، وتعـرف زوارها، وربما أَنِست بهم ومازحتهم.

وأذكر من ممازحتها زوارهـا وممـازحتهم لهـا أن خـالتي جدة أولادي(أم علي) -حفظها الله- زارتهـا وتحـدثت معهـا (وكانت أمي -رحمها الله- تحب أحاديث خالتي (أم عـلي) -حفظها الله- وتطرب لطرائفها)، فقالـت أمـي -رحمهـا الله-

ممازحة خالتي: "سمعت أنكِ يا أمّ علي ناوية تتزوجين!
قالت أم علي: صحيح، ولا لقيت أحسن من أحمد سواقي الأندونيسي! وتراني يا أم غانم أجّلت زواجي حتى تخرجي من المستشفى وترقصي في الزواج !" وهنا لم أرَ أمي -رحمها الله- منذ دخلتْ المستشفى تضحك مثل ضحكها ذلك اليوم!

وأذكر أنها -رحمها الله- كانت تسأل عن (زينات) ممرضتها الخاصة التي وصلت من الفلبين آخر أيام أمي -رحمها الله- وتتلطف معها، وترفع معنوياتها قائلة: أنت حلوة يا زينات، شغلك زين! تقول ذلك مع أنها لم تجتمع معها إلا أيامًا قلائل!

عافية ما أحلاها ! فَرِحنا بها ولكن ! لم تلبث تلك العافية طويلا؛ إذْ تدهور الوضع بأمي -رحمها الله- خاصة فيما يتعلق بمنعها من تناول السوائل، بما في ذلك الماء! وهنا كنا نعاني مع أمي -رحمها الله- أشد الألم، حيث كنا بين

أمرين قاسيين،أقلُّهما مرارةً مرٌّ : إما أن نمنعها من الماء الذي كانت تطلبه بإلحاح؛ استجابة لأمر الأطباء، مع أنها كانت تنادينا قائلة: أعطوني الماء لا تذبحوني من العطش! وبين أن نعطيها الماء الذي كانت قطرات قليلة منه تسبب لها اجتماع سوائل تضر بها غاية الضرر!

فما كان منا إذا أَلَحّتْ -رحمها الله- علينا بطلب الماء إلا أن نسقيها بغطاء قارورة ماء الصحة! وما ذا عساه أن يغني عنها من العطش شيئًا؟! وربما اكتفينا -حسب توجيه الأطباء- بتبليل منديل بالماء وتمريره على شفتيها -رحمها الله- وما أصعب -والله- تلك اللحظات التي جعلتنا نحن الأصحّاء لا ننعم بالماء؛ لِمَا نرى من عدم قدرتنا على سقي أمنا -رحمها الله-ولو قليلا منه،مع طلبها الملحّ!

ومن المواقف التي لا أنساها ما بقيت أن أمي -رحمها الله- احتاجت لإخراج اللعاب من فمها ولم تكن تملك من القوة ما يمكنها من استخدام المنديل بنفسها، فتسابقت

(لولو) و(علي) إلى مباشرة ذلك بنفسيهما، كلٌّ منهما قام من كرسيه ممسكًا بالمنديل، مسرعًا إلى فم أمي -رحمها الله- ليريحها مما تريد إخراجه، وقد فاز بهذا السباق شقيقي الغالي (علي) إذ نال شرف مباشرة خدمة أمي -رحمها الله- بيديه! فشكر الله لأبي تركي، وشكر للولو.

ومما أذكر أن آخر اتصال هاتفي لأمي -رحمها الله- كان مع ابنة خالي (البندري أم بدر الشنيفي) حفظها الله، وذلك عندما قمتُ تنفيذا لرغبة أمي -رحمها الله- بطلبها في الهاتف، وإخبارها أن أمي -رحمها الله- تودُّ الحديث معها! فتحدثت معها وسألتها عن نفسها وزوجها ووالدتها وأولادها، ثم ودعتها! وأنهتْ المكالمة، وأخبرتني -رحمها الله- بعد المكالمة بعظيم حبها للبندري!

ومما لا أنساه آخر أيام أمي -رحمها الله- أننا كنا حول سريرها فقالت-رحمها الله- "خلّوهم يدخلون! لا يقفون بالباب"! قلنا: مَنْ يا أميمتي؟ قالت: "الرِّجال اللابسين

الثياب البيضاء! خلُّوهم يـدخلون"! وإلى لحظـة كتابـة هـذه الأسطر لا نعلـم مـاذا رأت؟ ولا مـن هـم الرجـال؟ ولكـن عسى أن تكون -رحمها الله- رأت خيرًا؛ من ملائكة الرحمـة، ومن منازلها عند ربها الكريم.

ومن العجائب أن الاستشارية (د. نـوال بخـش) قالـت لشقيقتي (لولو) وكانت معها خالتي (ليلى) : "يمكن نكتـب لأمك (أمر خـروج) يـوم الـسبت القـادم"، ثـم اسـتدركت قائلة: "هذا إذا ما طـرأ جديـد"! ولكـن الجديـد طـرأ! فقـد تردّت حالة أمي -رحمها الله- الصحية تردِّيًا واضـحًا خـلال ساعات!

وفي يوم الأربعاء ٣٠/ ٢/ ١٤٣٠هـ كان شقيقي (عـلي) مع أحد المشايخ الذين كانوا يأتون لرُقيـة أمـي -رحمهـا الله- وكان من عادة هذا الـشيخ -حفظـه الله- في أثنـاء قراءتـه أن يطلب من المريض أن يذكر الله وينطق بالـشهادة، فلـما طلـب الـشيخمن أمـي -رحمهـا الله- ذلـك وهـي في حالـة لم تكـن

تستطيع فيها النطق، أو على الأقل لم تكن تستطيع إسماعنا النطق، إلا أنها – كما يقول أخي علي –لما طلب الشيخ من أمي –رحمها الله –أن تتشهد أشارت بأصبعها السبابة مشيرة إلى قول (لا إله إلا الله)!

ومن أشدِّ ما مرَّ علينا آخر أيام أمي –رحمها الله– ما كان يأتيها من ضيق تنفس شديد يضطرّ الأطباء معه إلى استعمال جهاز كهربائي على ظهر أمي –رحمها الله– مما يقابل قلبها للإنعاش، فكانت كلُّ صعقة منه تهزّ جسدها هزة ينتفض معها الجسد كله، دون أن تنطق أمي –رحمها الله– بأية كلمة! مع الألم الذي يصاحب تلك الهزّات!

وأذكر أن ضيق النفس هذا عاودها يوم الجمعة ٢/ ٣/ ١٤٣٠هـ في حدود الساعة التاسعة مساءً؛ أي في آخر وقت الزيارة المسموح به، فأحضرت الممرضة الجهاز مباشرة، وقامت غاليتي شقيقتي (لولو) – حفظها الله – بإسناد صدر أمي –رحمها الله– إلى صدرها، لتقوم الممرضة

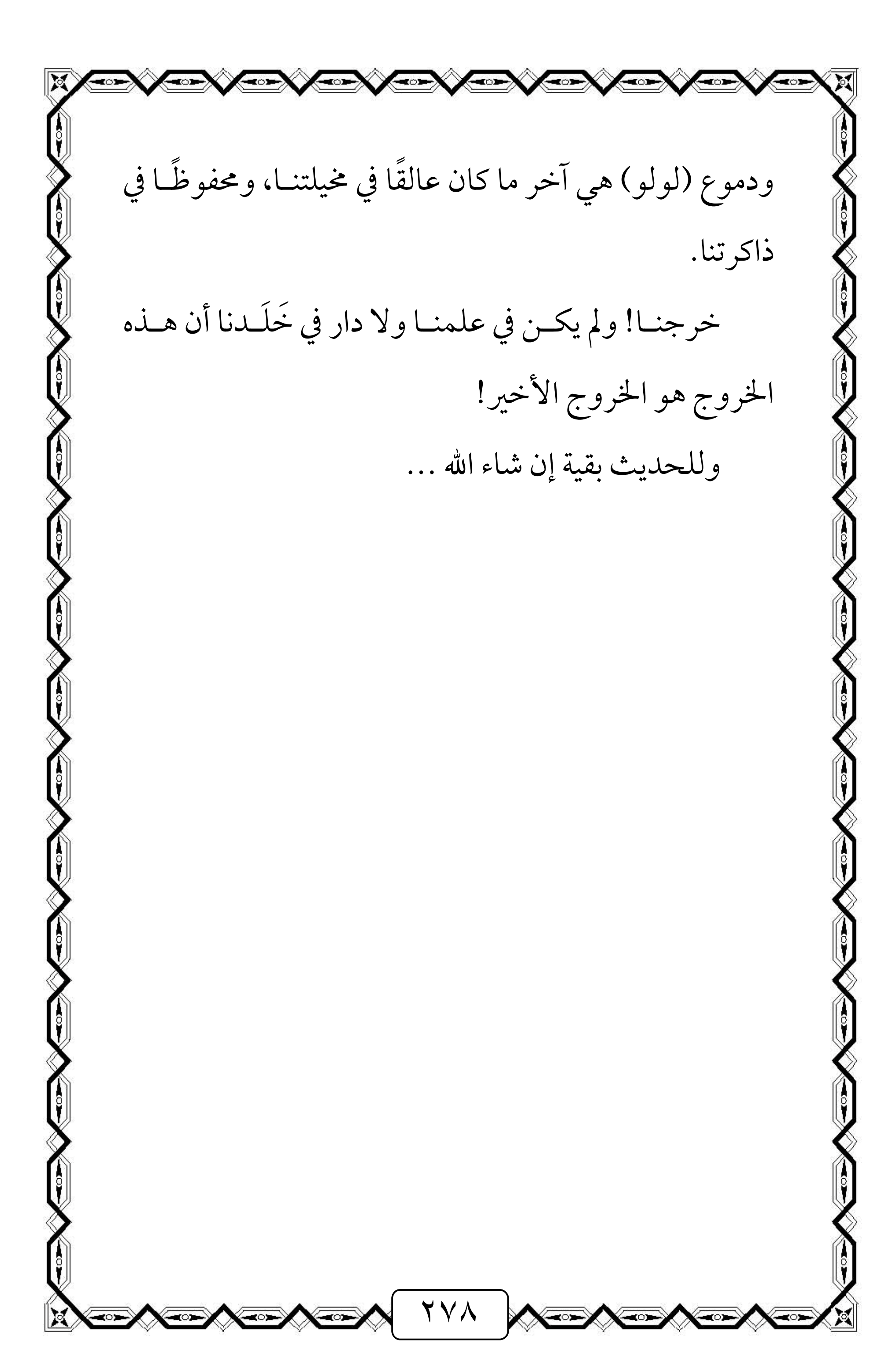
بالصعقات المتوالية على ظهر أمي -رحمها الله- وهنا كنا -نحن أبناء أمي رحمها الله- ننظر إلى وجه (لولو) وظهر أمي -رحمها الله- فكانت كل نفضة على جسد أمي -رحمها الله- تجعلها تنتفض انتفاضة لا تكاد (لولو) تمسكها، ولأننا في حالتنا تلك كنا نرى وجه (لولو) فنتألم لسببين:

أولهما: ما نرى من ألم أمي -رحمها الله- الألم الذي لا يكاد يُطاق!

والسبب الآخر: دموع (لولو) -حفظها الله- التي سالت على خديها؛ تألما لألم أمي -رحمها الله- ألم (لولو)، وصمتها، وجريان دمعها!

ألمٌ عايشناه لِمَا نراه من ضعف حالة أمي -رحمها الله- وقلة حيلتها!

خرجنا بعد زيارة مساء هذا اليوم الجمعة، خرجنا من عند أمي -رحمها الله- وما زالت صورة انتفاض جسدها،



ودموع (لولو) هي آخر ما كان عالقًا في مخيلتنـا، ومحفوظًـا في ذاكرتنا.

خرجنـا! ولم يكـن في علمنـا ولا دار في خَلَـدنا أن هـذه الخروج هو الخروج الأخير!

وللحديث بقية إن شاء الله ...



٣٤ـ إبراهيم ! ماما نورة خلاص

الساعة الثامنة، صباح يوم السبت ٣ / ٣ / ١٤٣٠هـ، اليوم الأول من الدراسة في الفصل الدراسي الثاني بعد إجازة منتصف العام، كنت في الحصة الثانية في المعهد العلمي في الدرعية ألقي درسي في مادة العروض والقافية، اتصلت (مارسيلا) خادمة أختي (لولو) الخادمة الملازمة لأمي نورة -رحمها الله- التي تبقى مع أمي في أثناء خروج (لولو) للبيت، اتصلت عليَّ متأثرة وأخبرتني أن حالة أمي -رحمها الله- صعبة، وأن عليَّ الحضور، فطمعتُ أنْ أكمل شيئًا من شرح درسي، ثم أستأذن إدارة المعهد للخروج،

ولكـن(مارسـيلا) عـاودت الاتـصال بعـد اتـصالها الأول بدقائق وصوتها يتقطع من البكاء، وتقول لي: إبراهيم احـضر بسرعة، تعال الآن للمستشفى، ماما نورة تعبانة تعبانة!

وعندئـذٍ ألقيـت أقـلام الـشرح مـن يـدي، واسـتأذنت طلابي طلاب الثالثة الثانويـة، وخرجـت مـسرعًا مـن قاعـة الدرس، وتوجّهت لغرفة المدير فلـم أجـده، فـدخلت غرفـة الوكيل ووقفت على بابـه دون أن أدخـل لأني في عجلـة مـن أمري، وقلت لـه: أنـا خـارج لأمـي في المشفى، دعـواتكم، وخرجت مباشرة، وتوجهت إلى مدينـة الملـك فهـد الطبيـة، وكان لساني طوال الطريق يلهج بهذا الدعاء الـذي لا أعـرف كيف جرى على لساني! كنت أردد: " اللهم إني أُعيذ أمـي أن يتخبطها الـشيطان عنـد المـوت"! لا أدري كيـف تجـرأت أن أقـول هـذا الـدعاء؟! كـل الطريـق وأنـا أبكـي وأردِّد هـذا الدعاء، وأظنني لم أزد عليه من الدعاء شيئًا إلا ما خالطه مـن الاستغفار.

وصلتُ المشفى، ووضعتُ سيارتي في المواقف القريبة التي لا يكاد يُسمح فيها بالوقوف إلا بإذن من مسؤول الحركة، فرأيت أحد منظمي السير في المشفى، وقلت له: وضع أمي حرِجٌ لا يحتمل أن أذهب بسيارتي إلى المواقف البعيدة، وفي نفسي أنه في حين لم يوافق فلا بأس أن يأخذوا سيارتي إلى حيث شاؤوا، أو أن يغرموني ما شاؤوا، فالوضع أكبر من أفكِّر ذلك الوقت في سيارتي، وماذا سيحصل لها؟

دخلت أحثُّ الخطى إلى حيث غرفة أمي وكانت غرفة مشتركة ذات ستة أسِرَّة، سريرها -رحمها الله- كان آخر الغرفة تحت النافذة على يمين الداخل، دخلت، تجاوزت الأسرّة حتى وصلتُ إلى سرير أمي -رحمها الله- وهناك كانت المصيبة! أمي -رحمها الله- ممددة على السرير دون حراك، وقد نُزعت منها كل الأجهزة التي كانت عليها ليلة البارحة؛ فلا جهاز أكسجين، ولا مقياس ضغط، ولا مدخل لإبر السُّكر، ولا غيرها.ليس هناك إلا أمي -رحمها الله-

دون أجهـزة، و(مارسـيلا) واقفـة عنـد رأس أمـي، معهـا المرضـة الخاصـة الجديـدة (زينـات) تبكيـان، فلـما رأتنـي (مارسـيلا) لم تـزدْ عـلى قولهـا: "مامـا نـورة خـلاص"، واستمرت في البكاء!

عند ذلـك لم أصـدِّق الخـبر المشاهد أمـامي! لم أصـدِّق عينيَّ! فأهويت إلى جسد أمي الطاهر الممدَّد أمـامي أتحسّس نَفَسها! وضعتُ أذني على صدرها! ألامس قلبها الـذي طالما نبض بالحبّ! مـا بالـه اليـوم لا ينـبض؟! أقـارب أذني أكثـر وأكثـر، حتـى إذا اسـتيقنت الخـبر ألهمنـي الله -بفـضل منـه تعالى- الاسترجاع فاسترجعت بصوت لا يكاد يُبـين" إنّـا لله وإنّا إليه راجعون"، ثم انكببتُ مرة أخـرى عـلى جـسد أمّـي أقبِّلها وأدعو! قبَّلتُ جبينها، قبَّلـتُ خـديها، قبَّلـتُ نحرهـا، قبَّلتُ يديها كلتيهما، قبَّلتُ قدميها، وأنا في أثناء التقبيـل أكـرر دعوتين لا أدري لماذا لمْ يجرِ على لساني حينها غيرهما: "اللهـم اغفر لأميمتي" ، " اللهم صبِّرْ أخيَّتي "! كررتهما مـا شـاء الله

أنْ أكررهما، بقيت على هذه الحالة بين تقبيل الجسد الطاهر، وبين هاتين الدعوتين، حتى إني لأسمع بكاء المرأة المريضة الأخرى في السرير المجاور لأمي -رحمها الله- أسمعها من خلف الستارة ، تبكي وتدعو وتسترجع!

وما هي إلا دقائق إلا وإذا بشقيقتي الغالية المكلومة المصابة (لولو) تدخل علينا، ولم تكشف نقابها عن وجهها، دخلت باكية بإيمان، مصابة باحتساب، دخلت (لولو)، وتوجهت إلى حيث جسد أمي -رحمها الله- فانكبتْ على أمي تقبلها وتبكي، ومكثت مدة لم ترفع رأسها عن جسد أمي -رحمها الله- ذرفتْ على جسدها ما شاء الله أن تذرف من دموع الفراق! وأنا أنظر إلى أغلى امرأتين في حياتي أمي - رحمها الله- وشقيقتي الوحيدة -حفظها الله- أنظر وأبكي، ولم أتدخل في تهدئة (لولو)، تاركًا إياها لتأخذ راحتها في البكاء والدعاء، والتقبيل والتوديع!

ثم رفعتْ (لولو) رأسها عن جسد أمي -رحمها الله- والتفتْ إليَّ فعانقتني وعانقتها (ولم يكن من عادتنا في السلام على بعض طوال حياتنا إلا المصافحة) تعانقنا، وقالت بصوت يتقطع من البكاء: خلاص يا إبراهيم ؟! يعني ماتت أمي؟! فاسترجعنا وواصلنا الدعاء.

وعند ذلك أتت ممرضات المشفى فأخرجنَ أمي -رحمها الله- من الغرفة المشتركة إلى غرفة خالية ليس فيها مريضات أخريات، وهناك لَحِق بنا شقيقانا (علي وصالح) وتحلقنا جميعًا (لولو، وعلي، وصالح، وأنا) حول أمي -رحمها الله- جمعتنا بعد موتها، كما كانت تجمعنا طوال حياتها! وهنا أذكر أن شقيقي الأصغر(صالحا) قد اقترب غاية الاقتراب من جسد أمي -رحمها الله- ووضع رأسه عند رأسها كأنه يُسارُّها بحديث! يبكي بصمت! وكلنا يدعو ويبكي!

وقد أنزل الله -بفضله ومنته- العزاء والثبات والصبر علينا جميعًا، حتى إنّ (لولو) وهي التي كنا نخشى عليها من

هذه الساعة، صارت أشدَّنا ثباتًا، قامتْ في هذه الغرفـة التـي لـيس فيهـا إلا جـسد أمـي -رحمهـا الله- وأولادهـا (لولـو، وعلي، وصـالح، وإبـراهيم) قامـت (لولـو) وتوضـأتْ، ثـم قالـت لنـا: صـلُّوا الـضحى، وأردفـتْ توجيههـا بقولهـا: {واستعينوا بالـصبر والـصلاة} ! سـبحانك يـا الله! (لولـو) تحثنا على الصبر! تحثنـا نحـن الـذين كنـا نخـاف عليهـا مـن الانهيار!

وفي هــذه اللحظـات أوكــل أشـقائي (لولــو، وعــلي وصالح) إليَّ إخبـار والـدي -حفظـه الله- بنبـأ وفـاة رفيقـة عمره أمي -رحمها الله- فاستجمعتُ نفـسي، وابتعـدتُ عـن إخوتي في ممرٍّ جانبيٍّ لأنفرد بنفـسي في أثنـاء إخبـار والـدي -حفظه الله- وعند ذلك حاولتُإعطـاء نفـسي الفرصـة؛ لإنهـاء موجة البكاء قبل المكالمة، حتـى لا يفجـأني البكـاء، فيمنعنـي من مواصلة المكالمة، وبعد ذلك كلّه اتـصلت عـلى والـدي -حفظه الله- وسلَّمتُ عليه، ثم تحاملـتُ عـلى نفـسي وقلـت:

"الحمد لله ! يبه أمّي تطلبك الحلّ " ! لكنني لم أسمع من والدي -حفظه الله- جوابًا ! إلا قوله :"آمنتُ بالله"! فقد سقط الجوال من يده، وانقطعت المكالمة! ثم اتصل بي -حفظه الله- يدعو باكيا، معزِّيًا معزَّيًا! وعند ذلك استأذناه في وقت الصلاة على أمي -رحمها الله- هل يرغب أن يكون الظهر؟ أم العصر؟ فقال -حفظه الله- العصر أوسع حتى نخبر من نستطيع إخباره، ليحضر الصلاة!

ثم جاءت ممرضة لم نرها من قبل واستأذنتنا في تهيئة أمي -رحمها الله- للانتقال إلى ثلاجة الموتى، وفعلا فقد ألبسوا أمي -رحمها الله- لباسًا خاصًا بثلاجة الموتى، أحداث مرَّت سريعة، وكأننا في حلم متتابع المشاهد، سريع الإيقاع.

كنا قد تأخرنا قليلا في نقل أمي -رحمها الله- إلى الثلاجة؛ انتظارًا لشقيقي الأكبر (غانم) الذي تأخر في الوصول؛ لأمور خارجة عن يده، إذْ حضر بعد دخولها الثلاجة!

أما في أثناء نقل أمي -رحمها الله- إلى الثلاجة فقد أحطنا بها (لولو، وعلي، وصالح، وأنا) كنا نمشي مع السرير، وندخل معها -رحمها الله- في المصعد، ونسير معها في الممرات، وكنا قد أوصينا ابنَ (لولو) الأكبر(عبد الله المسند) -حفظه الله- أن يمسك بيد أمه المكلومة أثناء تنقلها معنا في الطريق إلى الثلاجة، حتى كانت (لولو) تسير معنا تتهادى بين يدي ابنها (عبد الله).

وعند وصولنا مقر الثلاجة في الأسفل وصل صِهر أمي -رحمها الله- الذي كانت تعده خامس أبنائها (علي المسند) زوج شقيقتي (لولو) - حفظه الله -كما كانت خالتي أخت أمي -رحمها الله- (ليلى) قد وصلت بصحبة زوجها(أحمد الثنيان) -حفظهما الله- كما حضرت زوجتي (أم عبد الله)، فكنا جميعًا في الانتظار الخاص بالثلاجة، وبعد إجراءات نظامية، طلبوا منا أن يخرجوا بأمي -رحمها الله- في سيارة الإسعاف إلى جامع الراجحي، ليتم الغسيل والصلاة على

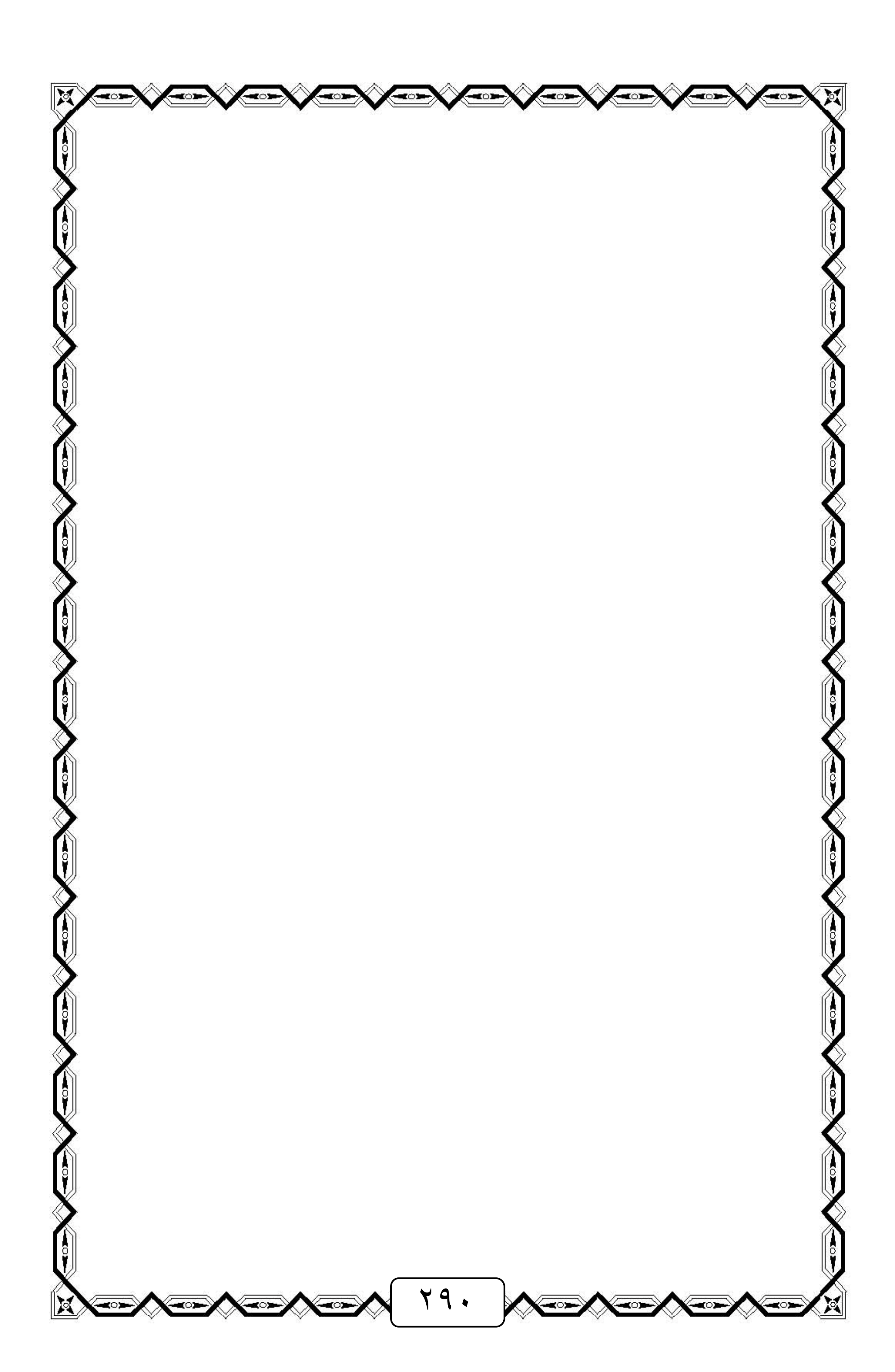
أمي رحمها الله، وهنا تولى شقيقي الأكبر (غانم) -الذي وصل ونحن في مقر الثلاجة- إجراءات الخروج.

خرجتُ من مدينة الملك فهد الطبية في حدود الساعة الحادية عشرة ضحى، متوجهًا إلى البيت لأرى والدي -حفظه الله تعالى- وعندما ركبتُ سيارتي لم يخطر في بالي أحدٌ أتصل به إلا صديق أمي -رحمها الله- وصديق الأسرة كلها، صاحب الفضل علينا -بعد الله تعالى- صاحب الفضل والفضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن التويجري -حفظه الله- الذي سلمت عليه، ثم بصعوبة بالغة قلت له: الوالدة تطلبك الحل يا شيخ عبد الله، وللمرة الوحيدة في حياتي يسألني الشيخ: من أنت؟ لم يسبق ولم يحصل فيما بعد أن الشيخ – حفظه الله – لا يعرف صوتي! فقد كان منذ أن يسمع تسليمي عليه، يقول : الشيخ إبراهيم؟ لكنه هذه المرة لم يعرف صوت إبراهيم! مع حرصي على ألا يخالط صوتي بكاء! غير أن البكاء غلب على النفس وخالط الصوت! دعا

الشيخ -حفظه الله- لأمي نورة -رحمها الله- وتأثر ولأول مرة أسمع بكاء الشيخ عبد الله إذْ امتزجتْ عباراتُه بعبَرَاتِه!

توجهت إلى البيت وفي الطريق الدائري رجعتْ عليَّ سيارة بخطأ بيِّن من صاحب السيارة فاحتكت بجانب سيارتي، وأثّرتْ فيها، فأشرتُ إليه أني سامحتُه، ولم أزد على ذلك، ولم أنزل من سيارتي لأرى مدى الأثر الذي أصابها؛ فالأمرُ ليس خدشًا في جانب سيارة، الأمرُ فقدُ أمٍّ!

وللحديث بقية إن شاء الله...





٣٥ـ نقاءٌ باتَ يغسله نقاءُ

دخلتُ بيت أمي -رحمها الله- بعد صلاة الظهر مباشرة، وهناك كان والدي -حفظه الله- وإخوتي(غانم، وعلي، وصالح) وابناي (فارس، وعبد المجيد) -حفظ الله الجميع- كلنا في بيت أمي -رحمها الله- في أول ظهر لا تكون فيه أمي على قيد الحياة! كان والدي -حفظه الله- قد طلب لنا غداءً لنجتمع، ولم يشأ أن يتركنا ويذهب إلى حيث غداؤه المعتاد في بيته الآخر، جلس والدي معنا مؤانسًا وكأنه يريد أن يشبعنا حنانا في أول ظهيرة بعد أمي - رحمها الله - جلسنا

ولا أدري كيف جلسنا؟ كيف مضي الوقت من الظهر إلى ما قبل العصر؟ مضى كأنه يوم كامل أو يزيد!

وفي تلك اللحظات البطيئة الثقيلة نزلت إلينا زوجة شقيقي صالح(أم خالد) التي تسكن مع أمي -رحمها الله- في بيتها فسلمت على الجميع والدي ونحن، ولما نطقت " أحسن الله عزاءكم " أجهشت بالبكاء ولم تكمل عبارتها! كيف تعزِّي بصاحبة الدار؟ كيف تعزِّي بضياء المنزل؟ كيف تقول: لن تعود أمي نورة -رحمها الله- إلى منزلها مرة أخرى؟ كيف وهي تعزِّي في التي كانت بمثابة أمها حنانا وعطفًا ورعاية، كيف وهي تعزِّي فيمن كانت تعاملها طوال عيشهما معًا بكل احترام وتقدير؟

منتصف الظهيرةكنا في جامع الراجحي حيث كانت أمي -رحمها الله- على سرير التغسيل! كانت أمي في مغسلة الأموات بين يدي شقيقتي الغالية المكلومة (لولو) التي باشرت تغسيل أمها! تغسيل أمها التي صحِبَتْها طوال العمر

سفرًا وحضرًا، أمها التي صحِبَت (اللولو) طفلةً وفتاةً وشابةً وعروسًا وأمًّا، صحِبَتْها يوم كانت توقظها للمدرسة، ويوم صارت تعدُّ لها أسباب الراحة في سهرها لدراستها الجامعية، صحِبَتْها أيام خطبتها، ويوم زفافها، صحِبَتْها في فرحتها بأول فرحتها بكرها (عبد الله) وبباقي ذريتها، صحِبَتْها صحبةَ الأخت أختَها! وهاهما الصاحبتان البنت وأمها في الظهيرة للمرة الأخيرة في هذه الدنيا تصطحبان! تصحب (لولو) أمي نورة -رحمها الله- ولكن دون حِراك! تصحبها (لولو) وقد خالط ماءَ الغسيل دمعُها! تصحبها صحبة خاصة؛ فإحداهما جسد دون روح! تصحبها صحبة صامتة!

سبحان من أنزل السكينة على (لولو) المكلومة حتى استطاعت أن تباشر غسيل أغلى الناس لديها أمنا نورة -رحمها الله- وهنا أتساءل كيف استطاعت (لولو) الهشّة الضعيفة تقليب أمي -رحمها الله- على جنبيها للوضوء

والغسيل؟! كيف استطاعت (لولو) إدراج أمي -رحمها الله- في الأكفان؟ كيف تمكنت من تطييبها بالسدر والكافور؟ كيف باشرت بنفسها وضع المسك على المسك؟!

حُمِلْتِ إلى المغسِّلِ يا حياتي فلولا الشّرعُ ما غُسِلَ الصّفاءُ!
و(لؤلؤةٌ) تُغَسِّلُها بِرِفقٍ نقاءٌ باتَ يَغْسِلُهُ نقاءُ!

وقد شاركت زوجتي (أم عبد الله) -بفضل الله- شقيقتي الغالية (لولو) في غسيل أمي -رحمها الله- شاركت في الغسيل وقد كانت أمي -رحمها الله- تعدُّ زوجتي بنتًا لها! فقد كانت زوجتي تلجأ -بعد الله- إلى أمي -رحمها الله- في حل مشكلاتها، وتفريج همومها! تشاركها لأن أمي نورة -رحمها الله- أمٌ لها تتحفها بالمحبة والتقدير والمدح والثناء! كانت أمي -رحمها الله- أمًّا لزوجتي التي كانت مفتقرة إلى حنان الأم بعد موت أمها -رحمها الله- قبل سنين من معرفتها بأمي رحمها الله.

لما انتهت (لولو) ومن معها من إدراج أمي -رحمها الله- في الكفـن انتقلنـا مـع والـدي -حفظـه الله- إلى المغـسلة في جامع الراجحي، ودخلنا إلى حيـث الطُهـر المـسجّى! دخلنـا وقد امتلأت المغسلة بمحبات أمي نـورة -رحمهـا الله- مـن أخواتي (غير الـشقيقات) وزوجـات أولادهـا -رحمهـا الله- حتى إذا حضر والدي -حفظه الله- وكان قد ضعُف بـصرُه، اقترب من جسد أمـي -رحمهـا الله-فـتلمّس رأسـها وقبَّلهـا بدمعٍ ودعاء! ولم يتكلمْ مع أحدٍ! ولم يزد عـلى توديـع أمـي - رحمها الله- بهذا المنظر المهيب.

ثم حضر خالي صالح شـقيق أمـي -رحمهـا الله- الـذي طالما عاش معهـا الحلـوة والمـرّة ! دخـل فتوجَّـه إلى وجههـا المشعّ من الكفـن، فقبَّلهـا متماسـكًا إلا أنـه قـد غلبـه البكـاء بصوت رفيع مما جعله ينـسحب مبـاشرة مـن المكـان دون أن يلوي على أحدٍ!

أذكر أنني في أثناء هذه المناظر من التوديع كنتُ أتحسس جسد أمي -رحمها الله- من خلف الأكفان، وأمرر يدي على كامل جسدها، ملامسًا ومقبِّلا دون أن أحدِّث أحدًا أو يحدِّثني أحد! وكأنني أرجو أن أحظى بجزء متحرك من جسد أمي -رحمها الله-! ولما انتهينا جميعًا من السلام على أمي -رحمها الله- خرجنا من المغسلة لتباشر (لولو) تغطية وجه أمي -رحمها الله- حتى تتم عملية التكفين، لنذهب بالجسد الطاهر من المغسلة إلى مقرِّ الصلاة.

بعد ذهابنا بأمي -رحمها الله- إلى مقدمة المصلين في المكان المخصص للأموات اتصلت بي ابنة خالي(البندري) -حفظها الله- وسألتني قائلة: إبراهيم أنا في الجامع الآن؟ كيف أصل إلى المغسلة للسلام على عمتي؟ فاعتذرت منها بأن أمي -رحمها الله- الآن خارج المغسلة، وأنها في الجامع مما يصعب معه دخول (البندري) إلى حيث مكان الرجال! ويا للمفارقات العجيبة كانت أمي -رحمها الله- قد أجرت آخر

اتصال هاتفي في حياتها بـ(البندري)، وها هي البندري تجري الاتصال ولكن دون أن تتمكن من اللقاء حتى بجسد أمي رحمها الله.

انتظرنا صلاة العصر لنصلي على أمي -رحمها الله- انتظرنا وقد توافد الناس للصلاة قبل الأذان! وكان بعض المعزين يتوجهون قبل الصلاة إلى والدي وخالي صالح -حفظهما الله- ومن معهما من إخوتي في الصف الأول للعزاء، حتى إذا أقيمت الصلاة صلينا الفريضة صلاة لم يقف فيه ذرف الدموع، فلما فرغ إمام الجامع د.حمزة الطيار من صلاة العصر نادى بالمصلين: الصلاة على الأموات، الصلاةعلى ثلاثة رجال وامرأة ! ولا أظن الإمام يعلم ما وقْعُ كلمة (امرأة) علينا تلك اللحظات التي بدأ فيها العدُّ التنازلي لبقاء تلك هذه (المرأة) على ظهر الأرض!

كبَّرنا على أمي -رحمها الله- أربع تكبيرات، ويا لتلك الكلمات التي ختمنا بها صلاتنا: " اللهم اغفر لها وارحمها،

وعافها واعف عنها، وأكرم نزلها، ووسع مدخلها، واغسلها بالماء والثلج والبرَد، اللهم نقها من الذنوب والخطايا كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنَس، اللهم قابلها بإحسانها إحسانا وبسيئاتها عفوا منك وغفرانا، ... اللهم لا تحرمنا أجرها، ولا تفتنا بعدها ..."، وإذا بالإمام يقول: السلام عليكم ورحمة الله، معلنًا آخر لحظات أمي -رحمها الله- في الجامع! لنتسابق -نحن أولادها ومن معنا من محبيها- إلى حمل النعش، متوجهين به إلى سيارة أخي غانم.

وهو ما سأتحدث عنه في الحلقة القادمة إن شاء الله...



٣٦ ـ من المسجد إلى المقبرة، الطريق الذي تمنيت أن يطول

خرجنا من باب الجنائز؛ الباب الغربي لجامع الراجحي حاملينَ على أكتافنا أمي نورة -رحمها الله- حاملين على أكتافنا أمي التي طالما حملتنا! حملتنا في بطنها، حملتنا في حجرها، حملتنا على كتفها، حملتنا بين يديها، حملتنا وحملت همومنا وآلامنا! حملت مشكلاتنا أطفالا، وشبابا، وأزواجا، وآباءً! حملنا أمّنا وهي الحمّالة! توجهنا بها -رحمها الله- إلى سيارة شقيقي (غانم) الذي آثر أن تكون معه في سيارته في آخر مشوار لأمي نورة -رحمها الله- تركب فيه سيارة في حياتنا الفانية!

ومن الموافقات العجيبة أن أول سيارة تركبها أمي -رحمها الله- لأحد أولادهاكانت سيارة ابنها الكبر شقيقي(غانم)! عندما ركبتْ مغتبطة أن ابنها الأكبر قد بلغ مبلغ الرجال وصار معه سيارة!كان ذلك قبل نحو من ثلاثين عامًا من ركوب أمي -رحمها الله- الأخير مع (غانم)!ويالله كم بين الموضعين من فرق!

والحمد لله أن أتم الله لأمي نورة أمي -رحمها الله- النعمة بأن يكون أولادها هم خدامها، طوال حياتها، حتى إنهم لم يضطروها إلى سائق! حتى في آخر مشوار لها في هذه الدنيا؛ مشوار (الجامع – المقبرة)!

مما أذكره ذلك اليوم أن أخي الفاضل (د.خالد العيد) لَحِق بنا خارج المسجد ليسلِّم علينا معزِّيا،ولا زلت أُكبر له خروجه حافي القدمين ،ووقوفه عند باب سيارة أخي (غانم) مسلِّما معزِّيا، ومكث حتى ركبنا السيارة، شكر الله له مواساته!

ركبنا مع أمي نورة أمي -رحمها الله- في السيارة، والدي -حفظه الله- في الأمام بجوار شقيقي (غانم) قائد السيارة، وخالي صالح (أبو عبدالعزيز) خلف والدي -حفظهما الله- وأما شقيقي (علي) ومحمد المانع ابن خالي صالح، وأنافكنا في المرتبة الخلفية ملاصقين نعش أمي نورة -رحمها الله- تماما،وكنا طوال الطريق أخي(علي) وأنا لم نكفَّ عن تقبيل جسد أمي -رحمها الله- تقبيل ما أمكننا تقبيله من يديها، وقدميها،تقبيلا يشفي نفوسنا وإن كان بيننا وبينها -رحمها الله- الأكفان والغطاء الذي يعلو النعش!

كان المدخل إلى الحي الذي فيه منزل أمي -رحمها الله- يقع على الطريق بين جامع الراجحي والمقبرة، ولما مررنا به ذهب ذهني كل مذهب، وحلَّق بي الخيال، وعادت بي الذكريات سنين عددا، تذكرتُ كم مرة كانت أمي -رحمها الله- تشرفني في سيارتي ونحن ذاهبون أو راجعون من هذه الطريق نفسها!

كم مرة تشرفت بـأمي -رحمهـا الله- آخـر المـساء وهـي تحكي لي في السيارة أخبار زيارتها لزوجة أبيها خـالتي (منـيرة البليهد) التي كانت تحب زيارتها، وتأنس بها!

كم مرة عدنا من بيـت (لولـو) أمـي -رحمهـا الله- وأنـا نتجاذب الحديث في هذه الطريق، وقد شارفنا عـلى الوصـول إلى المنزل.

كم مرة مررنا بهذه الطريق ذاتها عائدين من جلـسة محبـة وود في بيت خالي صـالح -حفظـه الله- وقـد أهـدى أمـي -رحمها الله- بعض الخضروات والورقيات الجاهزة كعادتـه في انتقاء الجميل لشقيقته!

عادت بي الذاكرة في هذه النقطـة مـن الطريـق إلى مـساء العيد الذي كنت أخرج فيه مع أمي -رحمها الله- للاسـتمتاع بالألعاب النارية!

عادت بي الذاكرة وقد مررنا من مدخل الحي إلى ما قبـل شـهرين تمامًـا عنـدما ركبنـا في الـسيارة أمـي -رحمهـا الله-

وخادمتها وأنا متوجهين إلى مدينة الملك فهد الطبية، وهي تقول لي : تراى هذه يا وليدي آخر مرة أروح للمستشفى!

وهكذا كنت في مشوارنا للمقبرة بين شريط ذكريات، ودموع، ودعاء، ووابل من القُبُلات!

من يعرف طبيعة أخي (غانم) –حفظه الله- يعلم أنه هادئ في أموره كلها؛ بما في ذلك قيادته للسيارةالتي لا يجاوز فيها سرعة ٧٠ – ٨٠ في السفر ولا داخل المدينة إلا ما ندر! وهذا الأمر كان يضايقني ويضايق غالب من يصحبونه في مشاويره ! إلا أنني في طريقنا للمقبرة مع (غانم) المتأني كنت مرتاحًا جدًا لهدوئه في السير، الهدوء الذي من شأنه أن يطيل مدة ملاصقتنا لجسد أمي –رحمها الله- الممدَّد أمامنا ! لأول مرة أحمدُ لأخي (غانم) هدوءه في السير!

ومن الأمور التي كنت أغالط نفسي فيها في طريقنا للمقبرة: أنني كنت أصوب نظري لجسد أمي –رحمها الله- كاملا من رأسها إلى أسفل قدميها، وأضع يدي على صدرها

وباقي جسده، قائلا في نفسي -وأستغفر الله- : " ما ذا لو تتنفس أمي الآن ؟!ماذا لو كانت في غيبوبة ، وليست وفاة؟!" حديث نفسٍ مكلومة! حديث نفسٍ مصابة بمصيبة الموت! موت مَنْ ؟! موت حياتي!

دخلنا باب المقبرة...

وهو الموضوع الذي سيكون الحديث عنه في الحلقة القادمة إن شاء الله ...



راكان المسند ابن شقيقتي لولو حفظهما الله عند قبر أمي رحمها الله

٣٧ ـ على شفير القبر

عصر السبت ٣ / ٣ / ١٤٣٠هـ دخلنا المقبرة، أمي - رحمها الله- مسجاة في السيارة حولها شقيقي علي، ومحمد المانع ابن خالي صالح وأنا، أما والدي وخالي صالح - حفظهما الله- فهما في المقاعد الأمامية، وشقيقي غانم -حفظه الله- يقود السيارة بهدوء وروية كعادته في السير، وقد أضيف إلى هدوئه المعتاد اليوم رهبة الموقف، وخصوصية

المكـان، وعظـيم الخطـب! النـاس قـد تجمهـروا في المقـبرة إذسبقونا ، ينتظـرون وصـول الجنـازة! جنـازة أمـي نـورة -رحمها الله- منهم من صلى عليها في الجامع وسبقنا إلى المقـبرة، ومنهم من كان ينتظر الصلاة في المقبرة على الجثمان الطاهر!

لا زلت أذكر في لحظة دخولنا المقبرة ووصولنا قريبا مـن القبور شخصين -لا أدري لماذا عَلِقا وحـدهما في ذهنـي دون غيرهما- كانا ينظمان السير، ويهيئان الطريق للسيارة لتقـترب من القبر! أحدهما قريبنا الفاضـل (أحمـد الحبيِّـب)، والآخـر صديقي الغالي (محمود القويحص)، وإن كان الحـضور كثـيرًا، لكن لا أدري لماذا علق في ذهنـي مـرأى هـذين الفاضـلين -فقط- وهما يرتبان للسيارة الدخول بين جموع المشيِّعين!

هـبَّ المـشيِّعون لإنـزال نعـش أمـي -رحمهـا الله- مـن السيارة، وسرعان ما اصطفت الصفوف للصلاة عليهـا قبـل دفنها -رحمها الله- ثم توجهوا بها إلى القـبر! وهنـا اسـتأذنت والدي –حفظه الله- أن أترك ملازمتـه قلـيلا، لأننـي بحمـد

الله وفضله عليَّ قد اعتدت ملازمته في ذهابه ومجيئه، فاستأذنته أن ألازم القبر، ولو ابتعدتُ عن ملازمته –حفظه الله– في هذه اللحظات فأذِن لي، قائلا : خذ راحتك يا وليدي ، الله يعينك!

وهناك نزل في القبر شقيقاي الفاضلان(غانم وعلي) –حفظهما الله– ومعهما رجل متطوع –لا أعرف اسمه– ممن اعتاد تقديم النفع للآخرين في مثل هذه المواقف جزاه الله كل خير.

أُنزِلت أمي نورة –رحمها الله– في قبرها على مرأى منّي ! ولم أملك –ساعتئذ– إلا ملامسة جسدها الطاهر بيديَّ وهو يُسجَّى في اللحد! وكأني أودِّعها بآخر لمسة قبل الحشر! أودِّعها مردِّدا مع الجموع المشيِّعة: "بسم الله، وعلى ملة رسول الله" ! اللهم صلِّ على رسول الله وسلِّم.

جلستُ على شفير القبر من جهة رأسها مستقبلا وجه أمي –رحمها الله– جلستُ أرقبُ حالة الدفن، شقيقاي غانم

وعلي والرجل الفاضل يتناولون اللبناتِ من الرجال المشاركين في الدّفن :"هات لَبنةً، خذ هذه، أعطنا أكبر منها، اخلط معها الطين"، كلمات أسمعها ولا أميِّز من الذي يقولها! لأني مشغول في صمتي، صامت في شغلي، ذاهل عن الجموع المكتظة حول القبر أفواجًا أفواجًا، حِلَقًا حِلَقًا، لا أكاد أميِّزُ منهم أحدًا -شكر الله لهم جميعهم- فقد أتاني ما يشغلني!

بقيتُ طوال مدة الدفنِ صامتًا لا أتكلمُ بكلمة واحدة، ليس إلا تمتمات الدعاء، وبللُ الخدين بصامت البكاء! لم يقطع عليَّ صمتي إلا شقيقي (صالح) -حفظه الله- الذي كان يجلس على شفير القبر عن يميني، قطع عليَّ صمتي عندما أسرَّ إليَّ بصوت باكٍ متقطِّعٍ لا يكادُ يُبين! أشار إلى جسد أمي -رحمها الله- الذي غطت اللبنات نصف لحده، وكاد أن يتوارى عن أنظارنا، وقال : "إبراهيم! يعني خلاص هذه آخر مرة نرى أمي -رحمهاالله- "! وقعت

كلمته عليّ كَوَقْعِ الصاعقة، عند ذلك شددت بيدي على يده، ولم أجبه بكلمة واحدة، إلا أننا صالح وأنا لم نزد على أن طأطأنا رأسينا وأجهشنا بالبكاء! لا أحد ممن حولنا ساعتها يعلم ما الذي دار بين الابنين المكلومين.

الآن انتهى صفُّ اللبنات، ووضع الطين على الفُرجات بين تلك اللبنات! ولم يبق إلا أن يصعد شقيقي (علي) من القبر؛ لأنه كان آخر الثلاثة صعودًا من القبر بعد صعود الأخ الفاضل المتطوع، وصعود شقيقي (غانم) ليتسع المكان في صف اللبنات، عندئذ صعد (علي) من القبر وكان هو وغانم آخر من لامست أيديهم جسد أمي -رحمها الله- ويا لَغبطتهما بذلك!

خلا القبر الآن إلا من نزيلته أمي نورة -رحمها الله- وتنادى المشيعون يُهيلون التراب، :"شاركوا في الأجر، احثوا ثلاثًا، افسحوا المجال لغيركم"، كل ذلك كان يتم وإبراهيم ما زال في صمته ودعواته وعبَراته! ومع تطاير الغبار من

القبر كنت مع عامة من حضر مشغولًا بالدعاء: " اللهم ثبّتها بالقول الثابت، اللهم ثبِّتها عند سؤال الملَكين، اللهم اجعل قبر أمي روضة من رياض الجنة "، وهكذا مضت لحظات الدفن بالأيدي، فتعالت أصوات المساحي وهي تزيد من الدفن! وأُهيلت بعد ذلك الحصباء، ورُشَّ القبرُ بالماء!

تنادى الحاضرون: اسألوا لها التثبيت، فإنها الآن تُسأل! وقف عدد لا بأس به على القبر يدعون لأمي -رحمها الله- ويسألون لها التثبيت، يتقدمهم والدي -حفظه الله- وخالي صالح وزوج شقيقتي(لولو) الغالي علي المسند، وأبناء خالي عبدالله الفضلية -رحمه الله- والأقارب والمحبون، والأولاد والأحفاد، ومن أعرف ومن لا أعرف!

عند ذلك جلست عند رأس أمي -رحمها الله- مستقبلا القبلة رافعًا يديّ متوجِّهًا لربي، ملحًّا بالدعاء المختلط بأحرِّ البكاء! وحقًّا لا أدري كم بقيت على تلك الحالة! إلا الذي

أعرفه أنني أطلت إطالة عرفت مقدارها من خلال أن المعزِّين - جزاهم الله خيرًا - كانوا قد انتهوا من تعزية والدي -حفظه الله- ومن معه، ولم يبق ممن لم يستقبل العزاء إلا أنا فانتظرني من انتظرني مشكورًا، وغادر المقبرة من غادر مأجورًا معذورًا !

كنت في جلستي هذه عند رأس أمي - رحمها الله - للدعاء بين دافعين يتجاذبانني! دافع مراعاة الجموع التي أودُّ ألا أؤخرهم في الانتظار لتقديم العزاء، ودافع رغبتي في المكث بجوار أمي -رحمها الله- في أول ساعة في منزلها الجديد الذي هي أحوج ما تكون فيه إلى دعوة من ابنها الذي طالما رعته ولازمته ولم تبخل عليه بنصحها ولا مالها ولا وقتها ولا دعائها! وأخيرًا فقد غلّبتُ الدافع الآخر فمكثتُ ما شاء الله أن أمكث بجوار أمي -رحمها الله- حتى إذا قمتُ من عندها كأنني أنتزع نفسي انتزاعا، توجهتُ مباشرة إلى حيث يقف والدي -حفظه الله- فقبّلت رأسه ويديه

وقدَّمتُ له العزاء دون أن أكثر من الألفاظ؛ لأني أعلم أن كلامي سيهيِّج المزيد من بكائي! قال لي والدي -حفظه الله- "وينك يا رَجّال! الناس يسألون عنك!" ثم اصطففت بجوار والدي مستقبلا المعزِّين الذين لم يملوا من طول الانتظار، فجزاهم الله عني خير الجزاء! أذكر منهم في ذلك الموقف شيخي الفاضل الذي درّسني في المرحلة المتوسطة والثانوية الشيخ (صالح الشايع) أتم الله عليه عافيته، فهو من الذين علقوا في ذهني، وأثّر في نفسي مكثه، واحتسابه، وسعة صدره في انتظاري لمواساتي وعزائي!

خرجتُ من المقبرة بصحبة ابنيَّ (فارس وعبد المجيد) -أصلحهما الله- في سيارة الأكبر منهما (فارس)، وتوجهنا إلى البيت قبُيل المغرب، ودخلتُ لأغيِّر ملابسي، ثم توجهت بعد صلاة المغرب إلى بيت والدي -حفظه الله- حيث مجلس العزاء!



٣٨ـ الأماكن

انتهت أيام العزاء التي توافد فيها المعزّون المحبون لأمي نورة –رحمها الله– توافدوا رجالا ونساء مقدمين العزاء، مرددين الدعاء، متذاكرين لأمي –رحمها الله– الذكر الحسن والثناء، شكر الله للجميع ، شكر الله لهم حضورهم واتصالهم ومراسلاتهم، دون إمكان تسمية أحد منهم هنا.

ولما انتهت تلك الأيام صار أهل المصيبة كمن استيقظ من النوم، أو عاد من السفر، عدنا نحن أولاد أمي نورة – رحمها الله– إلى الحياة التي كانت تملؤها أمي –رحمها الله – عدنا إلى الأماكن التي كانت عامرة بأمي –رحمها الله– عدنا

إلى حيث الطيف والذكريات، عدنا إلى اليوم المصحوب بعبق الأمس!

صار كل شيء يذكّرنا بأمي نورة –رحمها الله – كل شيء بمعنى كل شيء! إلا أنني أذكر هنا بعض المواقف أو (الأماكن) التي عدت إليها للمرة الأولى بعد رحيل أمي نورة –رحمها الله– فكانت عالقة في ذهني وكأن أمي –رحمها الله– معنا لم تفارقنا! وكأنها بيننا لم ترحل عنا!

أول مكان أشير إليه هنا بإيجاز هو (غرفة أمي) -رحمها الله– حيث دخلناها (لولو وعلي وصالح وأنا) لتوزيع ما بقي فيها من حاجات، والتصدق بما تملك الراحلة الغالية التي جُبلت على حبّ الصدقات! دخلناها معًا وكل واحد منا يدافع البكاء ولا يستطيع، يحاول التماسك ولا يقوى، كنا نفتح خزانات الملابس فنرى النور في ملابس نورة –رحمها الله– نرى المكيفات ، والأبواب والمرايا، والهبّود (الفصفص الصغير)، وسجادات الصلاة، وبرادة الماء، والسرير ولحافه،

نـرى الهـاتف الـذي طالمـا هاتفتنـا –رحمهـا الله– منـه، نـرى ونرى... فيختلط – مع التجلّد – الدعاء بالبكاء.

وهنا أذكر أن أخي (عليا) رحمـه الله خـرج مـن الغرفـة مسرعًا، وتوارى عن الأنظار لأمـر رآه ! خـرج ليخفـي عنـا البكاء الغالب، خرج لأنه رأى صورته الشخـصية يـوم كـان طفلا وقد علّقتها أمي رحمها على مرآة التسريحة في مكان مميـز بحيث تراه يوميا! تفاجأ أبو تركي بصورته هنـا! تفاجـأ والله أعلم ما الذي دار في خَلَده آنذاك ! والله أعلـم مـدى الـشوق والحنين الذين جـذباه إلى مـن تعلـق قلبهـا بولـدها وعلّقـت صورته في مرآتها!

ساعة أو ساعتان أمضيناها في غرفة أمي – رحمهـا الله – وكانت قـد فرغـت تمامـا، كـل شيء فيهـا ذهـب إلى طريقـه صدقة أو إهداءً، وكانت أمي –رحمهـا الله– في هـذه اللحظـة وهـي في قبرهـا في يومهـا الرابـع قـد أعطتنـا درسًـا مهـمًا في الترتيب والنظافة ووضع كـل شيء في مكانـه، فمـع أنهـا قـد

فارقت غرفتها -رحمها الله- قبل أشـهر مـن وفاتهـا شـهرين كاملين في المستشفى، وقبلهما كانت في المنزل في غرفـة أخـرى لصعوبة صعودها إلى غرفتها الرئيسة ، مع ذلك كلـه، إلا أننـا دخلنا على مكان مرتّب غاية الترتيب، الجناح كلـه لا ينقـصه إلا من كانت سنين عديدة تعمره ! رحمها الله رحمة واسعة.

ومن الأماكن التي لا يمكن أن أنساها في أول ورود لهـا في حياتي بعد أمي نـورة –رحمهـا الله– الطـائرة حيـث كنـت كثيرًا ما أصحب أمي –رحمها الله– في رحلات السفر للعمـرة كثيرًا ولغيرها أحيانًا، وشاء الله تعالى أن أسافر لحـضور دورة تدريبية بعد وفاة أمي –رحمها الله– بشهر تقريبًا وهناك كانـت الـذكريات المتجـددة، فـالكرسي الـذي أمـامي كـان منبـع الذكرى ومصدرها، ولا أبالغ إذا قلـت إننـي طـوال الرحلـة كنت أتراءى أمي –رحمها الله– معي في الطائرة، أذكرها عنـد الإقلاع والهبوط، عند ربط الحزام وفكّـه، عنـد تـرداد دعـاء

السفر، كل صغيرة وكبيرة في الرحلة أتذكر فيها أمي –رحمها الله– وأنا حديث عهد بمصاب!

ومما لا أنساه من الأماكن التي كنت أرتادها مع أمي –رحمها الله– منزل شقيقها خالي صالح المانع –حفظه الله– ذلك أني زرته بعد وفاة أمي –رحمها الله– مسلِّمًا عليه وعلى زوجته الكريمة، فأجلسني خالي أبو عبد العزيز حيث كانت تجلس أمي –رحمها الله– في الصالة، وعلى المقعد نفسه، ولم يكتفِ بذلك بل أطال في الحديث عنها وهو المصاب مثلنا بها، صار يسرد لي الأحاديث التي كنت تدور بين الشقيقين في هذه الصالة، والنكت والطرائف، والمودة الطبيعية، ثم ما كان يعطيها إياها من الخضروات والورقيات عند خروجها ، وكيف كان يوصلها إلى منزلها بنفسه، وحينما أكرمني بالزنجبيل أثناء حديثنا خنقته العَبرة وقال كأني أمدُّه لنورة وهي معنا ! وهكذا تستمر نورة –رحمها الله– مع أحبابها حتى بعد وفاتها.

ومما لا أنساه من بواعث ذكرى أمي نورة –رحمها الله- زيارة المسجد الحرام! الزيارة الأولى بعد وفاتها ، الزيارة التي أكون فيها وحيدًا دون أمي ! فلا ترداد أدعية ، ولا عربة السعي، ولا الجلوس عند ماء زمزم معًا، ولا الصدقات الموزعة على العاملين في الحرم، مشاهد كثيرة كانت تتكرر معي كلما صحبت أمي –رحمه الله- للعمرة، أين هي الآن؟ لم يبقَ من المشاهد وصاحبة المشاهد إلا طيف الذكريات!

ولا يمكنني أن أنسى عيادتي أحد المرضى المنوّمين في مدينة الملك فهد الطبية بعد وفاة أمي نورة –رحمها الله- بأشهر ، عدته فهاجني استعبار! عدته مسلّمًا فكان كل شيء يوحي إلي بالأيام التي لازمنا فيها أمي –رحمها الله- في هذا المشفى، بدءًا ببوابة المشفى، فمواقف السيارات، فالمصاعد، والممرات، والأجنحة، والمصلى، وغرف الانتظار، حتى كدت أُشغل عن عيادتي ذلك المريض بشريط الذكريات الماثل أمام ناظريَّ بالتفاصيل الصغيرة التي كانت هنا ، هنا يوم أن كانت أمي هنا! رحمها الله رحمة واسعة.

ومن المواقف التي كان عسيرًا عـليَّ جـدًا كـتمان دمعـي فيها زيارتي الأولى منزل زوجة والد أمي –رحمهما الله– زيـارة خالتي منيرة البليهد–حفظها الله– الزيارة التي لم أكـن أدخـل بيتها إلا بصحبة أمي –رحمهـا الله– كنـت متماسـكًا نوعًـا مّـا عند وصولي شارع بيتها، ضعفت قلـيلا عنـدما رأيـت بـاب المنزل، ازداد الضعف عند طرق الباب، انهـرت تمامًـا عنـدما قبّلت رأس خالتي ويدها وهي منفجـرة بالبكـاء قائلـة يـالله حيّـه، الله يـرحم نـورة، الله يـرحم أميمتـك، فهيّجتنـي عـلى البكاء الذي كنت أصلا أدافعه مدافعة، فما كان منـا إلا بكينـا حتى فرغنا للحديث! نسأل الله اجتماع الجنة.

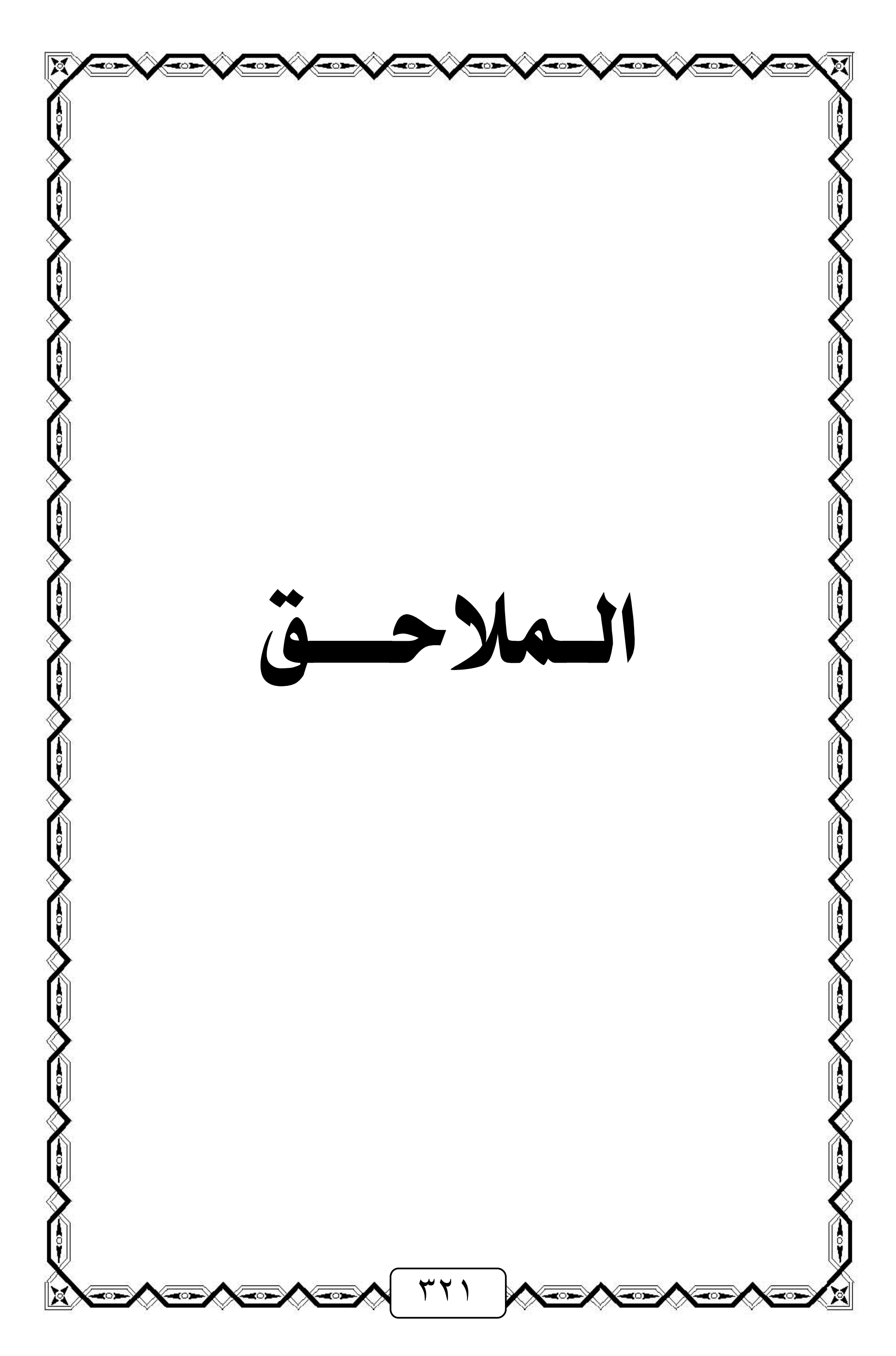
وأما ما لازمني طويلا في تجدد ذكرى أمي –رحمهـا الله– فهو مقعد سيارتي الأمامي الـذي كـان محـل جلـوس أمـي– رحمها الله– حتى إنني كنت بعد وفـاة أمـي – رحمهـا الله– في مشاويري المنفردة ألتفـت إلى يمينـي حيـث المقعـد الخـاوي، فأعلّل نفسي أن أمي فيه ! بل ربما –وقد حصل لي غـير مـرّة–

أنني أحاور أمي بتوجيه الحديث لها من نحو: مسّاكِ الله بالخير يمّه، هلا يُمّه، الله يحييك يا أميمتي! وليس ثمة إلا المقعد الخاوي!

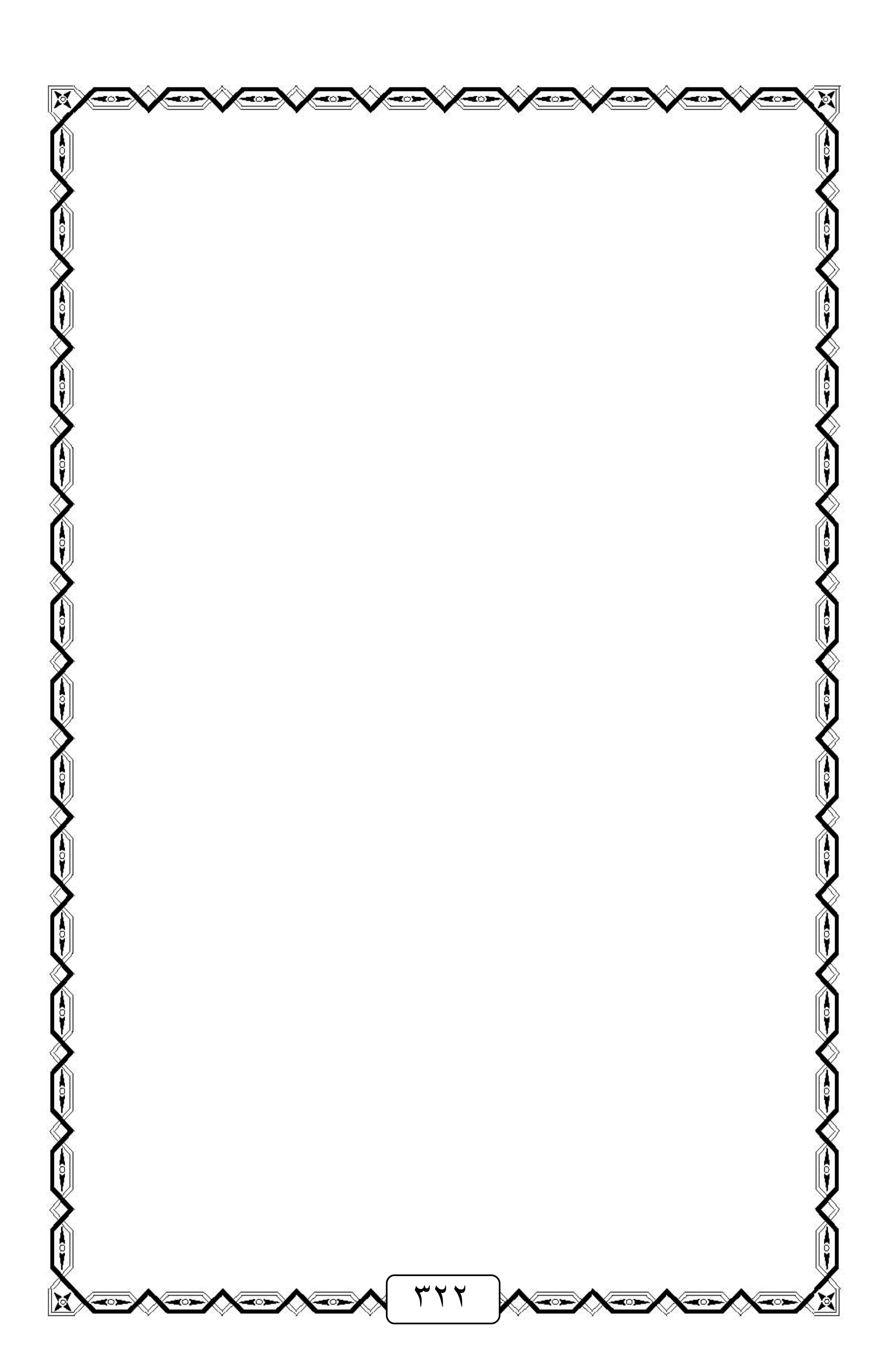
وأخيرًا فإن من أعز الأماكن على نفسي بعد وفاة أمي نورة –رحمها الله– ذلك المكان الذي كثيرًا ما كان محل اجتماع أمي –رحمها الله– بأحبابها، ذلك المكان الذي كان محل الكرم والضيافات، (ديوانية أمي نورة) رحمها الله رحمة الأبرار، ومن حبي ذلك المكان، كنت بعد وفاة أمي أجلس فيه وحدي أحيانًا، ومع بعض أحبابي وضيوفي أحيانا أخرى. أجلس في تلك الديوانية ولم يتغير فيها شيء، ومع ذلك فقد فقدت كل شيء! فقدت نورها وبهجتها ورونقها! فقدت روحها، فقدت صوت أمّي المرحِّبة بأولادها وضيوفها!

يا ربِّ إنْ خَلَت المنازلُ بعدَها فلديكَ في (الغُرُفاتِ) نِعْمَ الملتقى

والحمد لله رب العالمين أن يسّر كتابة الحلقات ، تمت بحمد الله.

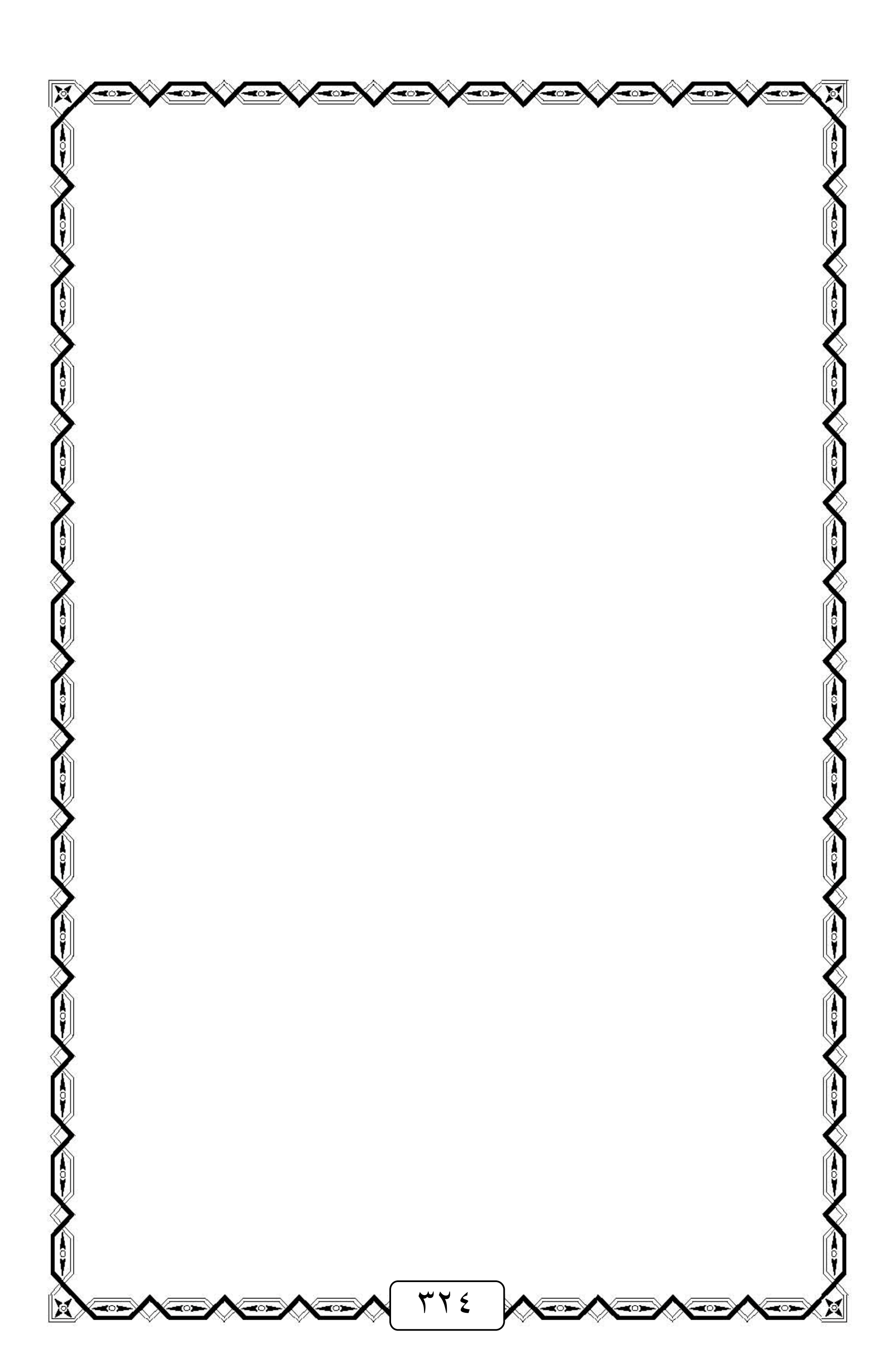


الـملاحـــق



ما بعد الوفاة

المقال والقصائد (الزفرات السبع) كُتبت ونُشرت متفرقة بعد وفاة أمي نورة رحمها الله، أحببت إعادة نشرها مع حلقات هذا الكتاب، أضيفت هنا بعد الانتهاء من حلقات الكتاب كاملة، وبعد قراءة الأستاذ الدكتور علي النملة وتقديمه سلمه الله.





وداعًا يا كرسي أمّي

كان ضحى يوم الأربعاء ٣ / ١ / ١٤٣٠هـ هو اليوم الأخير الذي تشرفت فيه بأن أكون خادم أمي – رحمها الله تعالى – في كرسيها المتحرك الذي طالما كان لي معه ومعها صحبة !

(كرسي أمي) فارقها أو فارقته ضحى ذلك اليوم دون عِلم أحد منا (نحن الثلاثة) أن ذاك الضحى هو آخر ساعة ستجمعنا معًا كما اجتمعنا أيامًا عديدة ، ذهبنا ذاك الضحى

إلى مدينة الملك فهد الطبية لمراجعة اعتيادية ! ولكن الطبيبة الاستشارية أصرت على تنويم (أمي نورة) لأن حالتها لا تسمح بخروجها ، فرجعت مساءً أنا والكرسي دون أمي ، حيث مكثت أمي - رحمها الله - في المستشفى من ذلك الضحى ٣ / ١ / ١٤٣٠ هـ إلى أن كتب الله الخروج منه ضحى السبت ٣ / ٣ / ١٤٣٠هـ ولكن هذا الخروج كان إلى مغسلة الأموات في جامع الراجحي ! وبالطبع خرجت محمولة ولم يصحبها كرسيّها !

وفي العشر الأواخر من رمضان المبارك ١٤٣١هـ أخذت (كرسي أمي) رحمها الله ، معي إلى مكة المكرمة لأجعله في المكان الذي طالما كانت ترتاح فيه حيث الحرم الشريف ، صحبت (الكرسي) وليس عليه (أمي) ! وطلبت من القائمين على خدمة ضيوف الرحمن أن يقبلوه (وقفًا للمسجد الحرام) ، وبكل أريحية ولطف أخذه أحد شبابنا السعوديين العاملين في المكان المخصص للعربات ليكتب

عليه (وقف للمسجد الحرام) وودعني بالدعاء لمن كانت تنير هذا الكرسي رحمها الله.

خرجت مودِّعًا (كرسي أمّي) وأنا أحمل معي أحمالاً من الذكريات !

أسائلك أيها (الكرسي) أتذكر مثلي عندما كانت (أمي نورة) رحمها الله تجافي ظهرها عنك حتى تخفف عليَّ دفع الكرسي !

أتذكر عندما كانت – رحمها الله – تقول لي بحضورك يا وليدي بإمكاني أن أمشي ، خلني أنزل تعبتك يا ولدي !

أظنك لم تشعر بها – رحمها الله – وهي تخرج من حقيبتها ما تفرح به العاملات والعاملين في المستشفى والممرضات بما تخفيها حتى عنك لئلا تحرج المحتاج !

لكنني أظنك كنت تراني وأنا أرتفع على الدنيا كلها حينما أنزل إلى موضع (قَدَمَيْ أمي) رحمها الله ؛ لأصلح لها موضع

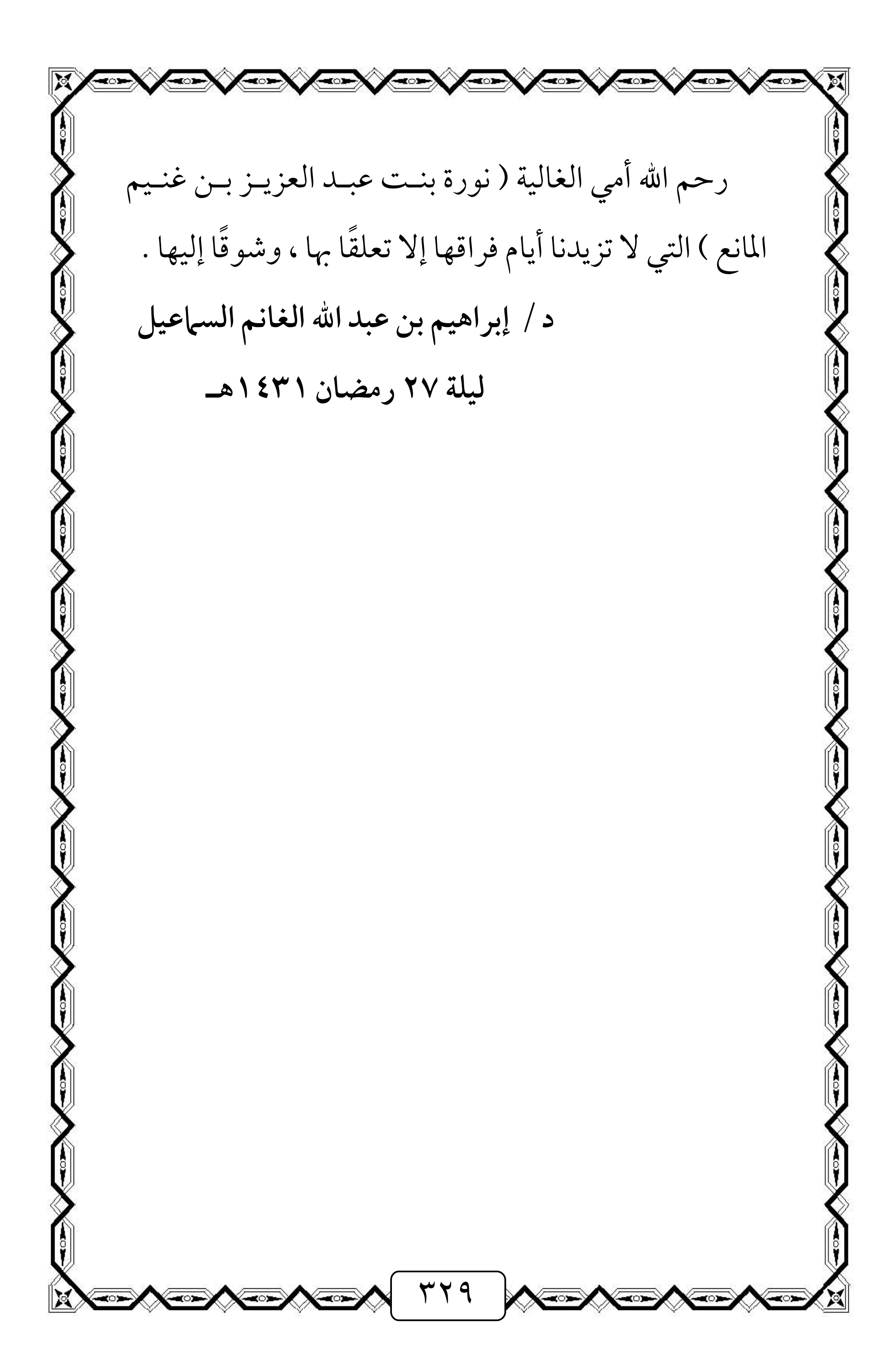
القدمين منك أيها الكرسي ، وهي تردد كلما تكـرر منـي هـذا العمل (الله يرفع قَدْرك يا ولدي) .

أيها الكرسي هل كنـت تـشعر بالغبطـة والـسرور عنـدما تـراني أقبِّـل (رأس أمّـي) رحمهـا الله أثنـاء سـيرنا مـن وإلى العيادات وهي ترد على قبلاتي بقولها (حبِّكْ ربّي).

أيهـا الكـرسي مـا شـعورك وأنـت تـستمع إلى أحاديثنـا الطويلة التي أحاول بهـا أن أخفـف عـلى (أمـي) رحمهـا الله طول الانتظار في (شباك الصيدلية) .

أيها الكرسي كيف كنت وأنا أدنيك جدا من باب الـسيارة حتى لا أضطر (أمي) رحمها الله أن تمشي خطوة واحدة !

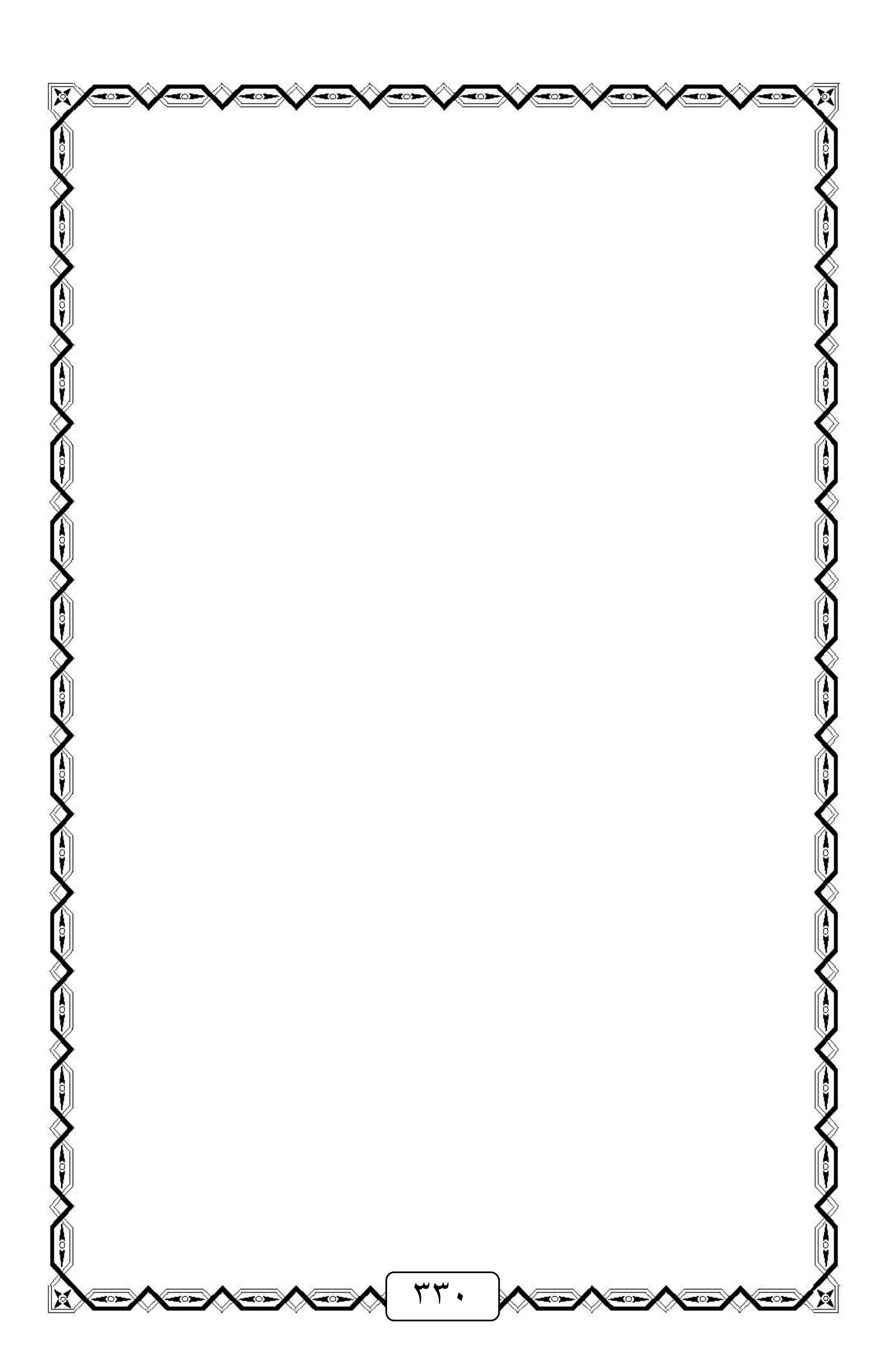
وأخيرًا (أيها الكرسي) هل شعرت بي وأنـا وأنـت فقـط عند الحرم عندما قبّلتك أنت قبلات ممزوجة بـدموع تتـوارى عن أعين المعتمرين ! نعم قبّلتك وأنا أستحضر ذلـك الجـسد الطاهر الذي كان عليك يومًا مـن الـدهر ! قبّلتـك ولكنـي لم أسمع هذه المرة (حبِّكْ ربّي) !



رحم الله أمي الغالية (نورة بنـت عبـد العزيـز بـن غنـيم المانع) التي لا تزيدنا أيام فراقها إلا تعلقًا بها ، وشوقًا إليها .

د / إبراهيم بن عبد الله الغانم السماعيل

ليلة ٢٧ رمضان ١٤٣١هـ



وفي الجنّات يا (أمّي) اللقاءُ

ماتت أمَّي فحَسب !!

أعتذر إليك أمّي عن هذه الأبيات التي لا تعادل شيئاً من حقّكِ عليَّ ، ولكنها نفثة مصدور ، وهذه هي (**الزفرة الأولى**)

(نورة بنت عبد العزيز الغنيم المانع)

رحمك الله إذ ودّعتِ حياتنا الفانية صباح ٣ / ٣ / ١٤٣٠هـ

أعزيكِ أ(لؤلؤةٌ) و(نَفسي) ... و(إخواني) ، فمِنْ ربّي العزاءُ

لَقَدْ بُلِيَتْ (حبيبتُنا) بأمْرٍ ... جَسيمٍ ، لِلحشا فيهِ اصطلاءُ

تَمَزّقَ (بطنُها) مِنْ كلِّ جَنْبٍ ... وعندَ اللهِ للبلوى جزاءُ

تُعاني أمّنا (عَطَشاً) مُمُيتاً ... أيُرْوِي بينَ (منديلينِ) ماءُ؟!

تحيَّرَ (طِبُّهمْ) في شأنِ (أمّي) ... فما أجدى لأمراضٍ دواءُ !

مشايخُ يقرؤون كتابَ ربّي ... على جَسَدٍ تغشّاهُ البلاءُ

فَكمْ كانتْ تنادي في خفوتٍ: ... فيكْبو دونَ مَسْمَعِنا النّداءُ

إلهي ربِّ لا تُطِلِ البلايا ... وعندَكَ مِنْ شديدتنا رخاءُ

أشَوْقاً للرّحيلِ إلى إلهي ... (فأمّي) في ضيافَةِ منْ تشاءُ

دهانا الموتُ ، قوّضْتِ خيامٌ! ... رحلتِ أ(أمّي) أينَ لنا الغِطاءُ؟

لنا (أمٌّ) وأين وِزانُ (أمٍّ) ؟ ... عزيزٌ فَقدُها ، ذاكَ العناءُ

فوا حُزني (صباحَ السّبتِ) إنّي ... فُجِعْتُ بها ، وللأجلِ انقضاءُ

هُرِعتُ إليكِ في المَشفَى لعلّي ... أرى أمّي ، وقدْ سبقَ القضاءُ

على الصدرِ الحنونِ وضعتُ خَدّي ... أغالطُ نفسي إن نفعَ الرجاءُ

أهامِسُها : أحقاً ذا رحيلٌ ؟! ... أجسُّ النَّبْضَ ! هل هُدِمَ البناءُ؟

فقبَّلتُ (الجبينَ) جبينَ طُهْرٍ ... و(يُمناها) التي منها العَطاءُ

و(عينيها) وقدْ شَخَصَتْ لِرَبٍّ ... و(يُسْراها) و(بَطْناً) لي وِعاءُ

و(ساقاً) حينَ مُدَّت جَنْبَ (ساقٍ) … و(بطنَ الرجْلِ) حيثُ لها حِذاءُ
دعائي حينَها : رُحْماكِ ربّي … وثَبِّتْ (أختي) إذ فَدَحَ البلاءُ
أشرتِ بـ(أصبعِ التوحيدِ) أمّي … تمنّى ذا (الخِتامَ) الأتقياءُ
حُمِلْتِ إلى المغسِّلِ يا حياتي … - فلولا الشّرعُ- ما غُسِلَ الصّفاءُ!
و(لؤلؤةٌ) تُغَسِّلُكِ بِرِفقٍ … نقاءٌ باتَ يَغْسِلُهُ نقاءُ!
و(خالي) بعدَ تغسيلٍ أتاها … (أبو عبدِ العزيزِ) ، وذا ابتلاءُ
فَقَبَّلَها وحَشْرَجَ ثمَّ ولّى … علا منهُ أيا (أمّي) البكاءُ
أيا (خالي) عزيزٌ فَقْدُ (أختٍ) … ففي (ضَحَواتِكمْ) يحلو الصّفاءُ
وجاءَ (أبي) فَقَبَّلَكِ بِحُزنٍ … دموعُ الصادقينَ لهمْ وفاءُ
(شريطُ الذكريات) طواهُ دَمْعٌ … (شريكة عُمري) يا أينَ الإخاءُ؟!
وفي الأكْفانِ (أمّي) أرى ابتساماً … (أحبّتها) دنا لهمُ اللقاءُ!
بِحَمْدِ اللهِ لَحَّدَها بنوها … (عليٌّ) (غانمٌ) ، ذاك السّناءُ
وقفْتُ على (شفيرِ القبْرِ) عصراً … دموعُ العينِ زادي والدعاءُ
صَمُوتٌ عندَ قبْرِكِ في ذهولٍ … أحقاً غِبْتِ عنّا يا ضياءُ
أسرَّ إليَّ (صالحُ) في خفوتٍ: … أ(إبراهيمُ) هلْ خُتِمَ اللقاءُ؟!
أ(صالحُ) كُفَّ ، لا تَزِدِ المآسي … فطأطأنا ، وزادَ بنا البكاءُ
أمَا والتُّرْبُ قدْ غطّتْكِ (أمّي) … فغايةِ مُنْيَتي أنّي الفِداءُ!
وكيفَ يطيبُ عَيشي فوقَ أرضٍ … و(أمّي) تحتَها ؟ أنّى الهناءُ؟!
وما دامَ الثرى واراكِ (أمّي) … فكلُّ لذائذِ الدّنيا هَباءُ
أأذكرها ؟ محالٌ ! كيفَ أنْسى؟ … أتُنْسى (الأمّ) ؟ ما هذا الهُراءُ؟
يراها القلبُ في إشراقِ صُبْحي … وتؤنسني إذا هجَمَ المساءُ
وجوفَ الليلِ كمْ زارتْ بطَيفٍ … وإنْ أرقدْ يطيبُ بها اللقاءُ
فَقدتُكِ فَقْدَ طِفلٍ في رَضاعٍ … شريدٌ ليسَ يحْميهِ الوِقاءُ

صَـــبِيٌّ إيْ وربّـــي دونَ (أمّـــي)! وفي فَقـدِ الحنـانِ يُـرى العَنـاءُ

مـــريضٌ إيْ وربّـــي دونَ (أمّـــي)! جلوســـي عنـــدَ رِجْلَيهـــا دواءُ

إذا مـــا نـــابني هـــمٌّ ثقيـــلٌ فـضاقَ لـديَّ عَيـشي والفـضاءُ

أجـيءُ لهـا فتمْحَـضني بِنُـصْحٍ وإنْ أخـرجْ يـصاحِبْني الـدّعاءُ

سؤالُكِ عنّي في (الغدَواتِ) أمّي هَنـــاءٌ مـــا يوازيـــهِ هَنـــاءُ

فـ(جـوّالي) يُـصَبِّحُني بـدِفءٍ سـلامُكِ لـي أيـا (أمّـي) حـداءُ

بـ(بُرْهـومٍ) تغنّـي في سـرورٍ فيـا للّهِ هـلْ فُقِـدَ الغِنـاءُ؟

وكـمْ غـشّاكِ يـا(أمّـي) ارتيـاحٌ (بمكـةَ) حيـثُ يهـوى الأتقيـاءُ

نطـوفُ بـ(بيـتِ ربّـي) في خُـشوعٍ بِطُهْـرِ البيـتِ مازجـهُ النقـاءُ

وفي (يـوم الخمـيسِ) لنـا فُطـورٌ إذ (الزيتـونُ والبُـرُّ) الغِـذاءُ

وكـمْ (وِرْدٍ) قرأنـاهُ جميعـاً إذا حـلَّ الـصّباحُ أو المَـساءُ

يحِـنُّ إليـكِ (أمّـي) كـلُّ شـيءٍ (فِراشُـكِ) فيـهِ (عِطْـرُكِ) و(الغِطـاءُ)

(حليـبٌ) سـاخنٌ في (زَنْجبيـلٍ) و(هـاتفُ) غُرفـةٍ فيهـا الثـواءُ

و(هَبُّـودٌ) يُفَـصْفِصُ ذا أنـيسٌ فَمُتْعَتُهـا إذا زالَ اللّحـاءُ

و(أشْـرِطَةٌ) تؤانِـسُكِ بِلَيـلٍ (تـلاواتُ) الكتـابِ بـهِ الـشِفاءُ

سـتفْقِدُكِ (دِلالُ الـبُنِّ) أمّـي وذاكَ (الزعفـرانُ) لهـا طِـلاءُ

و(دِيوانيّـةٌ) فيهـا اجتمـاعٌ و(مِنفـاخٌ) لِنَـارٍ و(الفِنـاءُ)

وأيـن (جَـريشُ) أمّـي و(البـوادي)؟ تُفاكِهُنـا إذا حـلَّ الـشتاءُ

بكـاكِ الكـلُّ يـا (أمّـاهُ) صِـدْقاً وفي (يـومِ الـوداعِ) بكَـتْ سَـمَاءُ!

بكـاكِ الـشِيبُ والأطفـالُ طُـرّاً بكـاكِ رِجـالُ قـومي والنّـساءُ

بكَتْـكِ (أرامـلٌ) تَرجـوكِ عونـاً (يمـينُ) البِـرِّ غلّفهـا الخفـاءُ

وحتى (الخادماتُ) بكتْكِ (أمّي) فلـيسَ بِقَلْـبِ (أمّـي) كِبْرِيـاءُ

بكـاكِ (الـسائقون)، أرى وجومـاً عــلا قَـسَماتِهِمْ! أمْـرٌ جـلاءُ

بكَـاكِ (صِـغارُنا) شِـعْراً ونَثْـراً   مـشاعرُ كـادَ يخفيهـا الحيـاءُ
فـ(تَفـريحُ الـصّغارِ) لهـا منـارٌ   يطيـبُ لـديهمُ فيهـا التقـاءُ
تنوّعــتْ المــآثِرُ فيــكِ (أمّــي)   لــكِ في كــلِّ معــروفٍ دِلاءُ
ألا (أمّــاهُ) نَــامِي في هنــاءٍ   بحِفــظِ اللّهِ يحمينــا الوِقــاءُ
فــلا تَخَـشَي علينـا مِـنْ شـتاتٍ   (بنـوكِ) مـع (الـشقيقةِ) أوفيـاءُ
لـ(لؤلـؤة) المعـالي كـلُّ وَصْـلٍ   فَبِــرُّكِ أنْ يظــلَّ لهــا الوفــاءُ
و(خـالي صـالحٌ) يـا ريـحَ (أمّـي)   بقـاءُ (الخـالِ) في الـدنيا رخـاءُ
لـ(ليلـى) بعـدَ (أمّـي) كـلُّ حَـقٍ   فــ(خالتنــا) لهــا منّــا الــولاءُ
وفي (فــضليّةٍ) للوصْــل نبقــى   بِوَصلِ (الخالِ) يا (أمّي) اهتداءُ
(مــنيرةُ) خــالتي والبِّــرُّ بــاقٍ   صداقَةُ (أمِّنا) فيكِ اصطفاءُ
رضِـينا مـا قـضى الـرحمنُ ربّـي   لـهُ التـسْليمُ يفعـلُ مـا يـشاءُ
وأجــرَ (شــهادةٍ) أرجــوهُ (أمّــي)   لـكِ في (بَطْنِـكِ) استـشرى الوبـاءُ
سـلاماً (أمّنـا) ، ذِكـراكِ فينـا   وفي الجنّـاتِ يـا (أمّـي) اللقـاءُ
إذا حفِــظَ الإلــهُ لنــا (أبانــا)   ففيـهِ وربّـي يـا (أمّـي) العـزاءُ

(أختاهُ) فَقدُ (الأمِّ) جَمْرٌ لاهِبٌ!

(الزفرة الثانية)

كانَ مِن شأني في سابق أمري أنني إذا حزبني همٌّ أفزع إلى (أمّي) – رحمها الله تعالى – فأبوحُ لها بما لا أبوحُ بهِ لمخلوقٍ سواها ، فما ألبث أنْ أخرجَ منها بالتسلية ، والرأي ، والدّعاءِ !

وبعدَ ما يقاربُ أربعين ليلة مِنْ موتِ (أمّي) – رحمها الله رحمة واسعة – حَزَبَني همٌّ من هموم الدنيا ، وافتقدتُ ذاك المعين الصافي أحوجَ ما أكونُ إليه !

فدخلتُ (غُرفة أمّي) – رحمها الله تعالى – ظهيرة يوم الأربعاء (يوم الاجتماع واللقاء) ، وتقلّبتُ في (سريرها) ، وأجلتُ ناظري في أرجائها ، وكانت هذه الأبيات ، فرحمَ الله مَنْ قيلت فيه ، رحمكِ الله فقيدتنا الغالية ، الغائبة الحاضرة

(أمّي)

(نورة بنت عبد العزيز الغنيم المانع)

(أمّـــاهُ) بَعْـــدَكِ لمْ أزلْ في لوعـــةٍ — والـدّمعُ مِـنْ بُعْـدِ الحبيبـةِ مـا رَقَـا !
مـا عـادَ يُطْـربني حـديثُ مُفاكِـهٍ — كـلاّ ، ولا جَلَسـاتُ أوفـى الأصـدقا !
(أمّـاهُ) هـاكِ قـصيدتي مِـنْ (غُرْفَـةٍ) — بـالأمسِ كانـتْ في وجـودِكِ مُلْتَقـى
(لَمَـساتُها) تبـدو علـى جَنَباتِهـا — (بَـصماتُها) تكـسو المكـانَ تأنُّقـا !
في (غُرْفَـةٍ) وقـتَ الظهـيرةِ مُفْـرَدٌ — والحُــزْنُ في أرجائهــا قــدْ أطْبَقــا
متــسائلٌ أيــنَ الــتي عَمُــرَتْ بِهــا — (سُجادةٌ) ، كانـتْ تنـاجي الخالقـا ؟
مُتَلَفــتٌ بــينَ الجوانــبِ لا أرى — إلا (الـسكونَ) ، فمـا أشـدَّ ! وأحرَقـا !
متـذكرٌ (أمّـي) الحبيبـةَ عنـدما — كانــتْ مُرَحِّبــةً تجيــبُ الطارقــا
متلحِّـفٌ بـ(غطائهـا) في (عَبْرتـي) — في ذا (الغِطـاءِ) أحـسُّ قلبـاً مُـشفِقا
و(وِســادة) فيهــا بقايــا مِــسْكِها — مِـنْ بعْـدِ مـا كانـتْ (مِهـادي) الأرفَقـا
ومُـرَدِّدٌ (أمّـاهُ) ، في رجْـعِ الـصّدى — (صَـمْتٌ) يُجـاوبني ، فـأبقى مُطْرِقـا
(مِرْآتُهـا) البيـضاءُ تحكـي طُهْرَهـا ! — و(سـريرُها) يـشكو الفِـراقَ الـساحقا !
(تَـسْريحةٌ) فيهـا (العُطـورُ) بِرَوْحِهـا — (كُرسـيُّها) بـاكٍ عَـشِيَّةَ فارَقـا !
(مِنْــديلُها) في (لَفّــةٍ) لَمّــا يَــزَلْ — يرجـو(الوُضـوءَ) لكـي يمسَّ المِرْفَقـا !
(أمـشاطُها) الـسوداءُ تـشكو فُرْقَـة — حتـى الجمـادُ يـودُّ أنْ مـا فارَقـا !
(حِنّاؤهـا) الخـضراءُ قـدْ حَنَّـتْ لها — مِـنْ بعـدِ مـا كانـتْ خـضاباً مُونِقـا
(بنَـدُولها) (عِلْـكُ اللّبـانِ) و(قَطْـرَةٌ) — الكـــلُّ ذاقَ فِراقَهـــا فتَحرَّقـــا
أو(سَـبْحَةٌ) كانـتْ رفيقـةَ دَرْبِهـا — أوَّاهُ لــو تحنــو (الـسِّباحُ) فتنطقـا
و(مَجـامِرٌ) فيهـا (البخـورُ) مُعَتَّـقٌ — زادَتْ بهـا تلـكَ (المَجـامِرُ) رَونَقـا
(ساعاتُها) مِـنْ كـلِّ صِـنْفٍ كَـمْ زَهَـتْ — في (مِعْـصَمٍ) ، واليـومَ تبكـي تَـشَوُّقا !
وبقيّــةٌ مِــنْ نَــزْرِ (مــالٍ) أفْــرِدَتْ — كيمــا توسِّــعَ عــيشَ قــومٍ ضَــيِّقا
مـا كـانَ ذاكَ المـالُ رهـنَ (حقائـبٍ) — فَـــسُرورُها بالمـــالِ أنْ تتـــصدّقا !

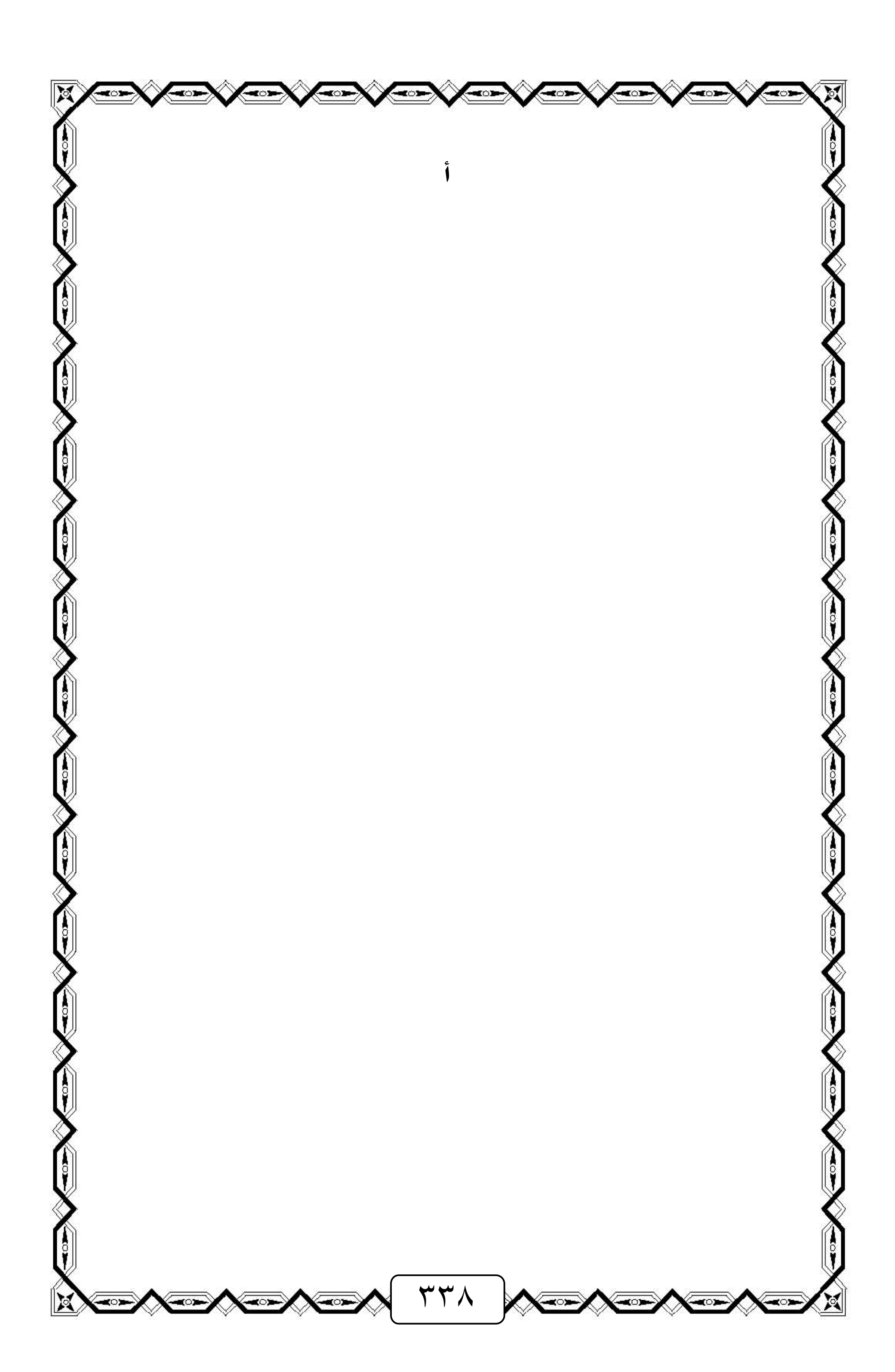
و(الهـاتِفُ) الولهـانُ مـاتَ بِمَوْتِها ! ... لـولا (الرِّضـا) لَغَبْطتُـه إذ فارقـا !
و(خِزانـةُ الأثـوابِ) هـا قـدْ أُفْرِغَـتْ ... مِـنْ بَعْـدِ مـا كـانَ الحريـرُ مُعَلَّقـا
و(مقــابِضٌ) ذهبيّـــةٌ في بابِهـــا ... مـا حالُهـا و(البـابُ) هـا قـدْ أُغْلِقـا ؟!
أو(صــورةٌ للابــنِ) في (تــسريحةٍ) ... واهاً (عليٌّ) ! متى يكونُ بها اللقا ؟
و(ســتائرٌ) خـضراءُ كانـتْ واقيًـا ... بِحِجابِهـــا ذاكَ الزُجـــاجَ المُــشْرِقا
و(مُكَيِّـفٌ) قـدْ كـانَ يُـذهِبُ حَرَّهـا ... يـــا ربِّ جَنِّبْهـــا اللـــهيبَ المُحْرِقـــا
(بـــرّادةٌ) بِميـــاهِ (زَمْـــزَمَ) أُفْعِمَـــتْ ... كـم أذهبـتْ في صَـيفِها مـا أَحْرقـا
(صـابونُها) (عُلَـبُ الغـسيلِ) بِرَفِّهـا ... (غـسّالة) قـدْ لامَـستْ (كَـفَّ) النقـا
و(مكينـةٌ) كانـتْ جليـسة (أمِّنـا) ... مـعَ (إبـرةٍ) إتقـانُ مـا قـدْ مُزِّقـا
يـا (صـالحٌ) ! والأنسُ كـانَ بـ(غُرفـةٍ) ... أضـحتْ بـلا (أمّـي) حـديثاً مُقْلِقـا
كـمْ جلـسةٍ للحُـبِّ قـدْ حَفَّـتْ بِنـا ... (أمّـــي) بهـــا عقـــدُ الإخـــاء توثقـــا
يـا (صـالحٌ) ! كـمْ مُتْعَـةٍ مـرَّتْ بِنـا ... (أكـوابُ شـاي) في صـباحٍ أشـرَقا
يا (صـالحٌ) ! كمْ مِنْ مساءٍ سامِرٍ ... كنّـــا نبادلُهـــا الكـــلامَ الـــشائقا
يـا (صـالحٌ) ! كـمْ ليلـةٍ كنّـا معـا ... (أمّـي) هنـا ! حيـثُ الحنـانُ تَـدَفَّقا
يـا(غـانمٌ) ! فيـكَ البقيّـةُ ؛ فاسمُهـا : ... نِـصفٌ مـضى ، والنّـصفُ فيـكَ تعلَّقـا
يـا(غـانمٌ) ! فيـكَ العـزاءُ ؛ فَبِرُّهـا ... بِبَقـــائكمْ فينـــا شـــقيقي الأَوْفَقـــا
(أختــاهُ) فَقـدُ (الأمِّ) جَمْـرٌ لاهِـبٌ! ... القلـــبُ بـــاتَ بفَقـــدها متحرِّقـــا
أ(أخـــيتي) ! أنـــتِ المـــلاذ بِبُعْـــدِها ... أنـــتِ العـــزا ، أنـــتِ الوفـــاءُ تَرَقْرَقـــا
يـا (غرفـة) مِـنْ بعـدِ (أمّـي) أقْفَـرَتْ ... أوّاهُ ! مـا أقـسى الفـراقَ الحارقـا !
يـــا ربِّ إنْ خَلَـــت المنـــازلُ بعـــدَها ... فلـديكَ في (الغُرُفـاتِ) نِعْـمَ الملتقـى

محبك الباكي فقدك الداعي ربه الاجتماع بك

ابنك

د / إبراهيم بن عبد الله بن غانم السماعيل

١٢ / ٤ / ١٤٣٠هـ



أ

أفِرُّ من العيد

(الزفرة الثالثة)

أمي الغالية

(نورة بنت عبد العزيز الغنيم المانع)
رحمها الله تعالى

رغمَ مرورِ الأيامِ على وفاتها – رحمها الله تعالى – ما زالت تتراءى أمام ناظريَّ في غالب أحوالي ، وفي ليلة (عيد الأضحى المبارك) الذي كانت تزينه بمجلسها البديع ، وقد أدارت (حِنكتها السوداءَ) على وجهها المشرق ، حينما كان للعيد في وجودها معنى ، فَزاد الشوق إلى مجلسِ أمّي – رحمها الله تعالى – وكانت هذه الأبيات ، فإلى (أمّي نورة) مع الدعاء لها بالرحمة والغفران:

حَنِينٌ إلى (أمّي) أراهُ مُرَدَّدا ... إذا ساقَ هديًا مَنْ أهَلَّ وعيَّدَا

وبحرٌ مِن الشوقِ المُمِضِّ لِوَجْهِها ... فَعَيناي ظمأى كادَ يقتلُها الصدَى

لئنْ كانت الأيامُ يُسْلي مُرورُها ... فإنَّ مصابي في الرؤومِ تجدَّدَا

أفِرُّ مِن العيدِ الذي كنتِ عيدَهُ ... فما عادَ عِيدِي بعدَ وَجْهِكِ مُسْعِدَا

أفِرُّ وفي قلبي تباريحُ مِن أَسَى ... أرى أبيضَ الأيامِ بَعْدَكِ أَسْوَدَا

إذا أبْصَرَتْ عيني طَعاماً ومَشْرَبًا ... تراءيْتُ كفًّا كَمْ أجَادتْ لنا الغَدَا

وكَـمْ مَـرَّةٍ غافلـتْ نَفْـسي مناديًـا (أأُمــيَ) (يــا أمَّــاهُ) جئتُــكِ واردَا

أظـلُّ قريبـاً مِــن نوافِــذِ غرفــةٍ وأدعـو بـأعلى الـصَّوتِ : (أمّـي) مُـرَدِّدَا

وأُوهِـمُ نفـسي أنَّ (أمّـي) تُجيـبُني فَيُـسْعِدُني وَهْـمٌ أراهُ مُفَنَّـدَا

وكَـمْ جُمْعَـةٍ أَلْـصَقْتُ خَـدّي بِقَبْرِهـا فأشْـعُرُ – إيْ واللهِ – قَلْـبي تَقَـدَّدَا

أُمَـدِّدُ جِـسْمِي عِنـدَها غـيرَ مُوسَـدٍ وقـدْ كُنـتُ قَـبلاً عنـدَ (أمِّـي) مُوَسَّـدَا

أُمَـرِّرُ كَفِّـي فـوقَ حـصباءِ قَبْرِهـا أُهَدْهِـدُ طُهْـرًا في التُّـرابِ مُمَـدَّدَا

أكـادُ أرى وِرْدِي ونَجْـوايَ كلَّهـا دُعـاءً لـ(أمّـي) كلَّمـا قمـتُ مُـورِدَا

أراكِ أيـا (أمّـاهُ) أيـامَ عِيـدِنا أرانـا ولا عيـدٌ إذا غِبْـتِ أسْـعَدَا

وأيـنَ لنـا عيـدٌ كَعيـدِكِ (أمَّنـا) ؟ نَـرى كـلَّ مَـنْ نهـوى عليـكِ تَـرَدَّدَا

أراكِ أيـا (أمّـي) ويبـدو (مُنَيخِـلٌ) أرى (حِنْكَـةً سَـوداءَ) غَيَّبَهـا الـرَّدَى !

أراكِ أيـا (أمّـاهُ) إنْ زَفَّ مُخْبِـرٌ تباشـيرَ مَوْلُـودٍ يَـصِيحُ مُمُهَـدَا

أراكِ أيـا (أمّـاهُ) في ضَـوءِ مَحْفَـلٍ تَـراءَيْنَ في عَيْنَـيَّ كـالرّوضِ مُـورِدَا

أراكِ أيـا (أمّـاهُ) في هَجْعَـةِ الـدُّجى فَـأَدْمَعُ في صَـمْتٍ ! وأهجُـرُ مَرْقَـدَا

أراكِ أيـا (أمّـاهُ) في كـلِّ لحظَـةٍ علـى ضَـوءِ جَمْـرٍ في الفـؤادِ تَوَقَّـدا

تَعَـوَّدتُ ، نـونُ العَـينِ وَجْهُـكِ ، إنّمـا " لكـلِّ امـرىءٍ مِـنْ دَهْـرِهِ مـا تَعَـوَّدَا "

أُقلِّـب طـرفي في الـسماءِ وأرْتَجـي لـ(أمِّـي) نعيمًـا في الجِنـانِ مُخَلَّـدَا

عَزائـي بـأنَّ اللهَ أكْـرَمُ واهِـبٍ وأنَّ لهـا عيـشًا هُنالـكَ أرْغَـدَا

ابنك المشتاق

د / إبراهيم بن عبد الله الغانم السماعيل

ليلة عيد الأضحى المبارك ١٤٣٠هـ



سِيَّانِ بَعْدَكِ أيامُ عَيشي!

(الزَّفْرَةُ الرَّابِعَةُ)

أمّي الراحلة

(نورة بنت عبد العزيز بن غنيم المانع)

- رحمها الله تعالى رحمة واسعة -

مضى على رحيلها حولان كاملان ! و لم تزدنا أيام فراقهـــا إلا شوقًا للقائها !

أراها أمام عينيَّ كلَّ حين ! ولكنَّ أجواء (الشتاءِ) والاجتماع على (الوِجار) ورائحة الدّلال ، وإحاطة الأهل والـــزوّار حـــولَ (أمّي) ، لكنَّ ذلك كلّه يبعث على ذكرى أمّـــي - رحمهـــا الله تعالى - بمذاق خاص ، فهي ساعات لا يُغني عنها غيرها ! فإليـــك (أمّي المفارقة بجسدها) هذه الأبيات مع الدعاء بواســـع الرحمـــة لروحك الطاهرة:

يحـــلُّ الــشتاءُ فــأذكرُ أمّــي ... وأنّـــى الــسُّلوُّ ليــومِ النّــشورْ

وأذكـُــرُ أُنْــسًا بمجلــسِ أمّــي ... وطَعْـمَ (الحنُـيني) وقـتَ الفُطـورْ

و كـأسَ الحليـبِ مـعَ الزنجبيـلِ ... وحـولَ (الوِجـارِ) بقايـا البُخـورْ

وريـحُ (الغـضا) حـينَ أُشـعِلَ دِفـأً ... يـــذكِّرُني يـــومَ جَمْـــعِ الـــسرورْ

أراكِ أأمّـــيَ في الـــضوءِ ظِـــلا ... وتغمرُنـي فيـكِ ذِكـرى الحبُـورْ

فـــأذكرُ أمّـــي بمجلـــسِ أنـــسٍ ... تـــؤانِسُ أمّـــيَ كـــلَّ الحـُـضورْ

تمـــازِحُ (خَـــالِي) ، ترَحِّـــبُ فينـــا ... تُقَبِّـــلُ خـــدَّ وليـــدي الـــصغيرْ

ضـيوفُكِ أمّـيَ مـنْ كـلِّ طَيـفٍ ... فللـــــهِ دَرُّ الفـــــؤادِ الكـــــبيرْ

تُظلِّلُنـــــا مِثـــــلَ ورقـــــاءِ دَوحٍ ... فواحـسرتا ! كيـفَ سِـرْبُ الطيـورْ؟!

فهـــذي ليـــالي شـــتائيَ أمّـــي ... تمـــرُّ بـِــبُطءٍ ! لفقـــدِ الـــسّميرْ؟

إذا كـانَ أُنْـسٌ ذكرْتُـكِ أمّـي! ... وإنْ كـانَ هـمٌّ فمـا مـن مُجـيرْ

إذا مـــاتَ خِـــلٌّ تجـــدَّدَ حُزنـــي ... فأشـعُرُ في القلـبِ وَقْـدَ الـسعيرْ

و واللهِ إنّـــي لـــدى كـــلِّ حَفـــلٍ ... أراكِ أمـــامي ! ومـــا ذا بـِــزورْ

وإنّـــي وربّـــي حفـــيظٌ شـــهيدٌ ... لأبـــصِرُكِ بـــينَ هـــذي الـــسطورْ

إلهـــيَ فـــاملأْ فـــؤادي يقينًـــا ... فمـا عِـدتُ أملِـكُ كَـتْمَ الـشعورْ

فـ(عامـانِ) تمَّـا بُعَيـدَكِ أمّـي ... أطـــاوِلُ لَيْلِـــي بعَـــدِّ الـــشهورْ

أقـــول : سأســـلو ، و ذاك مُحـــالٌ ... وأنّـــى ســـلوُّ مُـــصابٍ أســـيرْ!

وأبحَـثُ بعـدَكِ عـنْ ظِـلِّ أمْـنٍ ... فـــأرجِعُ أمّـــي كطَـــيرٍ كـــسيرْ

تَـــزورينَ لـــيلاً منـــامِيَ طَيفًـــا ... فـــأزدادُ شـــوقًا كطِفْـــلٍ صـــغيرْ!

وسِـــيَّانِ بَعْـــدَكِ أيـــامُ عيـــشي ... فمـا كِـدتُ أشـعُرُ يـومَ الـسّرورْ

تـــساوتْ بُعَيـــدَكَ لـــذاتُ دُنيـــا ... فـسُكنى البَـراري كـسُكنى القـصورْ

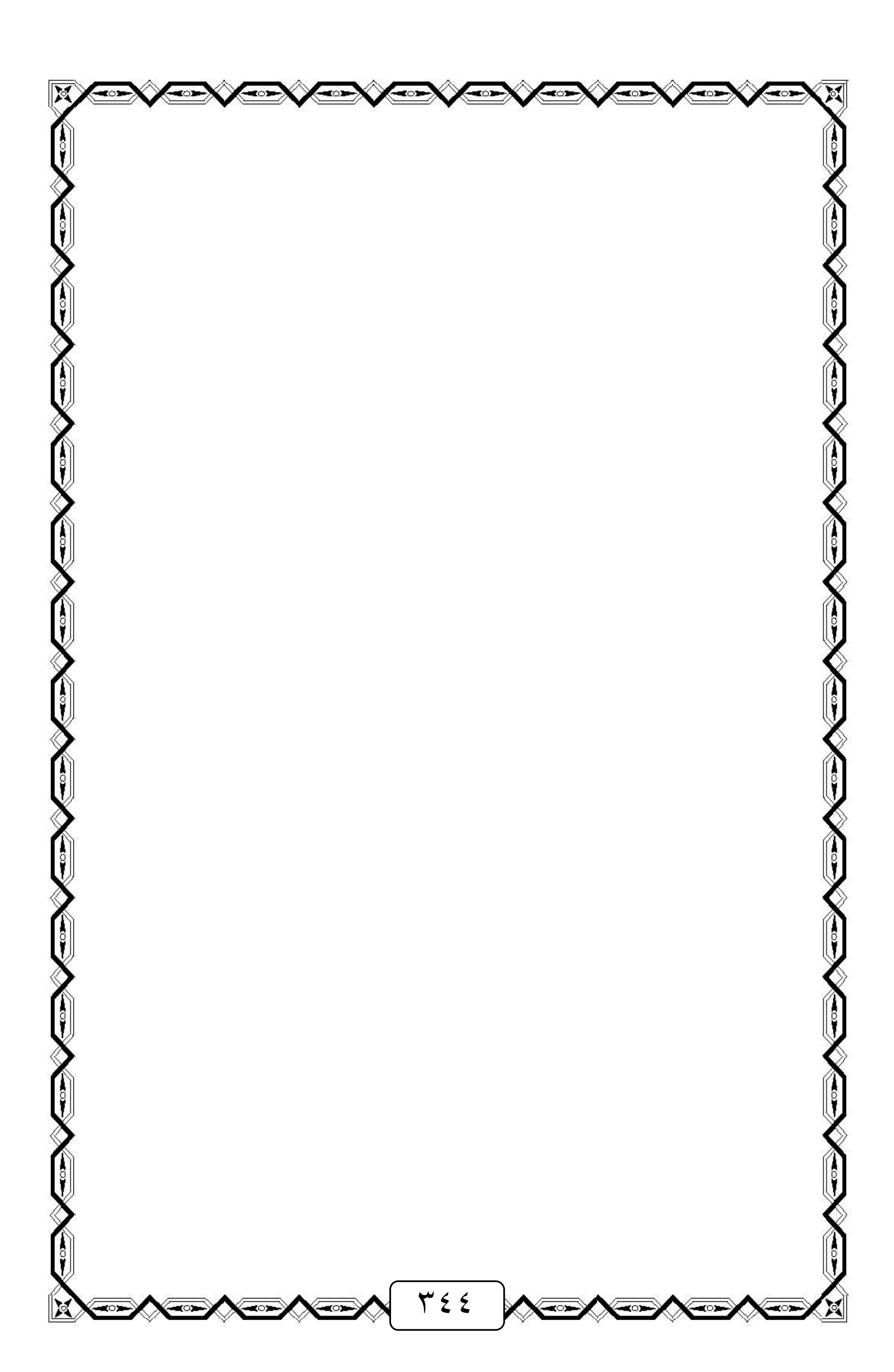
وإنّـي بـدونِكِ يـا نـورَ عينِـي ... تَبَـــدَّلَ كَـــوني ظلامًـــا بِنـــورْ

وإنّـــي وربّـــيَ عـــلاّمُ حـــالي	لأبـــصِرُ أُنـــسيَ بـــينَ القبـــورْ
وإنّـــي وأســـتغفِرُ الله ربّـــي	أُقَبِّـــلُ قبْـــرَكِ رَجْـــوى الحُبـــورْ
أُقبِّـــلُ قبْـــرًا أحـــسُّ بـــأمّي	تُقَـــبِّلني رَغْـــمَ تلـــكَ الـــصّخورْ
يكـــادُ فـــؤادي يَطِـــيرُ لأمّـــي	ولـيسَ سـوى خـالقي مِـنْ مجـيرْ
ومِمَّـــا يُخَفِّـــفُ لَوعـــاتِ حُزنـــي	(أبـي) بـدعاءِ الـشفيقِ الوقـورْ
دُعـاءُ (أبـي) حـينَ ذِكْـرِكِ أمّـي	يفـيضُ وفـاءً بِـصِدْقِ الـشّعورْ
وأسـلو ببيـتِ الكريمـةِ (لولـو)	تُلَمْلِمُـــني في حَجاهـــا المَـــزورْ
أراهـــا فأبـــصِرُ أمّـــي تطِـــلُّ	بـــروحٍ رَفِيـــفٍ ووجْـــهٍ مُـــنيرْ
ولا يَجْبُـــرُ الـــرُزءَ أمّـــاه إلا	يَقِـينِي بفـضلِ الـرَّحيمِ الغفـورْ
يَقِـــيني بوعْـــدِ إلهـــي يَقِـــيني	وعُقْبَـــى المُوَحِّـــدِ دارُ الـــسّرورْ

ابنك المشتاق

د / إبراهيم بن عبد الله الغانم السماعيل

ظهر الجمعة المباركة ١٧ / ٢ / ١٤٣٢هـ



أمّي بِهَا قَلْبِي الجَرِيحُ مُعَذَّبُ

أمّي الراحلةُ جَسَدًا الحاضرةُ ذِكْرى وطَيفًا

(نورة بنت عبد العزيز بن غنيم المانع)

- رحمها الله تعالى رحمة واسعة —

مُنذُ وفاتها قبل عامين وشهرين (ضحى يوم السبت ٣ / ٣ / ١٤٣٠ هـ) وعيناي تراها يقظةً بطيفِها المشرق، ومنامًا حينما تزورني في رؤى صالحة أنعمُ بها ليالِيَ عديدة، فجاءت (الزَّفْرَةُ الخَامِسَةُ)

أمّـي بهـا فِكـري يَجـولُ وَيُطْنِـبُ	أمّـي بهـا قلـبي الجـريحُ مُعـذَّبُ
ربّـاهُ فـاملأ بـاليقينِ فـؤادَ مَـنْ	قــد بـــاتَ في أحزانِـــهِ يتقلَّـــبُ
مُتقلِّــبٌ بــينَ الحــنينِ لوجهِهـا	والــشوقِ حــينَ أجيئُهـا فَتُرَحِّــبُ
ترحيــبُ أمّــي لا يقــومُ بِوَصــفِهِ	شِعري ولـو أفنيـتُ دهـري أكتُـبُ
وظننـتُ وقـتي قـد يُخَفِّـفُ لَـوعَتي	لكــنَّ حُزنــي بالحبيبــةِ مُطْنَــبُ
مـاذا سـأذكرُ ؟ دمعَهـا لِـسرورِنا ؟	تبكـي لنـا فَرَحًـا بِقَلْـبٍ يَطْـرَبُ
مـاذا سـأذكرُ ؟ حُزْنَهـا لِغيابِنـا ؟	فتظــلُّ تَرْقُــبُ أنْ يعــودَ الغُيَّــبُ
مـاذا سـأذكرُ ؟ إنْ تـألَّمَ نِجْلُهـا	للهِ تـــشكو حُزنهـــا ، وتُطَبِّـــبُ
مـاذا سـأذكرُ ؟ أُنْسَهَا بِنَجاحِنـا ؟	تَـشْجيعَهَا إن كـانَ أمـرٌ أصْـوَبُ ؟
مـاذا سـأذكرُ ؟ مِـنْ وصـاياها الـتي	ترعـى بهـا أولادَهـا كـي ينجُبُـوا
مـاذا سـأذكرُ ؟ إذْ تُـشَنِّفُ مَـسْمَعي:	اِلـــزَمْ أبـــاكَ ، فإنَّـــهُ نِعـــمَ الأبُ

ماذا سأذكرُ ؟ مِنْ وصاياها لنا: ارعَوا أُخُوَّتكمْ ولا تتشعَّبوا

ماذا سأذكرُ ؟ إذ تردِّدُ نُصْحَها : بنتي الوحيدةُ يا بَنِيَّ فقرِّبوا

ماذا سأذكرُ ؟ إذْ تُعاتِبُنا على ضَرْبِ الصِّغارِ ؛ فإنهُ لا يُكْسِبُ

ماذا سأذكرُ ؟ إذْ تُراعي خَادِمًا ؟ إنَّ الضعيفَ إلى حِماها الأقربُ

ماذا سأذكرُ ؟ نِسوةً يأتينَها ؟ إكرامُها يغشاهُ صَدْرٌ أرْحَبُ

ماذا سأذكرُ ؟ وَصْلَها ؟ صَدَقاتِها ؟ إنَّ العطاءَ بِطَبعِها لمُحبَّبُ

وبِسَوقِ فِطْرَتِها تَعَدَّدَ نَفعُها يحظى البعيدُ ، وكَمْ ينالُ الأقربُ

ماذا سأذكرُ ؟ عِفَّةً لِلِسانِها ؟ طُهْرٌ ، فحاشاها الكلامُ الأخيَبُ

ماذا سأذكرُ ؟ صَمْتَها ؟ وحياءَها ؟ جُبِلَتْ على خُلُقٍ كريمٍ يُرْغَبُ

ماذا سأذكرُ ؟ مِسْكَها ؟ وعبيرَها ؟ مِنْ كلِّ صِنْفٍ ريحُها متطيِّبُ

ماذا سأذكرُ ؟ إذْ تُبرِّدُ كأسَنا ؟ كأسًا بكأسٍ في إناءٍ يُسكَبُ

ماذا سأذكرُ ؟ طَعْمَ إفطارٍ لنا ؟ نبقى صِغارًا مِنْ يديها نَشْرَبُ

ماذا سأذكرُ ؟ نكهَةً لِغدائنا ؟ كُنَّا مُلوكًا في قِراها نُسْهِبُ

ماذا سأذكرُ ؟ نومَنا بِجوارِها ؟ ولِوَجْهِها بِمَبيتِنا نَتَطلَّبُ !

ماذا سأذكرُ ؟ كلّما تدعو لنا ؟ أوَّاهُ ! إنَّ دعاءَها لا يُحْجَبُ

ماذا سأذكرُ ؟ لَمْ يَغِبْ وَجْهٌ لها ذاكَ المُحَيَّا مُشرِقٌ لا يَغْرُبُ

ولِمَ التذَكُّرُ ؟! إنها موجودةٌ ! ذا طَيفُها مُتَلألِئٌ لا يَعْزُبُ !

ابنك الداعي لك بالرحمة

د / إبراهيم بن عبد الله الغانم السماعيل

ضُحَى السبت ٥ / ٥ / ١٤٣٢هـ

ثلاثُ سنينَ وفقدُكِ أمّي

(الزفرةُ السادسةُ)

أمّي

نورةُ بنتُ عبدِ العزيزِ الغنيمِ المانعُ

- رحمها الله تعالى رحمة واسعة -

جاءت هذه الزفرة بعدَ (ثلاث سنين) على مواراةِ (جَسَدِ) أمّي الطاهرِ الثرى، جسدها فحسبُ ، أمّا هي ، فلا أبالغُ إذا قلتُ : أمّي هُنا ، أثرًا ، وتربيةً ، وطَيْفًا، رَحِمَ الله أمّي ، الراحلة في ٣ / ٣ / ١٤٣٠هـ كم لفقدِها من ألَم !!

تساوتْ بفقدِكِ أيامُ دَهْرِي ... وذقتُ المرارةَ في كلِّ حينِ

وكلُّ الصباحاتِ بعدَكِ أمّي ... ثِقالاً تمرُّ ، حُدَاها أنِينِي

فَما عادَ بَعْدُ (خَميسٌ) يسرُّ ... وما عادَ (سَبْتٌ) يَجيءُ بِشَينِ

أيَا (أربعاءُ) أمَا كنتَ أُنسًا ؟ ... نسامرُ أمّي بدِفءِ الحنينِ

ويا (أربعاءُ) أراكَ صَمُوتًا ... أحزنُكَ مثلي لِفقدِ المعينِ؟!

فقدتَ الأنيسَ الذي كانَ فينا ... يؤانسُنا قبلَ ريبِ المنونِ!

فأينَ سُويعَاتُ مَجلسِ أمّي؟ ... وأينَ هَنَائي بقولٍ رزينٍ؟

(ثلاثُ سنينَ) مَررنَ بِبُطءٍ ... دليلي تباريحُ قلبي الدفينِ

(ثلاثُ سنينَ) وفقدُكِ أمّيَ ... في القلبِ وَقْدٌ كنارِ الأتونِ

أأمّي ! آهٍ ، وفَقْدُكِ مرٌّ ... فقدتُ بفقدِكِ حُلْوَ السنينِ

أأمّي ! آهٍ ، وفقْدُكِ ثَلْمٌ ... فقدتُ حمايةَ حِصْنِي الحَصينِ

أأمّيَ ! إنّ فؤادي مَشُوقٌ ... لوجهكِ ! آهٍ ، كشوقِ السّجينِ

ينوبُ عن الشِعْرِ في وصفِ حَالي   تعابيرُ وجهي بِدَمْعي السّخِينِ
يقولونَ : تسلو ! وأنّى سلوٌّ ؟!   وفي التُرْبِ جِسْمٌ لأمّي الحَنُونِ!
أفي التُرْبِ ؟ كلاّ ! أراها أماميَ   في البيتِ ، في الدرسِ ، بينَ بَنِينِي
وفي خَلَواتي أخاطِبُ أمّي   رُويدًا ، رُويدًا ؛ بِهَمْسِ الأنينِ
ووالله إنّي لأَسْمَعُ صوتًا   يُجيبُ حَدِيثي بِرَجْعٍ حزينِ
وعندَ قِيامِي على قَبرِ أمّي   أحَدِّثُها عِلْمَ ما في سِنِينِي:
فلانٌ تُوُفِّي ! وهذا وَليدٌ !   وذاكَ عَريسٌ ! بِفَيضِ الشّجونِ
فآنسُ في بثّ نجوايَ حِينًا   وأسألُ ربّيَ لُطْفَ المعينِ
لِيرحمَ قلبًا تفطّر حُزنًا   يكادُ يُلامِسُ حَدَّ الجنونِ
ومِمّا يُؤانِسُ في فَقْدِ أمّيَ   حُسْنُ الخِتامِ على خيرِ دِينِ
بِنَجْواكَ ربّي ارتياحُ فؤادِي   ففيها مفاتيحُ كَنزٍ ثمينِ
وليسَ يُخفِّفُ عنّي مُصَابي   سواكَ إلهي ، بِبَرْدِ اليقينِ
يقينًا بأنّ لقاءكَ حقٌّ   وقرّة عَينِي بأمّي الحنونِ
جِنانُ الخلودِ ورحمةُ ربّي   نؤمِّلُها بينَ كافٍ ونونِ

ابنك المشتاق
د / إبراهيم بن عبد الله الغانم السماعيل
٣ / ٣ / ٣٣ ١٤ هـ

أمّي مُعَطِّرةٌ لنا رمضانَنا

(الزَّفرةُ السّابعةُ)

كلُّ الأوقاتِ تُذكِّرُنا بالفقيدة الغالية

أمّي

نورة بنت عبد العزيز الغنيم المانع

- رحمها اللّه رحمة واسعة –

ولكنَّ رمضانَ والذِكرى مقترنان !

" رحمَ الله مَنْ لا يزيدُها البُعدُ إلا تذكّرًا ، اللهمَّ عوِّضها الفردوسَ الأعلى من الجنة "

طالَ اشتياقي نَحوَ وجهِكِ يا سَنَا ... " فأتيتُ قَبْرَكِ ، والحبيبُ يُزارُ"

مَنْ كانَ مُتّعَ في الحياةِ بأمّهِ ... فَصبَاحُه ومَساؤه أنوارُ

ربّاه فارحمْ مَنْ تَقطّعَ قَلبُهُ ... مِنْ بُعدِ أمٍّ هاجَهُ التِّذْكارُ

رمضانُ جَدّدَ للحبيبةِ ذِكرَها ... وَجهٌ مُنيرٌ ، هكذا الأقمارُ

أمّي مُعَطِّرَةٌ لنا رمضانَنا ... أمّي بها يَتكاملُ الإفطارُ !

أمّي أرى طَيفًا لها مُتَطَهّرًا ... تَزدانُ في تَسبيحِها الأسْحارُ !

أمّي أراها إنْ تَصدّقَ مُحْسِنٌ ... صَدَقَاتُها اللائي لَهَا أنوارُ

أمّي أراها حينَ يَقنُتُ مَسْجِدٌ ... أو حِينَ تُذكرُ في الدُّجَى الأذكارُ

أمّي أراها حِينَ أُبصِر (عَامِلاً) ... مِنْ حِينِ رؤيتِه يُقالُ عِثارُ

أمّي أراها في وجوهِ أحِبَّتي ... في بيتِ أختي ، يا لَنِعمَ الدارُ

أمّـي أراهـا حـِينَ يُطْنِبُ والـدي	في ذِكرهــا تَتَــواردُ الأفكــارُ
أمّــي أراهـا حـِينَ تَخْنُـقُ عَبْـرَةٌ	خـالي ، فكمْ قَدْ هَاجَـهُ استعبارُ
أمّـي أراهــا إنْ بَكــتْ خالاتُنــا	فالـدَّمْعُ مِـنْ تِـذكارِها مِـدْرارُ
أمّـي أراهــا في وجــوهِ صِـغَارِنا	رمـضانُ كـانَ ، وكانـت الأخبـارُ
يتـسابقونَ إلى الجلـوسِ بِقُرْبِها	الــدفءُ ثَــمَّ وثَمَّــتِ الأنــوارُ
أمّـي هُنـا ، أمّـي هُنـا ، أمّـي هُنـا	لا تعجبـوا ، فكـذلكَ الإسْـفارُ !
مَنْ لمْ يـذقْ طعـمَ الفِراقِ ووَخْزَهُ	سيقولُ - جَهْلاً - هذهِ أشعارُ !

ابنك المشتاق

د / إبراهيم بن عبد الله الغانم السماعيل

أستاذ البلاغة والنقد / كلية اللغة العربية

جامعة الإمام

مع بزوغ شمس يوم الإثنين

٤ / ٩ / ١٤٣٣هـ - ٢٣ / ٧ / ٢٠١٢م